

كِتَابُ
عَلَى التَّوْرَةِ

أَوْ

الرَّدُّ عَلَى الْيَهُودِ

تَأْلِيفُ

الإمام علاء الدين علي بن محمد الباجي

المتوفى ٧٦٤ هـ

تحقيق

السيد يوسف أحمد

**Title: Kitāb 'alā al-Tawrāt
aw: Al-radd 'alā al-Yahūd
(A book about The Torah)**

Author: 'Ala'uddīn al-Bāji

Editor: Al-Sayyid Yūsuf Aḥmad

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 200

Year: 2007

Printed in: Lebanon

Edition: 1st

**الكتاب: كتاب على التوراة
أو: الرد على اليهود**

المؤلف: علاء الدين علي بن محمد الباجي

المحقق: السيد يوسف أحمد

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

عدد الصفحات: 200

سنة الطباعة: 2007 م

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى

منشورات دار الكتب العلمية - بيروت



دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved

Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة

لدار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تضخيم الكتاب كاملاً أو
جزئاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated,
reproduced, distributed in any form or by any means,
or stored in a data base or retrieval system, without the
prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction
même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite
sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite
et exposerait le contrevenant à des poursuites
judiciaires.

الطبعة الأولى

٢٠٠٧ م - ١٤٢٨ هـ

منشورات دار الكتب العلمية - بيروت

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة: رمل الظريف، شارع اليحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor

هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٨٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فروع عرمون، القبية، مبيني دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.

هاتف: ١١ / ٩٦١ ٥٨٠٤٨١٠ - ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
فاكس: ١١ / ٩٦١ ٥٨٠٤٨١٣ - رياض الصلح - بيروت ١١٠٧ ٢٢٩٠

<http://www.al-ilmiyah.com>

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun@al-ilmiyah.com

ISBN 2-7451-4953-9



9 00000

9 782745 149534

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، حمداً طيباً طاهراً مباركاً فيه، حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده. لك الحمد يا رب كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير. وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

وقد أنزل الله تعالى على نبينا ﷺ القرآن فيه هدى للناس كافة وجعله النبي الخاتم، والقرآن الكتاب الجامع لما سبق فقال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقد تكفل الله بحفظ كتابه العزيز فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وذلك بعد ما كان من أصحاب الكتب السابقة، حيث امتدت أيديهم الأئيمة إلى الكتب المنزلة عليهم بالتحريف والتبديل.

القرآن وكيف وصل إلينا:

يعتبر القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد من الكتب السماوية على ظهر الأرض المعروف والمنقول عن النبي ﷺ، فقد كان حوله الصحابة يكتبون ويحفظون كل ما نزل عليه ﷺ بل تخصص بعضهم في الكتابة خاصة وكانوا يسمون كتاب الوحي ولم ينتقل الرسول الكريم إلى جوار ربه حتى كان مكتوباً كاملاً بل وقد راجعه جبريل عليه السلام مرتين وحفظ وكتب الصحابة رضوان الله عليهم ذلك.

الصديق وجمع القرآن:

جمع القرآن في عهد الصديق بمشورة من أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب، وقد كلف بذلك كبار الصحابة وكتاب الوحي ولم يكتفوا في حاجة إلى نسخه عدة نسخ لأنهم كانوا يحفظونه عن ظهر قلب ولكن لما انتشر الإسلام في زمن عمر ومن بعده عثمان رضي الله عنهما وكثرت الفتوحات دعت الحاجة إلى كتاب جامع بعدما كتب كثير من الصحابة مصاحف في البلاد التي نزلوا فيها.

عثمان والقرآن:

لما كثرت الفتوحات ودخل الناس في دين الله أفواجًا وخاف اختلاف الناس، طلب من الصحابة كتابة القرآن من نسخة الصديق ثم أرسل بها إلى البلاد وحرقوا غيرها من النسخ وأصبحت هذه النسخة هي الأساس في كل البلاد ومنها يكتبون جميع نسخهم .

وهذا معروف بسنده المتصل من النبي ﷺ إلى أن نسخ عثمان مصحفه من أصل ما كتبه الصحابة نقلًا عن النبي ﷺ .

التوراة وسندها:

لو نظرنا إلى التوراة التي بين أيدي أهل الكتاب الآن لا نجد لها سندًا متصلًا إلى نبي الله موسى عليه السلام، وسنين ذلك قريبًا.

معنى التوراة:

التوراة كلمة عبرية معناها الشريعة أو التعاليم الدينية.

وقد اعتمد اليهود تسعة وثلاثين سفرًا أطلق عليها اسم «العهد القديم»، وذلك للتفرقة بينها وبين ما اعتمده المسيحيون من أسفارهم التي أطلقوا عليها «العهد الجديد»، وجرت العادة أن يطلق على أسفار العهد القديم وأسفار العهد الجديد اسم «الكتاب المقدس».

واليهود يعتبرون التسعة والثلاثين سفرًا هذه: أسفارًا مقدسة أي موحى بها، ويطلقون على خمسة منها إطلاقًا حقيقياً اسم التوراة، أو كتب موسى لأنها في زعمهم أنزلها الله على موسى عليه السلام وكتبها موسى بنفسه وهذه الأسفار الخمسة هي: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر التثنية، وسفر اللاويين، وسفر العدد.

أما الأربعة والثلاثون سفرًا الباقية فمنسوبة إلى أشخاص كتبها بعد موسى عليه السلام بأزمان متفاوتة في الطول والقصر وهي: يشوع والقضاة، وراعوث، وصموئيل الأول، وصموئيل الثاني، والملوك الأول، والملوك الثاني، وأخبار الأيام الأول، وأخبار الأيام الثاني، وعزرا، ونحيماء، واستير، وأيوب، والمزامير، والأمثال والجامعة، ونشيد الأنشاد، وأشعيا، وأرمياء، ومراثي أرمياء، وحزقيال، ودانيال، وهوشع، ويوثيل، وعلموس، وعويديا، ويونان، وميخا، وناحوم، وحبقوق، وصفتيا، وحجي، وزكريا وملاحى».

وهذا الأسفار التسعة والثلاثون التي تعتمدها الكنيسة البروتستانتينية، أما الكنيسة الكاثوليكية فتضيف سبعة أسفار أخرى هي «طوبيا، ويهوديت، والحكمة، ويسوع بن سيراخ، وباروخ، والمكايين الأول، والمكايين الثاني» وبذلك تكون الأسفار المقدسة عندهم ستة وأربعين.

والأسفار في جملتها صبغتها دينية إلا أن منها ما يغلب عليه الطابع التاريخي كأسفار التكوين والخروج ويشوع والقضاة وأخبار الأيام وعذر ونحميا، ومنها ما يغلب عليها الطابع التشريعي والأخلاقي والتوجيهي كأسفار اللاويين والمزامير والجامعة وأشيعا ومراثي أرمياء.

القرآن والتوراة: اعترف القرآن بالتوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى ومدحها فقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ [آل عمران: ٢، ٣].

وقد امتدت أيديهم إلى التوراة فحرفوها وبدلوها وأخفوا منها ما لا يتفق مع أهوائهم وشهواتهم فقال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ خَنَافُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ [البقرة: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُوا مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُخَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا ﴿١٣﴾ [المائدة: ١٣].

سند التوراة:

التوراة الموجودة حاليا ليس لها سند متصل إلى موسى عليه السلام، بل هي على النقيض من ذلك إذ يوجد فيها ما يدل على أنها كتبت بعده بزمن طويل فمثلا جاء في سفر التثنية بخصوص وفاة موسى نص يقول: «فمات موسى عبد الرب في أرض مؤاب ولا يعرف شخص قبره حتى يومنا هذا». فهذا نص يدل على أنه كتب بعد موسى وأيضا «ولم يقم بعد نبي في بني إسرائيل مثل موسى».

ومن الواضح أن مثل هذا الكلام مكتوب بعد وفاة موسى عليه السلام وقال الهندي في كتابه إظهار الحق: اعلم أرشدك الله تعالى أنه لا بد لكون الكتاب سماوياً واجب التسليم أن يثبت أولا بدليل تام أن هذا الكتاب كتب بواسطة النبي الفلاني، ووصل إلينا بعد ذلك بالسند المتصل بلا تغيير ولا تبديل، وأنه لا سند لكون هذه

التوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام من تصنيفاته ويدل عليه أمور منها: أن تواتر هذه التوراة منقطع قبل زمان يوشيا بن آمون (أحد ملوك اليهود حكمهم من سنة ٦٤٠ : ٦٠٩ ق.م) أي بعد موسى بستة قرون، والنسخة التي وجدت بعد ثماني عشرة سنة من جلوسه على سرير السلطنة لا اعتماد عليها يقيناً، ومع كونها غير معتمدة ضاعت هذه النسخة أيضاً غالباً قبل حادثة بختنصر، وفي حادثته انعدمت التوراة وسائر كتب العهد القديم عن صفحة العالم رأساً، ولما كتب عزرا هذه الكتب -على زعمهم- ضاعت نسخها وأكثر نقولها في حادثة انتيوكس».

(انتيوكس حكم سوريا من سنة ١٧٤ : ١٦٤ ق.م) (١)

التوراة وعبارات التناقض:

يقرر سفر التكوين أن الله تعالى بعد أن خلق السموات والأرض في ستة أيام استراح في اليوم السابع، وكان يوم سبت وأن الله قد بارك هذا اليوم ومن أجل ذلك حرم فيه العمل».

وهذا الوصف تنزهه عنه الخالق قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨].

وكذلك تنسب التوراة الحالية لبعض الأنبياء عليهم السلام أعمالاً قبيحة تتنافى مع العصمة التي منحها الله تعالى لهم ففي سفر التكوين عن لوط عليه السلام يذكر أنهم عقب هلاك قومه أقام مع ابنتيه في غار فقالت كبراهما لصغراهما إن أبانا قد أصبح شيخاً كبيراً وليس في هذا المكان القفر رجال يتصلون بنا على النحو الذي يفعله ذكور الناس مع إناثهم وإذا بقي الأمر هذا على تلك الحالة فسينقرض نسل أبينا بعد وفاته ووفاتنا، وخير وسيلة لاتقاء هذه العاقبة أن نسقي أبانا خمراً حتى يفقد وعيه ويتصل بنا فنأتي منه بذريته، ثم أنفذنا ما اتفقنا عليه وجاءت الكبرى بغلام أسمته مؤاب، وجاءت الصغرى بغلام أسمته عمون وغيرها من المتناقضات الكثيرة (انظر بنو اسرائيل في القرآن والسنة).

اليهود والتوراة:

التوراة الحالية في مجموعها قد كتبت بعد موسى عليه السلام بأزمان متفاوتة

(١) انظر إظهار الحق للهندي رحمه الله (١/٥٦-٥٨).

وبأفكار مختلفة، وإن اليهود كتبوها انعكاسًا لأخلاقهم وتاريخهم وآمالهم وآلامهم، وكان مقصدهم الأول من وراء ذلك إظهارهم الشعب الإسرائيلي بمظهر الشعب المقرب إلى الله تعالى والمفضل على غيره من الشعوب ولكثرة الأشخاص الذين اشتركوا في كتابتها امتلأت بالأخطاء والمفتريات والمتناقضات.

المصنف والتوراة:

وقد دفع كثرة الأخطاء والمفتريات المصنف إلى تأليف كتابه هذا وسماه:

«كتاب على التوراة» أو «الرد على اليهود»

وقد قام بأخذ أسفار التوراة الخمسة وهي: سفر التكوين - وسفر الخروج - وسفر التثنية - وسفر اللاويين - وسفر العدد . سفرًا سفرًا ذاكراً وموضحًا التناقض فيها في بيان وتوضيح كل هذه المفتريات مما يوضح ما قلناه من اختلاف النصوص مما يدل على أنها من تأليف أشخاص لهم أهواء وأغراض وليست من نبي الله موسى عليه السلام، وقد كان المصنف بارعًا في ذلك وهذا من خلال إظهاره هذا التناقض وعدم انضباط النصوص وعدم حقيقتها.

ترجمة المصنف

هو الإمام علي بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب علاء الدين الباجي (٦٣١-٧١٤ هـ).

قال في الأعلام (٣٣٤/٤): علي بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب علاء الدين الباجي^(١): عالم بالأصول والمنطق والحساب، من أهل مصر، مغربي الأصل. كان أقوى أهل زمانه مناظرة لا يكاد ينقطع في بحث. ولي وكالة بيت المال بالكرك، وناب في الحكم بالقاهرة.

ونسبت إليه مقالة فاختمى مدة وتكشف في أواخر أيامه، وله كتب في الفرائض والحساب والرد على اليهود، وأشهر كتبه «كشف الحقائق في المنطق»، و«غاية السؤل في علم الأصول».

وقيل: ما من علم إلا وله فيه مختصر.

(١) ترجمته: - مفتاح السعادة (٢/٢٢٤)، وفيات الأعيان (٢/٧٥)، والإعلام للزركلي (٤/٣٣٤)، الدرر الكامنة (٣/١٠١)، طبقات الشافعية (٦/٢٢٧).

وصف المخطوط

المخطوط بدار الكتب المصرية تحت رمز علم الكلام رقم (١٩٢٣) بخط سنة
تسع وسبعين وثمانمائة، ومصورة تحت رقم ميكروفيلم (٣٩٣٧١).

خطة العمل بالكتاب

اعتمدنا في عملنا بالكتاب في بيان وشرح بعض النصوص والأحداث وتفسير
آيات القرآن الموضحة في الرد على اليهود واستعنا في ذلك بعدة كتب منها:

- ١- تفسير ابن كثير.
- ٢- البداية والنهاية لابن كثير.
- ٣- شرح مسلم للإمام النووي.
- ٤- بنو إسرائيل في القرآن والسنة لفضيلة شيخ الأزهر وغيرها من الكتب بجوار
كتب الصحاح الستة وغيرها.

وأخيرا

فهذا ما تم بحمد الله وتوفيقه وأرجو أن أكون قد قدمت للقارئ هذا العمل المتواضع راجياً من كل قارئ وصل إليه هذا الكتاب إن وجد نقصاً أو تقصيراً أن يوجهنا إلى ما هو صواب فنحن ما نزال طلاب للعلم والكمال لله سبحانه وتعالى وكل ما نقوم به لا نبتغي إلا وجه الله تعالى ونسأل الله أن يجعله في ميزان حسناتنا.

كما أشكر كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل داعياً المولى لهم أن يجعلهم دائماً وأبداً أهل خير وأن يتقبل الله منهم صالح أعمالهم.

ولا يفوتني أن أترحم على أبي وأمي فعليهم رحمة الله، ونسأل الله لهم الرحمة والمغفرة وأن يتجاوز عن سيئاتهم ويزيد في حسناتهم وأن يلحقنا بهم على الإيمان والإسلام غير مقصرين ولا مضيعين إنه خير مأمول ونعم المولى ونعم النصير.

كما أتوجه بالدعاء إلى الله أن ينصر الإسلام ويعز أهله وأن يعينهم على طاعته والسير على هديه كي يعودوا إلى عهدهم القديم سادة الدنيا وذلك بالتمسك بدينه والزود عنه ضد أعداء الإسلام ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

وأقدم شكري لرفيقة الحياة الزوجة الصالحة لما قدمته لي من العون في هذا العمل، وأهدي لها هذا العمل ولفلذة أكبادنا أولادنا الأعراء ابنتنا الكبرى رنا وأخويها أحمد ومحمد داعياً المولى أن يرزقهم الهداية لطريقه المستقيم والسير على هدي رسوله الكريم ﷺ ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤].

المحقق

السيد يوسف أحمد

في الجمعة ٨ من صفر سنة ١٤٢٦ هـ

١٨ من مارس سنة ٢٠٠٥ م

بعزبة النخل الغربية - المطرية - القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رب يسر وأعن يا الله

قال شيخنا الإمام العلامة الحبر فريد الدهر وحيد العصر منقح أذهان الحفاظ سلطان المعاني والألفاظ لسان المتكلمين حجة المناظرين مفتي المسلمين علاء الدين علي بن محمد بن خطاب الباجي الشافعي.

أما بعد:

فإني نظرت في توراة موسى عليه السلام^(١) المعربة التي بيد النصارى الملكية^(٢) على ما زعموا وهي خمسة أسفار .
فسنح بخاطري أسئلة على ألفاظها فذكرتها على ترتيبها.

(١) هو موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام .

قال السهيلي: واسم أم موسى أيارخا، وقيل: أياذخت.
اختاره الله تعالى وأبله بالمعجزات وأرسله إلى فرعون قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٥١﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَّانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: ٢٣، ٢٤].

ثم كان ما كان من أمر السحرة ومن هلاك فرعون وجنوده وله فضائل كثيرة متعددة، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَدَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم: ٥١-٥٢]. وقال تعالى: ﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمَتِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأعراف: ١٤٤].

(٢) هي إحدى طوائف النصارى ومنهم: الملكية، واليعقوبية، والنسطورية وسيأتي توضيح التسمية بالملكية في ذكره صورة عيسى.

السؤال على القراءة الأولى

من السفر الأول من التوراة

وهو سفر كون الدنيا أنه قال في الأول^(١):-

خلق الله السماء والأرض فكانت الأرض غير منظورة وغير مستعدة.

والظلمة فوق اللجة، وروح الله ترف فوق الماء

وقال الله: ليكن النور فكان النور. ونظر الله أن النور حسن .

وفصل الله بين النور وبين الظلمة، ودعا الله النور نهاراً، والظلمة دعاها ليلاً^(٢).

وكان مساء وكان صباح يوم واحد.

والكلام على هذه القراءة من وجوه ثلاثة:-

أحدهما: أنه كيف يحسن أن يقال في الأول خلق الله السماء والأرض^(٣) أي في

(١) روى الترمذي في سننه (٢١٥٥) كتاب القدر، باب منه-ما جاء في الرضا بالقضاء، وأحمد في

مسنده (٢٢٧٦٨)، وأبو داود (٤٧٠٠) عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ «إن

أول ما خلق الله القلم، ثم قال له: اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم

القيامة» واللفظ لأحمد.

وقال الترمذي: حسن صحيح غريب.

(٢) قال تعالى: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ

لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا

الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ﴿٤٠﴾ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤١﴾

[يس: ٣٧-٤٠].

قال ابن كثير في تفسيره (٥٨٩/٣):- يقول الله تعالى: ومن الدلالة على قدرته تبارك وتعالى

العظيمة خلق الليل والنهار، هذا بظلامه وهذا بضياؤه وجعلهما يتعاقبان يجيء هذا فيذهب

هذا، ويذهب هذا فيجيء هذا كما قال تعالى: ﴿يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ﴿٣٧﴾﴾ [الأعراف:

٥٤] ولهذا قال عز وجل ههنا: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴿٣٧﴾﴾ [يس: ٣٧]. أي نصرمه

منه فيذهب فيقبل الليل ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

(٣) قال تعالى: ﴿قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ

الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً

لِلنَّسَائِلِ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا

أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿٣٨﴾ فَفَضَّلْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴿٣٩﴾ وَزَيْنَا السَّمَاءِ

الدُّنْيَا بِمَصْنُوحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٤٠﴾﴾ [فصلت: ٩-١٢].

اليوم الأول - وقد ذكر بعده ما يعني أنهما مخلوقتان في اليوم الثاني والثالث؛ لأنه قال بعده في اليوم الثاني: وقال الله ليكن جلد وسط الماء، ثم قال بعده: وصنع الله الجلد، ثم قال بعده: ودعا الله الجلد سماء.

وقال بعده أيضًا في اليوم الثالث: وليظهر اليبس وكان كذلك، ثم قال: فظهر اليبس^(١)، ثم قال: وسمى الله اليبس أيضًا.

وإذا خلقنا في اليوم الثاني والثالث لم يكونا مخلوقين في الأول، بل ظاهر اللفظ أن المخلوق في اليوم الأول اللجة والظلمة، ثم النور، ثم الليل والنهار، ثم في اليوم الثاني السماء، ثم في اليوم الثالث الأرض^(٢)، فليس خلق السماء والأرض في اليوم الأول لا باعتبار الأيام؛ لأن خلق السماء في اليوم الثاني^(٣).

والأرض في اليوم الثالث، ولا باعتبار المخلوقات لأن قبلها خلق الظلمة واللجة

(١) قال ابن كثير في تفسيره (٩٣/٤):- أما خلق الأرض فقبل خلق السماء بالنص وهذا أجاب ابن عباس رضي الله تعالى عنه فيما ذكره البخاري عند تفسير هذه الآية في صحيحه وساق ابن كثير حديث البخاري بطوله وفيه «وخلق الأرض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ثم دحى الأرض ودحيتها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والرمال والجماد والأكام وما بينهما في يومين آخرين فذلك قوله تعالى: ﴿دَحَّهَا﴾».

(٢) قال ابن كثير في تفسيره (٩٣/٤): قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَيُّهَا الْمَوْلَىٰ وَرِجَالَهُمْ ثَمَرًا مِّمَّا كَسَبُوا﴾. قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَيُّهَا الْمَوْلَىٰ وَرِجَالَهُمْ ثَمَرًا مِّمَّا كَسَبُوا﴾. قال: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٌ لِلسَّالِفِينَ﴾ أي: من أراد السؤال عن ذلك ليعلمه قال ابن عباس وقتادة والسدي، وقال ابن زيد معناه: أي وفق مراده من له حاجة إلى رزق.

(٣) قال ابن كثير في تفسيره (٩٣/٤):-

قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ وهي بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت الأرض ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ أي استجبيا لأمرى، قالتا: ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ أي بل نستجب لك مطيعين بما فينا مما تريد خلقه من الملائكة والجن والإنس جميعًا مطيعين لك. ﴿فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي فرغ من تسويتهن سبع سموات في يومين أي آخرين وهما يوم الخميس ويوم الجمعة ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ أي ورتب مقررًا في كل سماء ما تحتاج إليه من الملائكة وما فيها من الأشياء التي لا يعلمها إلا هو.

والنور والليل والنهار على ظاهر هذا اللفظ، وفي نسخة: في البدء عرض الأول، وهما متقاربان في المعنى.

فكانت الأرض خربة خاوية، والظلمة كانت على الغمر.

وثانيها: كيف يحسن أن يقال: وفصل الله بين النور وبين الظلمة^(١).

فإن ظاهره أنهما عند خلق النور اختلطا، فاحتاجا إلى فصل بينهما لتمييزا كاختلاط الحنطة والشعير وليس كذلك، فإن النور لا يمكن أن يوجد معه الظلمة أصلاً فضلاً عن أنهما مختلطان حتى يحتاجا إلى فصل بينهما^(٢).

فإن من أوقد في بيت مظلم سراجاً مثلاً لا يمكنه أن يقول: قد اجتمع في البيت ظلمة ونور فيحتاجان إلى فصل بينهما بل انعدمت ظلمة البيت بمجرد إيقاد السراج فيه، وتحقيقه أن الظلمة عدم النور^(٣)، فالنور لا يجتمع معه عدمه حتى يحتاج إلى

(١) قال تعالى: ﴿وَلَا أَلَيْلٌ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ يقول: لا ينبغي إذا كان الليل أن يكون ليل آخر حتى يكون النهار فسلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل وقال الضحاك: لا يذهب الليل من هنا حتى يجيء النهار من هنا وأوماً بيده إلى الشرق.

وقال مجاهد: ﴿وَلَا أَلَيْلٌ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ يطلبان حثيثين يسليخ أحدهما من الآخر، والمعنى في هذا أنه لا فترة بين الليل والنهار بل كل منهما يعقب الآخر بلا مهلة ولا تراخ لأهما مسخران دائبين يتطالبان طلباً حثيثاً.

(٢) قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا أَلَيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ۚ لِنَبْتَغُوا فَضلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَنَاهُ تَفْصيلاً﴾ [الإسراء: ١٢].

وقال تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [الحج: ٦١].

قال ابن كثير: ومعنى إيلاجه الليل في النهار والنهار في الليل إدخاله من هذا في هذا ومن هذا في هذا.

فتارة يطول الليل ويقصر النهار كما في الشتاء، وتارة يطول النهار ويقصر الليل كما في الصيف. تفسير ابن كثير (٣/٢٣٩-٢٤٠).

(٣) في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ [الفرقان: ٦٢] قال ابن كثير: أي يخلف كل واحد منهما صاحبه يتعاقبان لا يفتران إذا ذهب هذا جاء هذا وإذا جاء هذا ذهب ذلك كما قال تعالى: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ الآية وقال: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ الآية تفسير ابن كثير (٣/٣٣٤).

الفصل بينهما.

وثالثها: أنه كيف يحسن أن يقال: دعا الله النور نهاراً، والظلمة دعاها ليلاً، فإن ظاهره أن الليل والنهار مخلوقان في اليوم الأول وأنها مجرد الظلمة والنور من غير شمس^(١)، فإن الشمس ما توجد إلا في اليوم الرابع كما ذكر بعد ذلك في القراءة الثالثة مع أننا نجد بضرورة عقولنا أن النهار إنما هو بنور الشمس كما ذكره الحكماء، النور المقابل للظلمة في الدنيا ليس إلا نور الشمس وهذا أمر لا يمكن لأحد أن يكابر فيه نفسه قبل وجود الشمس لا يمكن أن يوجد النهار.

هذا السؤال بالحقيقة هو سؤالان:

أحدهما: أن ظاهر اللفظ أن الليل والنهار مخلوقان في اليوم الأول^(٢)، مع أن الشمس المتوقف عليها وجود النهار إنما خلقت في اليوم الرابع.
ثانيهما: أن النهار بنور غير نور الشمس مع أننا نجد الواقع بخلافه.

(١) قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ [الفرقان: ٦١]. والسراج هي الشمس المنيرة التي هي كالسراج في الوجود كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴾ [النبأ: ١٣]. وقال تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۖ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ۖ ﴾. روى مسلم في صحيحه [٢٧- (٢٧٨٩)] كتاب صفة المنافقين وأحكامهم، ١- باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام، عن أبي هريرة قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل.

(٢) قال في البداية والنهاية (٢٠/١): وقد أجمع العلماء قاطبة لا يشك في ذلك مسلم أن الله خلق السموات والأرض، وما بينهما في ستة أيام كما دل عليه القرآن الكريم، فاختلّفوا في هذه الأيام أهي كأيامنا هذه أو كل يوم كآلف سنة مما تعدون، على قولين كما بينا ذلك في التفسير، وختلفوا هل كان قبل خلق السموات والأرض شيء مخلوق قبلهما، فذهب طوائف من المتكلمين إلى أنه لم يكن قبلهما شيء وأنها خلقتنا من العدم المحض، وقال آخرون: بل كان قبل السموات والأرض مخلوقات أخر لقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ۖ ﴾.

السؤال على القراءة الثانية من السفر الأول من وجوه سبعة

أحدها: أنه كيف يحسن أن يقال: وقال الله: ليكون جلد وسط الماء، ثم قال بعده: وصنع الله الجلد، ثم قال بعده: ودعا الله الجلد سماء^(١)، فإن ظاهره أن السماء مخلوقة في اليوم الثاني، مع أنه قد ذكر أولاً: أنها مخلوقة في الأول، فقد تناقض الخبران، وفي نسخة أخرى: ليكون رقع بدل جلد، وفرق بدل فصل^(٢).

وثالثها^(٣): أنه كيف يحسن أن يقال في اليوم الثالث وليظهر اليبس، ثم قال بعده: وظهر اليبس، ثم قال بعده: وسمى الله تعالى اليبس أرضاً؛ فإن ظاهره أن الأرض مخلوقة في اليوم الثالث وقد ذكر أولاً في اليوم الأول أنها في الأول خلقت^(٤)، فقد تناقض الخبران.

(١) في قوله تعالى: ﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَيْنَاهَا ﴿٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴿٨﴾ وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿١٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَهَا ﴿١١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَلْنَا ﴿١٢﴾ مَتَّعًا لَكُمْ وَلَا تَعْمُرُنَّهَا ﴿١٣﴾﴾ [النازعات ٢٧ - ٣٣].

فقد تسلك بعض الناس هذه الآية على تقدم خلق السماء على خلق الأرض، فخالقوا صريح الآيتين المتقدمتين - أي في "سورة فصلت" المتقدمة في التخريجات السابقة - ولم يفهموا هذه الآية الكريمة فإن مقتضى هذه الآية أن دحا الأرض وإخراج الماء والمرعى منها بالفعل بعد خلق السماء، وقد كان مقدرًا فيها بالقوة كما قال تعالى: ﴿وَيَذَرُ فِيهَا وَقْدَرٍ فِيهَا أَقْوَاتًا ﴿١٠﴾﴾ [فصلت ١٠] أي هيا أماكن الزرع ومواضع العيون و الأنهار ثم لما أكمل خلق صورة العالم السفلي والعلوي دحا الأرض فأخرج منها ما كان مودعًا فيها. البداية والنهاية (١/٢٩).

(٢) قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: ٣٠].

أي فصلنا ما بين السماء والأرض، حتى هبت الرياح ونزلت الأمطار وجرت العيون والأنهار وانتعش الحيوان، ثم قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنبياء: ٣٢].

أي عما خلق فيها من الكواكب الثوابت والسيارات والنجوم الزاهرات والأجرام النيرات وما في ذلك من الدلالات على حكمة خالق الأرض والسماوات. البداية والنهاية لابن كثير (١/٢٩، ٢٨).

(٣) لا يوجد بالأصل ثانيها.

(٤) حكى ابن جرير عن محمد بن إسحاق أنه قال أول ما خلق الله عز وجل النور والظلمة ثم ميز بينهما فجعل الظلمة ليلاً أسود مظلمًا، وجعل النور نهارًا مضيئًا مبصرًا. قال ابن جرير: «وقد

ورابعها: كيف يحسن أن يقال: واجتمعت المياه التي تحت السماء إلى مجامعها، بعد قوله: لتجتمع المياه التي تحت السماء إلى مجمع واحد، وليظهر اليبس، وكان كذلك^(١)، فإن المجمع جمع، والمجمع الواحد مفرد، وهما متناقضان، فيمتنع أن تجتمع المياه في مجامع مع كونها مجتمعة في مجمع واحد.

وخامسها: كيف يحسن أن يقال: واجتمعت المياه إلى مجامعها بعد أمره لها باجتماعها في مجمع واحد، كأن وقوع الأمور على خلاف الأمر الإلهي التكويني ممتنع باتفاق العقلاء، ولا تقع المخالفة في الأمر التكليفي، فإنه إذا كلف الله تعالى شخصا بشيء أمكن أن يعصي ويخالف الأمر، ولا يأتي بالمأمورية^(٢).

وسادسها: أنه كيف يحسن أن يقال: وقال الله لتخرج الأرض نبات حشيش بذراً يبذره كنجو جنسه وشبيهه، مع أن الذي تخرجه الأرض يومئذ لم يوجد قبله شيء من جنسه يشبهه حتى يشبهه به^(٣)، بل هو أول نبات مبتدع من غير تقدم جنس له فإن

قيل: إن الذي خلق ربنا بعد القلم الكرسي، ثم خلق بعد الكرسي العرش، ثم خلق بعد ذلك الهواء والظلمة ثم خلق الماء فوضع عرشه على الماء « البداية والنهاية (٢٢/١).

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية (٣٠/١): روى السدي الكبير بسنده عن ابن مسعود وناس من أصحاب رسول الله ﷺ ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ [البقرة: ٢٩]. قال: إن الله كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء، فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماء، ثم أيس الماء فجعله أرضاً واحدة، ثم فتقها فجعل سبع أرضين في يومي الأحد والاثنين وذكره بطوله.

(٢) قال تعالى في أمر السماء والأرض: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ أي: بل نستجيب لك مطيعين بما فينا مما تريد خلقه من الملائكة والجن والإنس جميعاً مطيعين لك.

قال الثوري بسنده عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ قال: قال الله تبارك وتعالى للسموات اطلعي شسي وقمري ونجمي وقال للأرض شقفي أنهارك وأخرجي شارك. تفسير ابن كثير (٩٣/٤).

(٣) روى البخاري في صحيحه في تفسير القرآن من حديث ابن عباس عندما قال له رجل إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي، ثم ذكر فيه قال: ﴿ أَمْرَ السَّمَاءِ بِئْنَهَا ﴾ إلى قوله: ﴿ دَحَاهَا ﴾

كتاب على التوراة

قيل هذا لإخبار لموسى عليه السلام بعد وجوده عن وقت خلق الأرض ونباتها. وبعد وجود موسى كان قد وجد النبات جنس وشبه تشبه به حينئذ.

قلت: لا يصح هذا لأن هذا إخبار لموسى عن القول الذي صدر في ذلك الزمان، ولا يحسن صدور هذا القول في ذلك الزمان لعدم الجنس في ذلك الزمان، وإنه جنس في هذا الزمان بعد وجود الجنس، وإنما يصح هذا الجواب في قوله في اليوم الخامس:-

وأبدع الله حيتاناً عظيمة^(١)، وكل نفس الدبابيب الحية التي أخرجتها المياه كأجناسها فإنه إخبار لموسى يؤمئذ عن فعل سابق لا عن قول سابق. وسابعا: أنه كيف يحسن أن يقال في الثمر: وعودًا مثمرًا صانع ثمرة يبذره منه، وفيه كالجنس وأشبهه .

مع أنه ليس هناك جنس حينئذ ولا شبه كما تقدم، بل هو أول عود مثمر.

السؤال على القراءة الثالثة

من وجوه ستة:

أحدها: أنه كيف يحسن أن يقال: وقال الله ليكن نيران في جلد السماء ليضاء على الأرض، ثم قال بعده أيضًا: فليضاء في جلد السماء^(٢)، فإن ظاهره أن الإضاءة

فذكر خلق السماء قبل الأرض ثم قال: ﴿أَبْنَيْكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٠﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَواسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَنَى فِيهَا قُفُوتًا فِي آرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّاعِلِينَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اأْتِينَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿٥٢﴾ فذكر في هذه خلق الأرض قبل السماء إلى آخر كلامه.

فقال ابن عباس: خلق الأرض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين، ثم دحا الأرض ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والجمال والأكام وما بينهما في يومين آخرين فذلك قوله ﴿دَحْنَهَا﴾.

(١) روى مسلم في صحيحه [٢٧- (٢٧٨٩)] كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، ١- باب ابتداء الخلق وقد تقدم ذكر الحديث وفيه «وخلق النور يوم الأربعاء»، قال النووي: كذا هو في صحيح مسلم النور بالراء وروايات ثابت بن قاسم النون بالنون في آخره، قال القاضي: وكذا رواه بعض رواة صحيح مسلم وهو الحوت ولا منافاة أيضًا فكلهما خلق يوم الأربعاء.

(٢) قال تعالى: ﴿وَرَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا﴾ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿ [فصلت:

والإنارة حصلت في اليوم الرابع، مع أنه قد تقدم أن النور خلق في اليوم الأول وفصل النهار عن الليل فيه^(١)، فقد تناقض الخبران.

ثانيها: أن ظاهره أن النور مهما وقد تقدم في اليوم الأول أن النور حاصل بدونهما فقد تناقض الخبران، ولاسيما في نسخة هنا: وفرق الله الضوء من الظلمة، فهذا تصريح بالسؤال فقد تناقض الخبران..

وثالثها: أنه كيف يحسن أن يقال: وليفصلا بين النهار وبين الليل في اليوم الرابع، وقد تقدم في اليوم الأول أنه قد فصل الله بين النور والظلمة وساهما ليلاً ونهاراً، فتميز الليل والنهار فيه^(٢)، فقد تناقض الخبران.

ورابعها: أن ظاهره أنهما هما الفاصلان بين الليل والنهار. وقد تقدم في القراءة الأولى أن الله في اليوم الأول^(٣)، فصل بين النور والظلمة

[١٢]، فخص سماء الدنيا من بينهن بزينة الكواكب، فإن دل هذا على كونها مرصعة فيها فذاك، وإلا فلا مانع مما قاله الآخرون والله أعلم. البداية والنهاية لابن كثير (٤٧/١) وقال في تفسيره (٩٣/٤): في قوله تعالى: ﴿ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾ وهي الكواكب المنيرة المشرقة على أهل الأرض.

(١) في قوله تعالى: ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس: ٤٠].

قال في البداية والنهاية (٤٥/١): أي لا تدرك الشمس القمر فتطلع في سلطانه ودولته ولا هو أيضاً، ولا الليل سابق النهار: أي ليس سابقه بمسافة يتأخر ذاك عنه فيها، بل إذا ذهب النهار جاء الليل في أثره متعقباً له كما قال في الآية الأخرى ﴿ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

(٢) قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [لقمان: ٢٩].

قال في البداية والنهاية: فيولج من هذا في هذا أي يأخذ.

(٣) حكى ابن جرير في أول الأيام ثلاثة أقوال فروى عن محمد بن إسحاق أنه قال: يقول أهل التوراة ابتداءً الله الخلق يوم الأحد، ويقول أهل الإنجيل: ابتداءً الله الخلق يوم الاثنين.

ونقول: نحن المسلمون فيما انتهى إلينا عن رسول الله ﷺ: ابتداءً الله الخلق يوم السبت وهذا القول الذي حكاه ابن إسحاق عن المسلمين. مال إليه طائفة من الفقهاء من الشافعية،

الذين ساهما ليلاً ونهاراً فلم يحتج فصلهما بعد ذلك على فاصل آخر، ولا لزم منه تحصيل الحاصل. ولزم منه اجتماع المحصلين الثابتين على المحصل الواحد وهما محالان. وخامسها: أنه كيف يحسن أن يقال: والنجوم وضعها الله في جلد السماء لتتير على الأرض (وترأس)^(١) على النهار وعلى الليل، مع أن النجوم لا رياسة لها على النهار ولا أثر ولا ظهور أصلاً بل رياستها على الليل خاصة كالنور الأصغر وأما رياسة النهار فللشمس خاصة.

وسادسها: أنه كيف يحسن أن يقال أيضاً أنها تميز ما بين النور والظلمة مع أن الذي يميز بين النور والظلمة والليل والنهار، إنما هما النيران كما ذكره في أول هذه القراءة، بل في الحقيقة ظلمة الليل هي التي تميز النجوم وتبينها^(٢)، ونور النهار يخفيها لا أنها هي تميز ما بين النور والظلمة، فالأمر بالعكس.

السؤال على القراءة الرابعة

من وجوه ثمانية:

أحدها: أنه كيف يحسن أن يقال: قال الله فلتخرج الأرض نفسها حية كجنسها ذوات أربع، دبابات ووحوش الأرض ومهائمها وكل دواب الأرض كجنسها وكان كذلك^(٣)، مع أنه لم يوجد يومئذ شيء من جنسها يشبهه به، وقد تقدم شرحه.

وغيرهم.

والقول بأنه الأحد: رواه ابن جرير بسنده عن ابن مسعود وعن جماعة من الصحابة، ورواه أيضاً عن عبد الله بن سلام واختاره ابن جرير وهو نص التوراة ومال إليه طائفة آخرون من الفقهاء، وهو أشبه بلفظ الأحد، ولهذا كمل الخلق في ستة أيام فكان آخرهن الجمعة، فاتخذه المسلمون عيدهم في الأسبوع وهو اليوم الذي أضل الله عنه أهل الكتاب قبلنا. البداية والنهاية لابن كثير (٢٨/١)

(١) بالأصل (ويروس).

(٢) قال تعالى: ﴿وَرَبَّنَا أَلْسَمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢].

قال ابن كثير في تفسيره (٩٣/٤): - المصاييح هي الكواكب المنيرة المشرقة على أهل الأرض وفي (٣٩٦/٤): وقال قتادة: إنما خلقت هذه النجوم لثلاث خصال: خلقها الله زينة للسماء، ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدى بها: فمن تأول فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به. رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. أي أصل كل الأحياء، وروى

وليس هذا مثل قوله في القراءة الثالثة في اليوم الخامس وأبدع الله حيثاناً عظيمة، وكل نفس الدبابيب الحية التي أخرجتها المياه كأجناسها^(١).

لأن ذلك إخبار عن فعل سابق، وفي وقت الإخبار لها جنس، وهذا هنا إخبار عن قول سابق، وهذا القول السابق لا يحسن في الوقت السابق لعدم الجنس فيه^(٢).
وثانيها: كيف يحسن بعد ذلك أن يقال: - وأبدع الله وحوش الأرض كجنسها، وهو تكرار له بعينه من غير زيادة فائدة، بل الأول أبسط وأكثر فائدة.

وثالثها: كيف يحسن أن يجمع في هذا الكلام الثاني مع قلته بين لفظتين متنافيتين؛ فإن قوله: أبدع يقتضي الخلق من غير تقدم جنس وشبه^(٣)، إذ هذا حقيقة

ابن أبي حاتم بسنده عن أبي هريرة قال: يا نبي الله إذا رأيتك قرت عيني وطابت نفسي، فأخبرنا عن كل شيء ؟ قال: «كل شيء خلق من ماء». تفسير ابن كثير (١٨٢/٣) ين
(١) في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣] أي كان الجميع متصلاً ببعضه ببعض متلاصق متراكم بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر ففتق هذه من هذه فجعل السموات سبعاً والأرض سبعاً وفصل بين السماء الدنيا والأرض بالهواء فأمرت السماء وأنبت الأرض، ولهذا قال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. أي وهم يشاهدون المخلوقات تحدث شيئاً فشيئاً عياناً، وذلك كله دليل على وجود الصانع الفاعل المختار القادر على ما يشاء. تفسير ابن كثير (١٨١/٣)

(٢) قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَهْرَاقًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوَاجِينَ أُنثِينَ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣].
قال في البداية والنهاية (٤١/١): ذكر تعالى ما خلق في الأرض من الجبال والأشجار والثمار والسهول والأوعار وما خلق من صنوف المخلوقات من الجمادات والحيوانات في البداري والقفار والبر والبحار ما يدل على عظمته وقدرته وحكمته ورحمته بخلقه، وما سهل لكل دابة من الرزق الذي هي محتاجة إليه في ليلها ونهارها وصبفها وشتائها وصباحها ومساءها كما قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦].

(٣) قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [لقمان: ١٠].

الإبداع.

وقوله عقيبه: كجنسها، يقتضي تقدم جنس لشبه به، وذلك متناقض.
 والسؤال الثاني والثالث ورادان لعينهما على قوله: وكل دبابات الأرض كجنسها
 لأنه معطوف على القول الأول.
 ورابعها: كيف يحسن أن يقال: وقال الله ليصنع إنسانًا كصورتنا وشبهنا^(١)، فإن
 قوله: ليصنع، صيغة أمر متوجهة نحو الأمر المتكلم، لأن النون في الفعل المضارع في
 مثل هذا الموضع للمتكلم العظيم، وصيغة الأمر إنما توجه نحو المأمور المخاطب أو
 الغائب لأن أمر الأمر لنفسه ممتنع سواء كان أمر تكوين كهذا، أو أمر تكليف.
 وفي نسخة: لتخلق بشرًا بصورتنا على تماثلنا وأسلطهم على سمك البحار،
 وطائر السماء، وكل الأنعام وما شبه الأرض.

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ ۗ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩].

قال ابن كثير في تفسير سورة لقمان (٤٥٨/٣): - أي وذرا فيها من أصناف الحيوانات مما لا يعلم عدد أشكائها وألوانها إلا الذي خلقها، ولما قرر سبحانه أنه الخالق نبه على أنه الرازق بقوله: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۗ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

(١) روى أحمد في مسنده (٤٠٠/٤) بسنده عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: « إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب والسهل والحزن وبين ذلك». ورواه الترمذي (٢٩٥٥)، وأبو داود (٤٦٩٣) عن أبي موسى، وقال الترمذي: حسن صحيح. وذكر ابن كثير في البداية والنهاية (١٠٥/١)، وذكر السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: فبعث الله عز وجل جبريل في الأرض ليأتيه بطين منها فقالت الأرض: أعوذ بالله منك أن تنقص مني أو تشينني، فرجع، ولم يأخذ، وقال رب إنها عاذت بك فأعذتها، فبعث ميكائيل، فعادت منه، فأعادها، فرجع، فقال كما قال جبريل، فبعث ملك الموت فعادت منه، فقال: وأنا أعوذ بالله أن أرجع، ولم أنفذ أمره، فأخذ من وجه الأرض وخلطه، ولم يأخذ من مكان واحد، وأخذ من تربة بيضاء وحمراء وسوداء، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين، فصعد به قبل التراب حتى عاد طينًا لازبًا واللازب هو الذي يلزق بعضه ببعض. البداية والنهاية لابن كثير (١٠٥/١).

وخامسها: كيف يحسن أن يقال: كصورتنا وشبهنا مع أن الله سبحانه منزه عن الصورة^(١)، بل هو خالق الصور كلها، والخالق مغاير للمخلوق ومستغن عنه.

فإن قيل: المراد خلق إنسان له قدرة على الخير والشر وإرادة لهما يفعل بقدرته ما يريد كما لله قدرة وإرادة.

قلت: هذا إن سلم، فلفظ الصورة لا يدل عليه، لأن لفظ الصورة مدلولة الهيئة والشكل كما يقال: فلان صورة حسنة، والصورة في الحائط مليحة، واللفظ الدال على هذا أن يقال صفاته كصفاتنا^(٢).

فلم عدل عن اللفظ الحسن الدال على المعنى المراد من غير إيهام للباطل إلى ما

(١) روى مسلم في صحيحه [٢٨-٢٨٤١] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ١١-باب يدخل الجنة أقوام أفندتهم مثل أفئدة الطير، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «خلق الله عز وجل آدم على صورته... الحديث». قال النووي: هذه الرواية ظاهرة في أن الضمير في صورته عائد إلى آدم وأن المراد أنه خلق في أول نشأته على صورته التي كان عليها في الأرض. وتوفي عليها وهو طوله ستون ذراعاً، ولم ينتقل أطواراً كذريته وكانت صورته في الجنة هي صورته في الأرض لم تتغير النووي في شرح مسلم (١٤٧/١٤).

(٢) قال في البداية والنهاية (١٠٥/١): - استكمالاً لما سبق فخلق الله بيده لئلا يتكبر إبليس عنه فخلق به بشراً فكان جسداً من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة فمرت به الملائكة ففرعوا منه لما رأوه، وكان أشدهم منه فرعاً إبليس، فكان يمر به، فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة فذلك حين يقول: ﴿مِنْ صَلَّصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ ويقول: لأمر ما خلقت ودخل من فيه وخرج من دبره، وقال للملائكة لا ترهبوا من هذا فإن ربكم صمد وهذا أجوف لئن سلطت عليه لأهلكته، فلما بلغ الحين الذي يريد الله عز وجل أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة: إذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس، فقال الملائكة قل الحمد لله، فقال: الحمد لله، فقال له الله: رحمك ربك، فلما دخلت الروح في عينيه نظر إلى شار الجنة فلما دخلت الروح في جوفه اشتهى الطعام، فوثب قبل أن تبلغ الروح إلى رجليه عجلان إلى شار الجنة. وذلك حين يقول الله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧].

﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [إلا إبليس لئن أن يكون مع الساجدين] [الحجر: ٣٠، ٣١]. ولهذا السياق شاهد من الأحاديث وإن كان كثير منه متلقى من الإسرائيليات فقال الإمام أحمد بسنده عن أنس أن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله آدم تركه ما شاء أن يدعه فجعل إبليس يطوف به فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لا يتمالك» [انظر أحمد (١٥٢/٣)، ومسلم (٢٦١)].

(يلهمه)^(١).

ولكن قيل: المراد صورته سبحانه التي يظهر فيها عندما يحل في بدن عيسى - عليه السلام - كما يزعمونه، أي بصورة عيسى.

قلت: هذا ممنوع وإن سلم على معتقدهم لكن حاصله قدرته سبحانه على حلوله في زمن مستقبل في صورة من الصور، وقدرته سبحانه على هذا التقدير ليست مخصوصة بحلوله في بدن عيسى عليه السلام وحده^(٢)، بل هو سبحانه قادر على حلوله في كل صورة وظهوره في كل مظهر وإن كنا ننزهه عن ذلك، فإن كانت قدرته على حلوله في صورة عيسى عليه السلام^(٣) موجبة لجعل صورة عيسى صورة له سبحانه لزم

(١) كذا بالأصل.

(٢) قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧].

يقول تعالى حاكمًا بتكفير فرق النصارى من الملكية واليعقوبية والنسطورية من قال منهم بأن المسيح هو الله، تعالى الله عن قولهم وتنزه وتقدس علواً كبيراً، وكان أول كلمة نطق بها وهو صغير في المهد أن قال إني عبد الله ولم يقل إني أنا الله ولا ابن الله، بل قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَأَتْنِي بِالْكِتَابِ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مریم: ٣٠]، إلى أن قال ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [مریم: ٣٦]. تفسير ابن كثير (٨٢/٢).

(٣) اختلف أصحاب المسيح عليه السلام بعد رفعه إلى السماء فيه على أقوال كما قاله ابن عباس وغيره من أئمة السلف، قال ابن عباس، وغيره: قال قائلون منهم: كان فينا عبد الله ورسوله فرفع على السماء، وقال آخرون: هو الله، وقال آخرون: هو ابن الله، فالأول هو الحق، والقولان الآخرون: كفر عظيم كما قال: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مریم: ٣٧]. وقد اختلفوا في نقل الأناجيل على أربعة أقاويل ما بين زيادة ونقصان وتحريف وتبديل، ثم بعد المسيح بثلاثمائة سنة حدثت فيه الطامة العظمى والبلية الكبرى، اختلف البطارقة الأربعة وجميع الأساقفة، والقساوسة، والشمامسة والراهبين في المسيح على أقوال متعددة لا تنحصر ولا تنضب، واجتمعوا وتحاكموا إلى الملك قسطنطين باني القسطنطينية وهم: المحم الأول فصار الملك إلى قول أكثر فرقة اتفقت على قول من تلك المقالات، فسموا الملكية ودحض من علاهم وأبعدهم، وتفرقت الفرقة التابعة لعبد الله بن أديوس الذي ثبت على أن عيسى عبد من عباد الله ورسول من رسله فسكنوا البداري والبوادي وبنوا الصوامع والديارات والقلايات وقنعوا بالعيش الزهيد ولم يخاطبوا أولئك الملل والنحل وبنيت الملكية الكنائس الهائلة عمدوا إلى ما كان من بناء اليونان، فحولوا محاريبها إلى

جعل جميع الصور صورة له سبحانه لعموم القدرة كما بينا فيفوتهم المعنى الذي قصدوه.

وأيضًا: فإن على معنى مقتضى معتقدهم لا يمكن أن يقال: إن صورة عيسى صورة متأصلة لله سبحانه حتى يتفرع على ذلك أن يخلق آدم على صورتها بل الأمر بالعكس؛ فإنهم يمكنهم أن يقولوا ظهر الله سبحانه على صورة آدم في بدن عيسى ليكون أقرب إلى هداية عباده الذين هم أولاد آدم ليمكنهم بمشابهة صورته لصورهم من مخاطبته وفهم مقاصده واتباعه وامتنال أمره ونبيه والسؤال بعينه وارد على قوله: وأبدع الله الإنسان على صورة الله، صنفه ذكرًا وأنثى صنعهما وباركهما الله. وفي نسخة: فخلق الله آدم بصورته بصورة الله خلقه ذكرًا وأنثى.

وسادسها: كيف يحسن أن يقال: واملأ الأرض واستوليا عليها مع أنهما لم يخلقا إلا للجنة؛ ولهذا قال: وباركها أي حال الرضا، ولم يخرجها إلى الأرض إلا بعد ذلك على خلاف الأصل لما عرض لهما إن عصيا فاستحقا العقوبة^(١).

وأيضًا فإنه لا يحسن أن يقال: باركهما بل يقال بارك فيهما لأنه فعل لازم لأنه لا يتعدى إلا بحرف الجر.

الشرق وقد كانت إلى الشمال إلى الجدي، وبنى الملك قسطنطين بيت لحم على محل مولد المسيح، وبنّت أمه هيلانة القيامة يعني على قبر المصلوب وهم يسلمون لليهود أنه المسيح، وقد كُفرت هؤلاء وهؤلاء وضعوا القوانين والأحكام ومنها مخالف للعتيقة التي هي التوراة وأحلوا أشياء هي حرام بنص التوراة ومن ذلك الخنزير، وصلوا إلى الشرق، ولم يكن المسيح صلى إلا إلى صحرة بيت المقدس وكذلك جميع الأنبياء بعد موسى ومحمد خاتم النبيين صلى إليها بعد هجرته إلى المدينة ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا ثم حول إلى الكعبة التي بناها لإبراهيم الخليل.

البداية والنهاية لابن كثير (١/٤٨٠، ٤٨١).

(١) قال تعالى: ﴿ وَقَلْنَا يَتَادَمُ أَسْكُنْ أَذَىٰ وَرَوْحَكَ الْجَنَّةَ وَكَلَّا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٠﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقَلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢١﴾ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [البقرة: ٣٥-٣٨].

وسابعها: كيف يحسن أن يقال: وقال الله ها أنا ذا قد أعطيتكما كل عشب مزروع، ثم قال بعده: وكان كذلك فإن قولك: وكان كذلك، إنما يحسن عقيب الأمر ليتين به ظهور الامتثال أو عقيب الخبر الذي يمكن صدقه وكذبه ليين به صدقه، وهذا ليس أمراً ولا خبراً يمكن كذبه .

وثامنها: كيف يحسن أن يقال: وكمل الله في اليوم السادس جميع أعماله واستراح^(١) في اليوم السابع.

فإن الاستراحة إنما تطلق على من يناله التعب فأما من أفعاله بالأمر التكويني يقول للشيء كن فيكون، فذلك في حقه ممتنع. والسؤال بعينه وارد على قوله بعده: و قدسه من أجل أنه فيه استراح.

السؤال على القراءة الخامسة

من السفر الأول

من ثمانية عشر وجهاً:

أحدها: كيف يحسن أن يقال: هذا كتاب خلقه السموات والأرض إذا خلقتنا يوم خلق الله السماء والأرض^(٢)؟

(١) قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨]. فيه تقرير للمعاد لأن من قدر على خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن قادر على أن يحيي الموتى بطريق الأولى و الأخرى، وقال قتادة قالت اليهود - عليهم لعائن الله - خلق الله السموات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع وهو يوم السبت وهم يسمونه يوم الراحة فأنزل الله تعالى تكذيبهم فيما قالوه وتأولوه ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ أي من إعياء ولا تعب ولا نصب. تفسير ابن كثير (٤/٢٢٩)

(٢) في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ إِندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَدَّرَ فِيهَا أَنْهَارًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ ﴾ ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت: ٩-١١]. فهذا يدل على أن الأرض خلقت قبل السماء لأنها كالأساس للبناء.

وتمسك بعض الناس بقوله تعالى: ﴿ ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾ ﴿ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ﴾ ﴿ وَأَغَطَّشَ لِيلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾ ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا ﴾

فإن معنى قوله: يوم خلق الله السموات والأرض هو معنى قوله: إذا خلقتا بعينه. كيف كرره من غير فائدة زائدة، وكيف جعل أحد الظرفين ظرفاً للآخر؟ وفي نسخة: هذا شأن السماء والأرض إذا خلقتا يوم خلق الله السماء والأرض. وفي نسخة: وكل عشب الحرث لم يكن على وجه الأرض، ولم يكن يومئذ (أربع) (١).

وثانيها: كيف يحسن أن يقال: يوم خلق الله السماء والأرض؟ فإن ظاهره أنهما خلقتا في يوم واحد، وهو خلاف ما تقدم من التصريح بأن السماء خلقت في اليوم الثاني، والأرض في اليوم الثالث.

وثالثها: كيف يحسن أن يقال: وكل خضر الحقل لم يكن أولاً على وجه الأرض (٢)؟ ثم يعلل ذلك بقوله بعده: لأن الله لم يكن أنزل مطراً على وجه الأرض، مع أنه قد صرح بعد ذلك بقوله: وكانت عين تصعد من الأرض وتسقي كل وجه الأرض، فإنه متى سقت العين، لم يحتج في إنبات الخضر والعشب إلى ماء المطر، فلم يحسن أن يعلل عدم الإنبات بعدم المطر للاستغناء عنه بماء العين.

ورابعها: كيف يحسن أن يقال: ويسقي كل وجه الأرض؟ فإنه يمتنع في العادة أن يسقي الأرض كلها بماء عين واحدة، لإخلاف وجه

وَمَرَعْنَهَا ﴿١٠﴾ وَالْجِبَالِ أَرْسَنَهَا ﴿١١﴾ مَتَعًا لَكُمْ وَلَا تَعْمِكُمْ ﴿١٢﴾ [النازعات: ٢٧-٣٣]. بأن خلق السماء تقدم على خلق الأرض ولم يفهموا هذه الآية الكريمة فإن مقتضى هذه الآية أن دحا الأرض وإخراج الماء والمرعى منها بالفعل بعد خلق السماء، وقد كان ذلك مقدرًا فيها بالقوة كما قال تعالى: ﴿وَنَبْرُكٍ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتًا﴾ [فصلت: ١٠] أي هيا أماكن الزرع ومواضع العيون والأنهار، ثم لما أكمل خلق صورة العالم السفلي والعلوي دحا الأرض فأخرج منها ما كان مودعًا فيها فخرجت العيون وجرت الأنهار ونبت الزرع والثمار، ولهذا فسر الدحا بإخراج الماء والمرعى منها وإرساء الجبال فقال: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحْنَهَا﴾ ﴿١٣﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرَعْنَهَا ﴿١٤﴾ [النازعات: ٣٠-٣٢]. مختصرًا من البداية والنهاية (٢٨/١، ٢٩)

(١) كذا بالأصل.

(٢) قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٢].

الأرض بالجبال والأودية المختلفة، وجزائر البحار، وتبعد أراضي بعض الأقاليم من بعض، ولو تصور الإنسان في نفسه سقي الأرض كلها بأكبر نهر في الأرض كالنيل^(١) مثلاً لوجده متعددًا في العادة، مع أن هذا الكلام سبق لبيان كيفية الخلق الأول على سنة الله في خلقه.

ولم يسبق لبيان خلق السوائد بإظهار القدرة الإلهية الخارجة عن العادة كما يفعل في معجزات الأنبياء لغرض تصديقهم في دعوى الرسالة إلى البشر.

وفي نسخة: وكانت المياه تصعد من الأرض بدل عين^(٢).

وخامسها: كيف يحسن أن يقال: ونصب الله الفردوس في عدن مقابل الشرق مع أن الفردوس جنة أيضًا فيها أرض وأشجار مثل عدن؟

كما صرح عقيبه بأن شجرة الحياة في وسطها، وأن نهرًا يخرج من عدن ليسقيها.

وظاهر قوله: نصب يفهم منه أنه شيء كالخيمة التي تنصب أو الميزان الذي ينصب أو العمود الذي ينصب أو نحوها، فكان اللفظ الدال عليها.

وخلق الله تعالى الفردوس، فلم عدل عن اللفظ الصريح على الموهوم.

وسادسها: كيف يحسن أن يقال مقابل الشرق وكل شيء في الجنة أو في الأرض فهو مقابل الشرق والغرب، والجهات كلها وليس للشرق مزية في المقابلة على الغرب ونحوه.

وسابعها: كيف يحسن أن يقال بأن النهر الخارج^(٣) من عدن ينقسم أربعة أنهار:

(١) قال في البداية والنهاية (٣٩/١، ٤٠): أما النيل وهو النهر الذي ليس في أنهار الدنيا له نظير في خفته ولطافته وبعد مسراه فيما بين مبتداه إلى منتهاه . وقال ابن سينا: له خصوصيات دون مياه سائر الأرض فمنها أنه أبعدا مسافة من مجراه إلى أقصاه ومنها أنه يجري على صخور ورمال ليس فيه خز ولا طحلب ولا أوحال، ومنها: أن زيادته في أيام نقصان سائر الأنهار ونقصانه في أيام زيادتها وكثرتها.

(٢) امتن الله تعالى على عباده بما خلق لهم من البحار والأنهار فالبحر المحيط بسائر أرجاء الأرض وما نبئت منه في جوانبها الجميع مالح الطعم مر. وأما الأنهار فمأوها حلو عذب فرات سائغ شراهها لمن أراد ذلك، وجعلها جارية سارحة ينبعها الله تعالى في أرض ويسوقها إلى أخرى رزقا للعباد ومنها كبار ومنها صغار بحسب الحاجة والمصلحة المرجع السابق (٣٥/١).

(٣) روى مسلم في صحيحه [٢٦/(٢٨٣٩)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ١٠-باب ما في

أحدها: قيسون يحيط بأرض الهند، وثانيها: جيحان يحيط بأرض الحبشة - وفي نسخة: بأرض كوش-، وثالثها: الدجلة الذاهبة نحو الموصل، ورابعها: الفرات^(١)؟

فإن ظاهره أن الأرض التي نحن عليها متصلة بأرض الحبشة ليتمكن أن تجري الأنهار من الجنة إلى أرضنا، ولو كان كذلك لاتصل بالجنة بعض الناس السالكين في الأرض مع تطاول السنين وأيضاً: فإن ظاهر حال جريان هذه الأنهار وهيقتها أن الجنة محيطة بالأرض، فتكون أرضنا التي نحن فيها في وسط الجنة .
فنكون نحن في وسط الجنة، وهو ظاهر الفساد.

وثالثها: كيف يحسن أن يقال: ومن شجرة^(٢) علم الخير والشر لا تأكل إنك يوم تأكل منها مرة تموت مع أنه أكل منها هو وحواء كما يأتي، ولم يموتا^(٣).

الدنيا من أنهار، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «سيحان وجيحان، والفرات والنيل، كل من أنهار الجنة». قال النووي: أما كون هذه الأنهار من ماء الجنة ففيه تأويلان ذكرهما القاضي عياض:- أحدهما: أن الإيمان عم بلادها أو الأجسام المتغذية بمائها صائرة إلى الجنة. والثاني: وهو الأصح أنها على ظاهرها وأن لها مادة من الجنة والجنة مخلوقة موجودة اليوم عند أهل السنة شرح مسلم للنووي (١٤٦/١٧) طبعة دار الكتب العلمية.

(١) قال في البداية والنهاية (٤٠/١): أما الفرات فأصلها من شمالي الروم فتمر إلى قرب ملطية ثم تمر على شيشاط على البيرة قبليها، ثم تشرق على بالس وقلعة بعبر ثم الرقة ثم إلى الرحبة شماليها، ثم إلى عانة ثم إلى هيت، ثم إلى الكوفة ثم تخرج إلى فضاء العراق ويصب في بطائح كبار أي بحيرات وترد إليها ويخرج منها أنهار كبار معروفة.

(٢) قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَتَقَادِمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ٣٥].

قال ابن كثير الصواب أن يقال إن الله عز وجل نأوه نهي آدم وزوجه عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها فأكلا منها، ولا علم عندنا بأي شجرة كانت على التعيين لأن الله لم يضع لعبادة دليلاً على ذلك في القرآن ولا في السنة الصحيحة، وقد قيل: كانت شجرة البر، وقيل كانت شجرة العنب، وقيل كانت شجرة التين، وجائز أن تكون واحدة منها، وذلك علم إذا علم لم ينفع العالم به علمه، وإن جهله جاهل لم يضره جهله به والله أعلم. تفسير ابن كثير (٧٩/١)

(٣) قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَقَادِمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾

[طه: ١٢٠]. يعني: التي من أكل منها خلد ودام مكته. كذا في تفسير ابن كثير (١٧٢/٣).
وقال في البداية والنهاية (٩٥/١، ٩٦) أي هل أدلك على الشجرة التي إذا أكلت منها حصل

وتاسعها: كيف يحسن أن يقال في القراءة الخامسة، فقال الرب الإله: لا يحسن الإنسان أن يكون وحده نصنع له معيّنًا مثله بعد قوله قبل ذلك في القراءة الرابعة صنعه ذكرًا وأنثى صنعهما وباركهما؟ والسؤال بعينه وارد على قوله بعد ذلك، ولم يجد آدم معينا له، فإنه قد صنع له معيّنًا^(١).

قال: قيل إن هذين الكلامين إخبارًا عن حال آدم قبل خلق حواء.

وذلك الكلام الأول الذي في القراءة الرابعة إخبارًا عن حال آدم بعد خلق حواء، ولا يمتنع أن يخبر الله عن الحالة الأولى بعد الإخبار عن الحالة الثانية.

قلت: هب أنه لا يمتنع، ولكن الترتيب الطبيعي والجريان على مقتضى الوجود الخارجي يقتضيان أن يخبر عن الحالة الأولى قبل الإخبار عن الثانية فما الحكمة في عكسهما وسلوك الترتيب الموهوم^(٢)؟

وعاشرها: كيف يحسن أن يقال: وقال آدم الآن، فهذه عظم من عظامي فقط، ولحم من لحمي، عقيب قوله: فأنشأ الرب الإله الضلع الذي أخذه من آدم امرأة^(٣).

لك الخلد فيما أنت فيه من النعيم واستمررت في ملك لا يبید ولا ينقضی وهذا من التغریر والتزوير والإخبار بخلاف الواقع.

(١) حكى السدي عن أبي صالح وأبي مالك عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة أنهم قالوا: أخرج إبليس من الجنة، وأسكن آدم الجنة فكان يمشي فيها وحشي ليس له فيها زوج يسكن إليها فنام نومة فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة، خلقها الله من ضلعه، فسألها من أنت؟ قالت: امرأة، قال: ولما خلقت؟ قالت: لتسكن إلي، فقالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من علمه: ما اسمها يا آدم؟ قال: حواء، قالوا: ولم كانت حواء؟ قال: لأنها خلقت من شيء حي. البداية والنهاية لابن كثير (٩٢/١).

(٢) قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أُنْقُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَنَسَّ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنَسَاءً وَأُنْقُوا إِلَهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

يقول تعالى أمرًا خلقه بتقواه وهي عبادته وحده لا شريك له ومنها لهم على قدرته التي خلقهم بها من نفس واحدة وهي آدم عليه السلام، ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ وهي حواء عليها السلام خلقت من ضلعه الأيسر من خلفه وهو نائم فاستيقظ فرأها فأعجبه، فأنس إليها وأنست إليه. تفسير ابن كثير (٤٤٨/١).

(٣) قال ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس قال: خلقت المرأة من الرجل فجعلت نهمتها في الرجل

فإن مقتضى هذا أن يقول آدم: هذه عظم من عظامي فقط، أما اللحم من لحمي فلا، لأنها إنما خلقت من الضلع على ما ذكره على أن آدم لما خلقت حواء من ضلعه، كان الله قد ألقى عليه السبات، فكيف يحسن منه أن يخبر بما لا يتحققه^(١).
فإن قيل: لعله أعلمه الله بذلك. قلت: لو أعلم به لأخبر عنه إخباراً مطابقاً لخبر الله عنه، ولم يزد فيه الزيادة المذكورة.

وحادي عشرها: كيف يحسن أن يقال: من أجل ذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلصق بامرأته، ويكون كلاهما جسداً واحداً^(٢).
فإن التصاقه بهما لو كان كذلك لالتصق بكل امرأة من زوجة أو غيرها، وإنما

وخلق الرجل من الأرض فجعلت نهمته في الأرض فاحبسوا نساءكم، وروى البخاري في صحيحه (٣٣٣١). ورواه مسلم في صحيحه [٥٩- (١٤٦٨)]. كتاب الرضاع، ١٨-باب الوصية بالنساء، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتمها، وكسرهما طلاقها». قال النووي: وفيه دليل لما يقوله الفقهاء أو بعضهم أن حواء خلقت من ضلع آدم، قال الله تعالى: ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [النساء: ١]. وبين النبي ﷺ أنها خلقت من ضلع انظر شرح مسلم للنووي (٤٩/١٠) طبعة دار الكتب العلمية.
(١) قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ ﴾ [الأعراف: ١٨٩]. وقال ابن كثير ذكر محمد بن إسحاق عن ابن عباس: أنها خلقت من ضلعه الأقصر الأيسر وهو نائم ولأم مكانه لحماً. وفي قوله تعالى: ﴿ وَقَلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥]. أن خلق حواء كان قبل دخول آدم الجنة البداية والنهاية لابن كثير (٩٢/١).

(٢) قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

أي: خلق لكم من جنسكم إناناً تكون لكم أزواجاً ﴿ لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ كما قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٩]. يعني بذلك حواء خلقها الله من آدم من ضلعه الأقصر الأيسر ولو أنه تعالى جعل بني آدم كلهم ذكوراً وجعل إناثهم من جنس آخر من غيرهم إما من جان أو حيوان لما حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج بل كانت تحصل نفرة لو كانت الأزواج من غير الجنس. تفسير ابن كثير (٤٤٤/٣).

التصق بها؛ لأنها محل شهوته فقط، ولم يلتصق بغيرها؛ لأنها ليست محل شهوته^(١).
 وثاني عشرها: كيف يحسن أن يقال: فقالت الحية للمرأة ليس موتا تموتان، لكن الله يعلم أنكما يوم تأكلان منها تفتتح أعينكما، وتكونان كالألهة تعلمان الخير والشر؟
 أفكانت الحية^(٢) التي هي من وحوش الأرض أعقل من آدم وحواء، وأفهم منهما، وأعلم بحقائق الأمور وبمراد الله تعالى منهما مع تمام علم آدم كما تقدم قبل هذا في قوله: وخلق الله كل وحش الحقل، وكل طير السماء، وأتى بهم على آدم لينظر ما يسميهم، وكل اسم أسماهم به آدم، ولقب به نفساً حية^(٣)، فهو اسمها، فأين هذا من ذلك؟

فإن قيل: لعل الحية تكلمت بهذا عن جهل وادعاء للمعرفة .
 قلنا: تمام الكلام يؤكد أن هذا عن علم منها وجهل من آدم وحواء، وهو قوله: وأعطت لبعليها أيضاً معها فأكل^(٤)، فانفتحت أعينهما الاثنان، وعلمتا بأنهما عريانان.

(١) من تمام رحمة الله ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم وجعل بينهم وبينهن مودة وهي الحبة ورحمة وهي الرأفة فإن الرجل يمسك المرأة إما محبته لها أو لرحمة بها بأن يكون لها منه ولداً ومحتاجاً إليه في الإنفاق أو للألفة بينهما وغير ذلك. المرجع السابق (٤٤٤/٣).
 (٢) قال ابن كثير في البداية والنهاية (٩٦/١) -: وفي كتاب التوراة التي بين أيدي أهل الكتاب: أن الذي دل حواء على الأكل من الشجرة هي الحية وكانت من أحسن الأشكال وأعظمها فأكلت حواء عن قولها وأطعمت آدم عليه السلام وليس فيها ذكر لإبليس فعند ذلك انفتحت أعينها وعلمتا أنهما عريانان فوصلا من ورق التين وعملا مآزر وفيها أنهما كانا عريانين، وكذا قال وهب بن منبه كان لباسهما نوراً على فرجه وفرجها. هذا الذي في هذه التوراة التي بأيديهم غلط منهم وتخريف وخطأ في التعريب، فإن نقل الكلام من لغة إلى لغة لا يكاد يتيسر لكل أحد ولا سيما ممن لا يعرف كلام العرب جيداً، ولا يحيط بفهم كتابه أيضاً، فلماذا وقع في تعريبهم لها خطأ كبير لفظاً ومعنى .

(٣) في قوله تعالى: ﴿ وَقَلْنَا أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة: ٣٨]. قال ابن كثير: (وهذا خطاب لأدم وحواء، وإبليس قيل: والحية معهم، أمروا أن يهبطوا من الجنة في حال كونهم متعادين متحاربين. وقد يستشهد لذكر الحية معهما بما ثبت في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه أمر بقتل الحيات وقال: «ما سالمناهن منذ حارباهن».)
 (٤) اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ [البقرة: ٣٥] فقيل: هي الكرم.

وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والشعبي وجعدة بن هبيرة ومحمد بن قيس والسدي في رواية عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة قال: وتزعم يهود أنها الحنطة، وهذا =

وأيضًا فكيف يحسن أن يقال: كالألهة، ولم يعرف يومئذ إلا إله واحد، ولم يوجد إلى الآن كفر ولا شرك، ولا تكثر في المعبود؟

وأيضًا فكيف يحسن أن يقال: ويكونان كالألهة يعلمان الخير والشر؟ أفكان آدم وحواء^(١) جاهلين لا يعلمان الخير والشر مع تمام علم آدم كما تقدم، كأن قيل لعلها تكلمت بهذا لتعليم إبليس إياها، أو لأن إبليس من بين أنبياء تكلم به؟ قلنا: هذان كلاهما خلاف ظاهر لفظ التوراة على أنا نقول كيف يصح تكلم الحية، وليست ناطقة؟

وثالث عشرها: كيف يحسن أن يقال: ورأت المرأة أن الشجرة طيبة المأكل، مع أنها لم تأكل منها إلى الآن، ولم نعرف طعمها ولا أنها طيبة أم لا؟ ورابع عشرها: كيف يحسن أن يقال: فأكلا فانفتحت أعينهما وعلمتا بأنهما عريانان؟ أفكانا أعميين قبل الأكل، أو منطقي العين مع قوله: قبل هذا ورأت المرأة

مروي عن ابن عباس والحسن البصري ووهب بن منه وعطية العوفي وأبي مالك ومخارب بن دثار وعبد الرحمن بن أبي ليلى وقال وهب: والحية منه ألين من الزبد وأحلى من العسل، وعن أبي مالك: هي النخلة، وعن مجاهد هي التينة. قصص الأنبياء لابن كثير ص ٢١.

(١) في الجنة التي أسكنها الله آدم قال ابن كثير: الخلاف في أن هذه الجنة التي دخلها آدم هل هي في السماء أو في الأرض؟ هو الخلاف الذي ينبغي فصله والخروج منه، والجمهور على أنها هي التي في السماء وهي جنة المأوى لظاهر الآيات والأحاديث كقوله تعالى: ﴿وَقَلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]. والألف واللام ليست للعموم ولا لمعهود لفظي وإنما تعود على معهود ذهني وهو المستقر شرعًا من جنة المأوى. وكقول موسى عليه السلام لآدم عليه السلام «علام أخرجتنا ونفسك من الجنة؟» وقال آخرون: بل الجنة التي أسكنها آدم لم تكن جنة الخلد؛ لأنه كلف فيها أن لا يأكل من تلك الشجرة ولأنه نام فيها، وأخرج منها ودخل عليه إبليس فيها وهذا مما ينافي أن تكون جنة المأوى وقال القاضي الماوردي في تفسيره: اختلف في الجنة التي أسكنها يعني آدم وحواء على قولين أحدهما: أنها جنة الخلد، والثاني: جنة أعداها الله لها وجعلها دار ابتلاء وليست جنة الخلد التي جعلها دار جزاء، ومن قال بهذا اختلفوا على قولين: - أحدهما: أنها في السماء لأنه أهبطها منها. وهذا قول الحسن، والثاني أنها في الأرض لأنه امتحنها فيها بالنهي عن الشجرة التي نها عنها دون غيرها من الثمار وهكذا قول ابن يحيى، وكان ذلك بعد أن أمر إبليس بالسجود لآدم والله أعلم بالصواب. البداية والنهاية لابن كثير (٩٣/١).

أن الشجرة طيبة المأكلة شهية لنظر العين وحسنة المنظر، فأين هذا من ذاك أم كانا جاهلين بأنهما عريانان مع تمام علم آدم كما تقدم، فأين هذا الجهل التام من ذلك العلم التام؟

فإن قيل: لعل المراد انفتاح أعين البصيرة، لا عين البصر.

قلت: هذا تأويل مخالف للظاهر، مع أنه لا يصح، لأن العاصي لا يناسبه أن

يترتب على معصيته انفتاح بصيرته، بل المناسب أن تعمى بصيرته.

وخامس عشرها: كيف يحسن أن يقال: وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في

الفردوس عند المساء، فاختنى آدم وزوجته^(١) من وجه الرب الإله في وسط شجر

الفردوس مع أن الرب سبحانه وتعالى منزه عن الصوت ماشياً؟

وهم وإن جوزوا تجسده في عيسى عليه السلام^(٢)، عند ظهوره على معتقدتهم،

إلا أنهم ليسلمون أنه في الجنة، لم يتجسد. وأيضا فإن آدم أتم علماً من أن يتوهم أنه

يمكنه أن يختفي من الرب سبحانه في شجر الفردوس وهذان السؤالان واردان بعينهما

على قوله بعد هذا: فقال: سمعت صوتك ماشياً في الفردوس؟ فحفت لأني عريان،

فاختفيت^(٣).

(١) قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَ بَدَتْ لهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا مَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾

[الأعراف: ٢٢]. وقال ابن كثير في تفسيره (٢/٢١٠). قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة

عن الحسن عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان آدم رجلاً طويلاً كأنه نخلة سحق كثير شعر

الرأس، فلما وقع فيما وقع فيه من الخطيئة بدت له عورته عن ذلك وكان لا يراها فانطلق

هارباً في الجنة فتعلقت برأسه شجرة من شجر الجنة فقال لها: أرسليني، فقالت إني غير

مرسئلتك، فناداه ربه عز وجل يا آدم أمني تفر؟ قال: يا رب إني استحييتك.

(٢) قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٣٠].. الآيات. قال في

البداية والنهاية «هذا أول كلام تفوه به عيسى ابن مريم فكان أول ما تكلم به أن قال إني عبد

الله» اعترف لربه تعالى بالعبودية، وأن الله ربه فنزه جناب الله عن قول الظالمين في زعمهم أنه

ابن الله، بل هو عبده ورسوله وابن أمته، ثم برأ أمه مما نسبها إليه الجاهلون وقذفوها به

ورموها بسببه بقوله ﴿ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ فإن الله لا يعطي النبوة من هو كما

زعموا لعنهم الله وقبحهم. البداية والنهاية (١/٤٤٤).

(٣) قال عبد الرزاق بسنده عن ابن عباس قال: كانت الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته

السنيلة فلما أكلا منها بدت لهما سواتهما، وكان الذي وارى عنهما من سواتها أظفارهما

وطبقاً يخصفان عليهما من ورق الجنة -ورق التين- يلزقان بعضه إلى بعض فانطلق آدم عليه

السلام مولياً في الجنة فعلقت برأسه شجرة من الجنة فناداه الله يا آدم أمني تفر؟ قال: لا

وسادس عشرها: كيف يحسن أن يقال ودعا الرب الإله آدم، وقال له: آدم أين أنت؟.

مع أن الله تعالى لا يخفى عليه آدم ولا مكانه بل ولا يخطر بسر آدم؟ وسابع عشرها: كيف يحسن أن يقال: فقال له: من عرفك أي عريان؟ أكان آدم يحتاج في معرفة نفسه أنه عريان إلى من يعرفه بذلك؟ ما على هذا في الجهالة مزيد، ولا يتوهم في حق آدم مثل هذا، بل ولا في حق أجهل أحدنا نحن.

وثامن عشرها: كيف يحسن أن يقال: إن آدم اعتذر عن معاتبة الله إياه في أكل الشجرة المنهي عن أكلها في قوله: لولا أنك أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها بقوله: إن المرأة التي جعلت معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت؟^(١). وكيف يليق بآدم أن يعتذر عن معصية الله بأن المرأة أعطته فأكل؟^(٢).

ولكني استحييتك يا رب. قال: أما كان لك فيما منحتك من الجنة وأبحتك منها مندوحة عما حرمت عليك؟ قال: بلى يارب ولكن وعزتك ما حسبت أن احداً يحلف بك كاذباً قال: وهو قول الله عز وجل ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُ مَأْمُونٌ لِّمَنِ النَّصِيحِينَ ﴾ [الأعراف: ٢١] تفسير ابن كثير (٢/٢١١).

(١) أباح الله لآدم عليه السلام ولزوجته حواء الجنة أن يأكلا منها من جميع شاربها إلا شجرة واحدة. فعند ذلك حسدهما الشيطان وسعى في المكر والوسوسة والخديعة ليسلبهما ما هما فيه من النعمة واللباس الحسن «وقال» كذباً وافتراءً ﴿ مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ ﴾ [الأعراف: ٢٠]. أي لئلا تكونا ملكين أو خالدين ههنا ولو أنكما أكلتما منها لحصل لكما ذلكما لقوله ﴿ قَالَ يَتَفَادِمُ هَلْ أَذُوكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْتَلِي ﴾ [طه: ١٢٠]. ﴿ وَقَاسَمَهُمَا ﴾ أي حلف لهما بالله على ذلك حتى خدعهما، وقد يخدع المؤمن بالله، وقال قتادة في الآية حلف بالله إني خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعان أرسلكما، وكان بعض أهل العلم يقول من خدعنا بالله انخدعنا له. تفسير ابن كثير (٢/٢١٠).

(٢) روى البخاري في صحيحه (٣٣٣٠) كتاب أحاديث الأنبياء، ١-باب خلق آدم وذريته، ومسلم في صحيحه (٦٣-١٤٧٠) [كتاب الرضاع ١٩-باب لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر.

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ عليه وسلم قال: «لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يختر اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر». قال النووي: وحواء بالمد روينا عن ابن عباس قال: سبت حواء لأنها أم كل حي، قيل: لأنها ولدت لآدم أربعين ولدًا في عشرين بطنًا

السؤال على القراءة السابعة

من ثلاثة أوجه - ولم أجد القراءة السادسة في التوراة :-

أحدها: كيف يحسن أن يقال: وقال الرب الإله: إن آدم قد صار كواحد منا يعلم الخير والشر^(١). أيتوهم عاقل أن الألهية تكتسب فضلا عن أنها تكتسب بالأكل أيضًا. فإن قوله: كواحد منا، يدل على تكثر الرب سبحانه، واليهود لا تقول به بل يعتقدون التوحيد .

وثانيها: كيف يحسن أن يقال عقيب هذا عساه الآن يقدم يده، فيأخذ من شجرة الحياة فيأكل^(٢). منها فيحيا إلى الدهر، فإن ظاهره أن الحياة والموت ليس بيد الله وقدرته، بل بسبب بعض المأكولات وأن الله خشي من حياته الأبدية بسبب أكل الشجرة، فأخرجه^(٣) من الفردوس، ولو كان أكل الشجرة الأولى موجبًا لعلم الخير

في كل بطن ذكر وأنثى، واختلفوا متى خلقت من ضلع آدم، فقيل قبل دخوله الجنة فدخلها، وقيل: في الجنة، قال القاضي: ومعنى هذا الحديث أنها أم بنات آدم فأشبهنها، ونزع العرق لما جرى لها في قصة الشجرة مع إبليس فزين لها أكل الشجرة فأغواها فأخبرت آدم بالشجرة فأكلها منها النووي في شرح مسلم (٥٠/١٠) طبعة دار الكتب العلمية.

(١) قال تعالى ﴿ يَنْبَغِي ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَمِيمًا ﴾ [الأعراف: ٢٧].

يدل هذا على أن السبب في إخراج آدم من الجنة إنما هو إبليس لعنه الله بإغوائه له.

(٢) قال في البداية والنهاية (٩٨/١): روى الحافظ ابن عساكر عن مجاهد قال: أمر الله ملكين أن يخرجوا آدم وحواء من جوارح فتنزع جبريل التاج عن رأسه وحل ميكائيل الإكليل عن جبينه، وتعلق به غصن فظن آدم أنه قد عوجل بالعقوبة فنكس رأسه يقول: العفو العفو . فقال الله: فرارًا مني؟ قال: بل حياء منك يا سيدي .

قال الأوزاعي، عن حسان هو ابن عطية: مكث آدم في الجنة مائة عام، وفي رواية ستين عامًا، وبكى على الجنة سبعين عامًا، وعلى خطيئته سبعين عامًا، وعلى ولده حين قتل أربعين عامًا.

(٣) عن الحسن قال: أهبط آدم بالهند، وحواء بجدة وإبليس بدستمتسان من البصرة على أميال، وأهبطت الحية بأصهبان، رواه ابن أبي حاتم .

وقال السدي: نزل آدم بالهند، ونزل معه الحجر الأسود، وبقبضة من ورق الجنة، فبثه في الهند وعن ابن عمر قال: أهبط آدم بالصفاء، وحواء بالمرورة رواه ابن أبي حاتم أيضًا.

وقال عبد الرزاق بسنده عن أبي موسى الأشعري قال: إن الله حين أهبط آدم من الجنة إلى الأرض علمه صنعة كل شيء وزوده من ثمار الجنة، فتماركم هذه من ثمار الجنة غير أن هذه

والشر. وأكل الثانية موجِبًا للحياة الأبدية كما هو ظاهر اللفظ لكان آدم عقيب أكل الشجرة الأولى أكل من الثانية ضرورة من غير تأخير إذ قد علم الخير والشر فيعلم أن هذا خير فلا يمكنه الصبر عنه أصلاً.

وأيضاً فإن لفظ عسى لتوقع ما يشتهي المتكلم فلا يناسب هذا المحل بل المناسب لفظ: أخشى. وفي نسخة: لعل الأب يقدم يده.

وثالثها: كيف يحسن أن يقال: وأمر الكروبيم وخزنة طيب النار (المتعلية)^(١)، ليحفظ طريق شجرة الحياة عقيب قوله: فأخرجه الرب الإله من فردوس النعيم ليعمل في الأرض، فإن آدم في الأرض خارج الفردوس .

فكيف يمكنه الدخول إلى الفردوس بغير إذن الله حتى يحتاج إلى حفظ طريق الشجرة وهي داخل الفردوس.

وأيضاً فلو كان دخول الفردوس^(٢) بغير إذن الله ممكناً لدخلها الآن كل أحد منا أو بعضنا ولكان المناسب له أن يقال: ليحفظ دار الفردوس التي هي دار النعيم، لئلا يدخلها آدم العاصي بعد إخراجها منها، سواء أكل من الشجرة أم لا^(٣).

تغيير وتلك لا تتغير. البداية والنهاية (٩٨/١)

(١) كذا بالأصل.

(٢) في الجنة التي سكنها آدم اختلف فيها كما تقدم في التخرجات السابقة.

قال في البداية والنهاية (٩٣/١، ٩٤): ولقد حكى أبو عبد الله الرازي في تفسيره في هذه المسألة أربعة أقوال: هذه الثلاثة التي أوردها الماوردي (وقد تقدمت) ورابعها الوقف، وحكى القول بأنها في السماء وليست جنة المأوى عن أبي علي الجبائي.

(٣) أورد أصحاب القول بأن الجنة التي أعدها الله لهما وجعلها دار ابتلاء وليست جنة الخلد التي جعلها دار جزاء فقالوا: إن الله سبحانه وتعالى طرد إبليس حين امتنع من السجود عن الحضرة الإلهية وأمره بالخروج عنها والهبوط منها وهذا الأمر ليس من الأوامر الشرعية بحيث يمكن مخالفته وإنما هو أمر قدرى لا يخالف ولا يمانع ولهذا قال: ﴿ قَالَ أَخْرَجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الأعراف: ١٨]. والضمير عائد إلى الجنة أو السماء أو المنزلة وأياما كان معلوم أنه ليس له الكون قدرًا في المكان الذي طرد منه وأبعد عنه لا على سبيل الاستقرار ولا على سبيل المرور والاجتياز، قالوا: ومعلوم من سياقات القرآن أنه وسوس لأدم وخاطبه وهذا ظاهر في اجتماعه معهما في جنتهما بقوله: ﴿ قَالَ يَتَقَادِمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخَالِدِ وَمَلَكَ لَّا يَبُوءُ ﴾ [طه: ١٢٠].

(في فرجة بخط المصنف: وأخرجه الله ربنا وأحاط من شرق جنة عدن (لا حالتين)^(١) الكروبيم بيده حربة يطوف بها ليحرس طريق شجر الحياة فجامع آدم امرأته فولدت له قايين^(٢) وأيضاً فتخصيص لفظ الإخراج بإخراجه من الفردوس التي هي في وسط عدن كما تقدم. ما وجهه مع أنه أخرج من الجنة مطلقاً إلى الأرض ولم لم يقل فأخرجه من الجنة؟.

وفي نسخة: فأخرجه الله الرب من جنة عدن ليحترث في الأرض^(٣)، وهو أجود.

السؤال على القراءة الثامنة

من أربعة وجوه:

أحدها: كيف يحسن أن يقال فقال الله لقايين: أين هايل أخوك ؟ .

فقال: لا أدري، أرقب أنا على أخي؟.

فإن من يعرف الله مثل هذه المعرفة، وله رتبة. مخاطبة الله لا يمكنه أن يشافهه

بإنكار ما فعله، لا سيما وقد أرفده زيادة في المواقحة بقوله: أرقب أنا على أخي.

وأيضاً فمن تصدر منه هذه المعصية وهي قتل النفس^(٤)، بغير حق، لا سيما

وبقوله: ﴿ مَا نَهْنُكُمْ رَنْكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠].

وقد أجبوا عن هذا: بأنه لا يمتنع أن يجتمع بهما في الجنة على سبيل المرور فيها لا على سبيل الاستقرار بها، أو أنه وسوس لهما وهو على باب الجنة أو من تحت السماء. البداية والنهاية (٩٤/١).

(١) كذا بالأصل

(٢) هذا الكلام وجدناه بالهامش.

(٣) في هبوط آدم عليه السلام وحواء إلى الأرض، أن الجنة التي أسكنها آدم كانت مرتفعة عن سائر

بقاع الأرض ذات أشجار وشار وظلال ونعيم ونضرة وسرور كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ

فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴾ [طه: ١١٨]. أي لا يذل باطنك بالجوع ولا ظاهرك بالعري ﴿ وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ

فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ﴾ [طه: ١١٩]. أي لا يمس باطنك حر الظمأ ولا ظاهرك حر الشمس .

فلما كان منه ما كان من أكله من الشجرة التي نهي عنها أهبط إلى أرض الشقاء والتعب

والنصب والكدر والسعي والنكد والابتلاء والاختبار والامتحان واختلاف السكان ديناً

وأخلاقاً. البداية والنهاية (٩٥/١).

(٤) قال تعالى: ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آدَمَ يَالْحَقُّ إِذْ قَرَّبْنَا قَبْلَآئِنَا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْ

وهو أخ صالح متقبل العمل. كيف يحصل له بعدها رتبة مخاطبة الله تعالى.
وأيضاً فمن يكون له رتبة مخاطبة الله تعالى. كيف تأتي أن يصدر منه هذه
المعصية.

وثانيها: كيف يحسن أن يقال: ومن الآن ملعون أنت من الأرض التي فتحت
فأما وقبلت دم أخيك من يدك^(١)، مع أن اللعنة هي البعد من الله لا من الأرض.
وثالثها: كيف يحسن أن يقال: إن قايين قال: ويكون كل من وجدني يقتلني مع
أن القتل لا يتكرر كتكرار الضرب أو الشتم ونحوه^(٢). بل أو شخص بجده إذا قتله لم

الْأَخِرِ قَالَ لِأَقْتُلَنَّكَ ۗ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا
بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ ۗ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ
فَتَكُونُ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ ۗ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٣﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ
فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٤﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ
أَخِيهِ ۗ قَالَ يَبُوءُ لِي أَنِّي أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ
الْمُنْذِمِينَ ﴿المائدة: ٢٧-٣١﴾.

(١) ذكر السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود، وعن ناس من
الصحابة أن آدم كان يزوج ذكر كل بطن بأنثى الأخرى، وأن هابيل أراد أن يتزوج بأخت
قاييل، وكان أكبر من هابيل، وأخت قاييل أحسن فأراد قاييل أن يستأثر بها على أخيه، وأمره
آدم عليه السلام أن يزوجه إياها فأبى فأمرهما أن يقربا قربانا، وذهب آدم ليحج إلى مكة.
فلما ذهب قربا قربانها فقرب هابيل جذعة سمينه وكان صاحب غنم، وقرب قاييل حزمة من
زرع رديء زرعه فنزلت نار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قاييل فغضب وقال: لأقتلنك
حتى لا تنكح أختي فقال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]. البداية والنهاية (١/١١٣).

(٢) قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۗ قَالَ يَبُوءُ لِي أَنِّي
أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣١].

ذكر بعضهم أنه لما قتله حمله على ظهره سنة وقال آخرون: حمله مائة سنة، ولم يزل كذلك
حتى بعث الله غرابين، قال السدي بإسناده عن الصحابة: أحيان فتقاتلا فقتل أحدهما الآخر
فلما قتله عمد إلى الأرض يحفر له فيها ثم ألقاه ودفنه ورواه فلما رآه يصنع ذلك ﴿قَالَ
يَبُوءُ لِي أَنِّي أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣١]. ففعل مثل ما

يمكن أحد آخر بعده أن يقتله.

ورابعها: كيف يحسن أن يقال: وجعل الرب الإله آية في قايين ألا يقتله كل من يجده مع أن هذا الأمر ليس آية، ولا علامة فيه بل غيره كذلك لا يقتله كل من يجده، فاستوى هو وغيره^(١). وفي نسخة: علامة بدل آية.

ثم السؤال على القراءة التاسعة

من ستة أوجه:

أحدها: كيف يحسن أن يقال وخرج قايين^(٢) من وجه الرب وسكن في أرض نود من شرقي عدن.

فإن هذا لما تقدر أن يراد به أنه خرج من حقيقة الوجه تبين أن يفهم منه أنه

فعل الغراب فواراه ودفنه.

(١) روى البخاري في صحيحه (٣٣٣٥)، كتاب أحاديث الأنبياء، ١- باب خلق آدم وذريته ومسلم في صحيحه [٢٧- (١٦٧٧)] كتاب القسامة والمحاربين والقصاص اللديات، ٧- باب بيان إثم من سن القتل، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقتل نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه كان أول من سن القتل».

(٢) قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يُنَوِّلتِي أَعْمَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّندِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١].

قال السدي بإسناده إلى الصحابة رضي الله عنهم: لما مات الغلام تركه بالعراء ولا يعلم كيف يدفن فبعث الله غرابين أخوين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه فحفر له ثم حتى عليه، فلما رآه قال: ﴿قَالَ يُنَوِّلتِي أَعْمَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّندِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١] وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: جاء غراب إلى غراب ميت فبحث عليه من التراب حتى وراه فقال الذي قتل أخاه: ﴿قَالَ يُنَوِّلتِي أَعْمَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّندِمِينَ﴾ وقال الضحاك عن ابن عباس مكث يحمل أخاه في جراب على عاتقه سنة حتى بعث الله الغرابين فرأهما يبحثان فقال: ﴿أَعْمَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾ فدفن أخاه، وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد كان يحمل على عاتقه مائة سنة ميتًا لا يدري ما يصنع به يحمله ويصنعه إلى الأرض حتى رأى الغراب يدفن الغراب فقال: ﴿قَالَ يُنَوِّلتِي أَعْمَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّندِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١]. البداية والنهاية (٤٧/٢).

خرج من المكان الذي من يكون فيه يكون في وجه الرب لقربه من وجهه، وسكن في أرض نود البعيدة عن وجهه. والرب سبحانه متنزه عن المكان والحيز. وفي نسخة: فخرج قايين من قدامه.

والسؤال عليها أن الأماكن كلها قدامه سبحانه لا يمكن الخروج عنها إلى ما ليس هو قدامه.

وثانيها: كيف يحسن أن يقال هنا: أن أخنوخ بن قايين، ولدته امرأته الذي هو ابن آدم مع أنه ذكر في القراءة العاشرة التي هي سفر كينونة البشر أن أخنوخ بن يرد بن مهلا لايل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم. فإن هذا تناقض في الأنساب ظاهر جداً.

(وفي فرجة بخط المصنف: وفي نسخة: لامك بن متوشيل بن محوايل بن عيراد بن أخنوخ بن قايين بن آدم)^(١).

وثالثها: كيف يحسن أن يقال هنا أن مهلا لايل بن عيراد بن أخنوخ بن قايين، الذي هو ابن آدم مع أنه ذكر في القراءة العاشرة أن مهلا لايل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم، فقد تناقض النسبان أيضاً^(٢).

(١) وجدناه بالهامش.

(٢) قال ابن كثير في البداية والنهاية (١/١١٥):-

والذي رأيته في الكتاب الذي بأيدي أهل الكتاب الذي يزعمون أنه التوراة: أن الله عز وجل أجله وأنظره وأنه سكن في أرض نود في شرقي عدن، وهم يسمونه قنين، وأنه ولد له خنوخ، وخنوخ عندر، ولعندر محوايل، ومحوايل متوشيل ولمتوشيل لامك وتزوج هذا امرأتين عدا وصلا، فولدت عدا ولداً اسمه إبل، وهو أول من سكن القباب، واقتنى المال وولدت أيضاً نوبل... إلى آخر كلامهم» .

ثم قال ابن كثير: هذا مضمون ما في كتابهم صريحاً وفي كون هذه التواريخ محفوظة فيما نزل من السماء نظر كما ذكره غير واحد من العلماء طاعنين عليهم في ذلك والظاهر أنها مقحمة فيها، ذكرها بعضهم على سبيل الزيادة والتفسير، وفيها غلط كثير، وقد ذكر الإمام أبو جعفر بن جرير في تاريخه عن بعضهم أن حواء ولدت لأدم أربعين ولداً في عشرين بطناً قاله ابن إسحاق وساهم والله تعالى أعلم، وقيل: مائة وعشرون بطناً في كل واحد ذكر وأنثى أولهم قاييل وأخته قليما وآخرهم عبد المغيث وأخته أم المغيث.

ثم انتشر الناس بعد ذلك وكثروا وامتدوا في الأرض ونموا كما قال: الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتَقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

ورابعها: كيف يحسن أن يقال هنا أن متوشلح بن مهلا لايل مع أنه ذكر في العاشرة أن متوشلح بن أخنوخ بن يرد بن مهلا لايل، فهذا أيضًا من تناقض الأنساب. ولا يمكن أن يقال لعل هذا من باب اختلاف اسمي الشخص الواحد، لأن اختلاف عدد الأبناء إلى آدم يبطله.

وخامسها: كيف يحسن أن يقال: فإن يكن سبعة أضعاف ينتقم من قايين، فإنه من لامك سبعين مرة وسبعة. فإنه إذا ضعف، بقتل جدّه قايين لأخيه الصالح المتقبل^(١) العمل سبعة.

فما وجه التضعيف بقتل غيره إلى سبعين مرة وسبعة وأيضا في (للمعصية)^(٢)، في نفسه مثل هذه الحرمة من التضعيف، لا يليق بحاله أن يفعلها، فإنه لا يكاد يوضع الإنسان في معصية الله إلا تساهله فيها. واستهتاره بها واستضعافها في جنب عفو الله سبحانه. وفي نسخة: كذلك قايين^(٣) بجزاء واحد سبعة، ولامك إلى سبعة وسبعين.

وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿ [النساء: ١]. البداية والنهاية (١/١١٥، ١١٦).

(١) قال عبد الله بن عمرو: وائم الله إن كان المقتول لأشد الرجلين ولكن منعه التخرج أن ييسط إليه يده. وذكر أبو جعفر الباقر أن آدم كان مباشراً لتقرهما القربان والتقبل من هايل دون قاييل فقال قاييل لأدم: إنما تقبل منه لأنك دعوت له ولم تدع لي وتوعد أخاه فيما بينه وبينه فلما كان ذات ليلة أبطأ هايل في الرعي فبعث آدم أخاه قاييل لينظر ما أبطأ به، فلما ذهب إذا هو به فقال له تقبل منك ولم يتقبل مني، فقال: إنما يتقبل الله من المتقين، فغضب قاييل عندها وضربه بحديدة كانت معه فقتله، وقيل: إنه إنما قتله بصخرة رماها على رأسه وهو نائم فشدخه، وقيل: بل خنقه خنقاً شديداً وعضه كما تفعل السباع فمات والله أعلم المرجع السابق (١/١١٣).

(٢) كذا بالأصل.

(٣) قال ابن كثير في تفسيره (٢/٤٦): قال عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه قال أخذه برأسه ليقتله فاضطجع له وجعل يغمز رأسه وعظامه ولا يدري كيف يقتله، فجاء إبليس فقال: أتريد أن تقتله؟ قال: نعم، قال: فخذ هذه الصخرة فاطرحها على رأسه، قال: فأخذها فألقاها عليه فشدخ رأسه، ثم جاء إبليس على حواء مسرعاً فقال: يا حواء إن قاييل قتل هايل فقالت له: ويحك وأي شيء يكون القتل؟ قال: لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك، قالت: ذلك الموت، قال: فهو الموت، فجعلت تصيح حتى دخل عليها آدم وهي تصيح فقال: ما لك فلم تكلمه، فرجع إليها مرتين فلم تكلمه فقال عليك الصيحة وعلى

وسادسها: كيف يحسن أن يقال وذلك كان يرجو أن يدعو باسم الرب الإله. فإن ظاهره أنه كان كافرًا حينئذ يرجو إيمانه مع أنه لم يكن اختلقت الأديان يومئذ، وكان يرجو أن يدعو باسم الرب، فيكون هذا أيضًا كفرًا. وفي نسخة: هنالك بلي وأن يدعو باسم الله ربنا يا ولد آدم مع أنهم لم (...) (١).

السؤال على القراءة العاشرة

من خمسة أوجه:

أحدها: كيف يحسن أن يقال هذا سفر كينونة البشر في يوم خلق الله آدم بصورة الله، وليس لله سبحانه وتعالى صورة (٢) كما تقدم شرحه. لا سيما وقد ذكر هنا عقبيه قوله: خلقه ذكرًا وأنثى فإن ظاهره في مفهوم التخاطب العربي أنه مفسر بصورة الله تعالى التي خلق آدم عليها (٣)، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. وأيضًا فإنه لا يحسن أن يقال: باركهما، بل يقال: بارك فيهما، لأن بارك فعل لازم لا يتعدى إلى معموله بنفسه، وإنما يتعدى بحرف الجر وقد تقدم مثله في القراءة الرابعة.

وثانيها: كيف يحسن أن يقال هذا سفر كينونة البشر في يوم خلق الله آدم مع أن كينونة البشر المذكورين إنما في مائتين من السنين على ما ذكره .

بناتك وأنا وبني منها برآء. رواه ابن أبي حاتم.

(١) بياض بالأصل.

(٢) روى مسلم في صحيحه [٢٨- (٢٨٤١)] كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ١١- باب يدخل الجنة أقوام، أفئدتهم مثل أفئدة الطير، عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعًا..» الحديث بطوله . قال النووي: الضمير في صورته عائد إلى آدم، أن المراد أنه خلق في أول نشأته على صورته التي كان عليها في الأرض وتوفي عليها وهو طوله ستون ذراعًا ولم ينتقل أطوارًا كذريته، وكانت صورته في الجنة هي صورته في الأرض لم تتغير . شرح مسلم للنووي (١٤٧/١٧) طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) روى أحمد في مسنده (٤٠٠/٤) عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك والخبيث والطيب والسهل والحزن وبين ذلك». وكذلك رواه أبو داود (٤٦٩٣)، والترمذي (٢٩٥٥).

وثالثها: كيف يحسن أن يقال: ولد له ولد يشبهه على صورته^(١)، فليس في هذا الكلام مزية لآدم. ولا فائدة للمستمع. لاسيما شيث^(٢)، ليس أول أولاده، بل ولد بعد قايين وهابيل.

ورابعها: كيف يحسن أن يقال: فكان جميع ما عاش شيث تسعمائة وأثنى عشرة سنة.

بعد قوله: وعاش شيث مائتين وخمس سنين وولد له أنوش، وعاش شيث بعدما ولد له أنوش تسعمائة وسبع سنين. بل يكون جميع ما عاش شيث على هذا الحساب ألف ومائة وأثنى عشرة سنة. والنسخة مقابلة مصححة.

وفي نسخة: عاش شيث قبل أنوش مائة وخمس سنين، وبعدها ثمانمائة وسبع سنين. وأيضاً فقد ذكر في هذه القراءة تسعة نفر من نوح^(٣) إلى لامك إلى آدم كل

(١) لما مات آدم عليه السلام قام بأعباء الأمر بعده ولده شيث عليه السلام وكان نبياً بنص الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر مرفوعاً «أنه أنزل عليه خمسون صحيفة».

فلما حانت وفاته أوصى إلى ابنه أنوش فقام بالأمر بعده، ثم بعده ولده قينان، ثم من بعده ابنه مهلايل وهو الذي يزعم الأعاجم من الفرس أنه مالك الأقاليم السبعة، وأنه أول من قطع الأشجار وبنى المدائن والحصون الكبار وأنه هو الذي بنى مدينة بابل ومدينة السوس الأقصى البداية والنهاية (١٢٠/١).

(٢) معنى شيث: هبة الله، وسمياه بذلك لأنهما رزقاه بعد أن قتل هابيل قال محمد بن إسحاق: ولما حضرت آدم الوفاة عهد إلى ابنه شيث وعلمه ساعات الليل والنهار، وعلمه عبادات تلك الساعات وأعلمه بوقوع الطوفان بعد ذلك، قال: ويقال: إن أنساب بني آدم اليوم كلها تنتهي إلى شيث وسائر أولاد آدم غيره انقرضوا وبادوا والله أعلم البداية والنهاية (١١٩/١).

(٣) هو نوح بن لامك بن متوخل بن خنوخ - وهو لإدريس - بن يرد بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر عليه السلام.

وكان مولده بعد وفاة آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة فيما ذكره ابن جرير وغيره وعلى تاريخ أهل الكتاب المتقدم يكون بين مولد نوح وموت آدم مائة وست وأربعون سنة، وكان بينهما عشرة قرون، كما روى ابن حبان في صحيحه بسنده إلى أبي أمامة أن رجلاً قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال: «نعم مكلم» قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: «عشرة قرون». انظر ابن حبان (٦١٩٠ - الإحسان).

منهم ابن الذي قبله وهم آدم وبنوه، وذكر جميع ما عاش كل منهم. فلم يكن فيهم من عاش مع السنين التي ذكرها لا شهورًا، ولا أيامًا.

بل عاش آدم مثلاً تسعمائة وثلاثين سنة^(١) ولم يكن فيها شهر ولا يوم زائد ولا ناقص وكذلك بنوه.

وهذا في غاية (البذور)^(٢)، في العادة من أعمار الناس بل لا يكاد يوجد لغير هذه التسعة. لاسيما في زماننا الذي نشاهد أعمار أهله ولا يمكن أن يقال لعله ذكر السنين وترك ذكر الشهور والأيام.

فإن لفظه بأبي ذلك لاسيما قوله: وكانت جميع أيام أخنوخ^(٣) ثلاثمائة وخمس سنين بلفظ أيام.

وخامسها: كيف يحسن أن يقال هنا إن أخنوخ^(٤)، ابن يرد، مع أنه ذكر في

(١) اختلف في مقدار عمره عليه السلام فقدمنا في الحديث عن ابن عباس وأبي هريرة مرفوعًا: أن عمره اكتب في اللوح المحفوظ ألف سنة وهذا لا يعارضه ما في التوراة من أنه عاش تسعمائة وثلاثين سنة لأن قولهم هذا مطعون فيه مردود إذا خالف الحق الذي بأيدينا مما هو المحفوظ عن المعصوم.

وأيضًا فإن قولهم هذا يمكن الجمع بينه وبين ما في الحديث فإن ما في التوراة إن كان محفوظًا محمول على مدة مقامه في الأرض بعد الإهباط وذلك.

تسعمائة وثلاثون شمسية وهي بالقمرية تسعمائة وسبع وخمسون سنة ويضاف على ذلك ثلاث وأربعون سنة مدة مقامه في الجنة قبل الإهباط على ما ذكره ابن جرير وغيره فيكون الجميع ألف سنة البداية والنهاية (١٢٠/١).

(٢) كذا بالأصل.

(٣) هو إدريس عليه السلام على المشهور وقد أتى الله عليه ووصفه بالنبوة والصدقية فقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيْسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۖ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۗ﴾ [مریم: ٥٦، ٥٧].

وهو في عمود نسب رسول الله ﷺ على ما ذكره غير واحد من علماء النسب، وكان أول بني آدم أعطي النبوة بعد آدم وشيث عليهما السلام.

وذكر ابن إسحاق أنه أول من خط بالقلم وقد أدرك من حياة آدم ثلاثمائة سنة وشهاني سنين البداية والنهاية (١٢٠/١).

(٤) روى البخاري في صحيحه (٣٣٤٢) كتاب أحاديث الأنبياء، باب ذكر إدريس عليه السلام، عن أبي ذر رضى الله عنه من حديث الإسراء بطوله وفيه «لما مر به عليه السلام قال له: «مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح».

القراءة التاسعة أنه ابن قايين.

وكيف ذكر هنا أن مهلا لا ئيل بن قينان مع أنه ذكر في القراءة التاسعة أنه ابن عيراد. وكيف ذكر ههنا أن متوشلخ بن أخنوخ^(١)، مع أنه ذكر في القراءة التاسعة أنه ابن مهلا لا ئيل وهذا متناقض. وقد تقدمت هذه الأسئلة الثلاثة في القراءة التاسعة، مبسطة العبارة.

وأما لامك فقد توافقت القراءتان على أنه ابن متوشلخ. وفي نسخة: في التاسعة متوشيل، وفي العاشرة ابن يارد.

السؤال على القراءة الحادية عشر

من ستة أوجه: أحدها: كيف يحسن أن يقال: فكان لما بدأ الناس يكثرون في الأرض، وولد لهم بنات.

فرأى بنو الله^(٢) بنات الناس حسنات، فاتخذوا لهم نساء من كل ما اختاروا. فإن قوله: لما بدأ الناس يكثرون يوهم أن الناس لم يكثروا بعد، مع أنهم قد كثروا كثرة عظيمة. فإن ظاهر اللفظ أن هذا بعد ولادة سام وحام ويافث^(٣)، وما ولد لنوح سام وحام ويافث إلا بعد مضي ألفين ومائة سنة، وخمسين سنة من إيجاد آدم

(١) قال الحسن البصري: ﴿ وَرَفَعْنَهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مریم: ٥٧]. قال: إلى الجنة، وقال قائلون: رفع في حياة أبيه يرد بن مهلا ئيل والله أعلم. البداية والنهاية (١/١٢١).

(٢) قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيهِمْ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَتَلْتَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠].

(٣) روى الترمذي في سننه (٣٩٣١)، عن سرة أن النبي ﷺ قال: « سام أبو العرب ويافث أبو الروم، وحام أبو الحبش » وقال حديث حسن، ويقال: يافث ويافث ويفت. ورواه أحمد في مسنده (١٩٩٨٢)، والحاكم في مستدركه (٥٤٦/٢).

قال في البداية والنهاية (١/١٣٨): وقد قيل إن نوحًا عليه السلام لم يولد له هؤلاء الثلاثة الأولاد إلا بعد الطوفان وإما ولد له قبل السفينة كنعان الذي غرق، وعابر مات قبل الطوفان، والصحيح أن الأولاد الثلاثة كانوا معه في السفينة هم ونساؤهم وأمهم وهو نص التوراة وقد ذكر أن حامًا واقع امرأته في السفينة فدعا عليه نوح أن تشوه خلقته نطقته فولد له ولد أسود وهو كنعان بن حام جد السودان، وقيل: بل رأى أباه نائمًا وقد بدت عورته فلم يسترها وسترها أخواه فلهدنا دعا عليه أن تغير نطقته وأن يكون أولاده عبيدًا لإخوته.

على مقتضى وفيات آياته المذكورة في القراءة العاشرة من التوراة.

وفي هذه المدة تمتلئ الأرض ناسًا.

(وفي فرجة بخط المصنف: وفي نسخة (لذو))^(١).

من إيجاد آدم إلى ولادة سام ألفا وستة وستين سنة، وهذا تناقض فاحش بين النسختين. يسقط ألْبَتة تفسيرها إلا أن يكون التناقض من نسخ التوراة العبرانية، فيكون التناقض أفحش^(٢).

وثانيها: كيف يحسن أن يقال: فكان لما بدأ الناس يكثرون في الأرض، وولد لهم بنات فإن قوله: وولد لهم بنات يوهم أنه لم يولد لهم بنات إلى الآن، مع أنه ولد للناس بنات كثيرة من سنين متقدمة لأنه بعد مضي ألفي ومائة وخمسة وتسعين سنة من وجود آدم^(٣). كما تقدم. فلما كثر الناس كثرت بناتهم. بل ليس في اللفظ أن البنات كثروا. بل وولد لهم بنات، وولادة البنات مقرونة بولادة الذكور من أول الخلق. فيكون السؤال أقوى.

وثالثها: كيف يحسن أن يقال: فرأى بنو الله بنات الناس حسنات، فإن قوله: بنو الله جمع ابن، وأقل الجمع ثلاثة، فيلزم منه أن يكون لله ثلاث بنين، والله سبحانه وتعالى منزه عن أن يكون له بنون باتفاق المسلمين واليهود والنصارى، فإن النصارى إنما أثبتوا له ابنا واحداً^(٤).

(١) كذا بالأصل.

(٢) وجدناه في الهامش.

(٣) من آدم عليه السلام إلى نوح عليه السلام عشرة قرون كلهم على الإسلام كما تقدم عن ابن عباس كما رواه البخاري، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١/٢٦٦): - ثم بعد تلك القرون الصالحة حدثت أمور اقتضت أن آل الحال بأهل ذلك الزمان إلى عبادة الأصنام، وكان سبب ذلك ما رواه البخاري (٤٩٢٠)، في كتاب التفسير، باب ﴿وَدَا وَلَا سُوعَا وَلَا يَغُوتَ وَيَعُوقَ وَكَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

من حديث ابن عباس قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا على مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسوها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبت.

(٤) اختلف أصحاب المسيح بعد رفعه إلى السماء على أقوال كما قاله ابن عباس وغيره من أئمة السلف: قال قائلون منهم: كان فينا عبد الله ورسوله فرفع إلى السماء .

أما إثبات بنين، فلم يقل به أحد منهم. وفي بعض نسخ التوراة بدل: بنو الله بنو الوهيم. وأيضا: فلو كان الله بنون لم يكن لتخصيص النصارى عيسى بكونه إلهاً معبوداً دون إخوته وجه.

فإن قيل: المراد بالبنوة بنوة التشريف بالقرب من الله تعالى. قلت: لو حسن ذلك لجاز إطلاق البنوة على سائر الأنبياء، وهم يوافقون على امتناعه^(١). وأيضا فلو حسن ذلك لم يبق لهم في إطلاق لفظ البنوة على عيسى^(٢) ولفظ

وقال آخرون: هو الله، وقال آخرون: هو ابن الله فالأول هو الحق، والقولان الآخرون: كفر عظيم كما قال: ﴿فَاحْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مریم: ٣٧].

واختلفوا في نقل الأناجيل على أربعة أقاويل ما بين زيادة ونقصان وتحريف وتبديل ابن كثير البداية والنهاية (٤٨٠/١).

(١) بعد المسيح بثلاثمائة سنة حدثت فيه الطامة العظمى والبلية الكبرى، اختلف البطارقة الأربعة وجميع الأساقفة، والقساوسة والشمامسة والراهبين في المسيح على أقوال متعددة لا تنحصر ولا تنضب، واجتمعوا وتحاكموا إلى الملك قسطنطين باني القسطنطينية وهم المجمع الأول فصار الملك إلى قول أكثر فرقة اتفقت على قول من تلك المقالات، فسماوا: الملكية ودحض من عداهم وأبعدهم، وتفردت الفرقة التابعة لعبد الله بن أديوس الذي ثبت على أن عيسى عبد من عباد الله ورسول من رسله فسكنوا البداري والبوادي وبنوا الصوامع والديارات والقلايات، وقنعوا بالعيش الزهيد ولم يخالطوا أولئك الملل والنحل وبنيت الملكية الكنائس الهائلة عمدوا إلى ما كان من بناء اليونان، فحولوا محاريبها إلى الشرق وقد كانت إلى الشمال إلى الجدي. وبنى الملك قسطنطين بيت لحم على محل مولد المسيح وبنيت أمه هيلانة القيامة يعني على قبر المصلوب وهم يسلمون لليهود أنه المسيح، وقد كفر هؤلاء وهؤلاء ووضعوا القوانين والأحكام ومنها مخالف للعتيقة التي هي التوراة، وأحلوا أشياء هي حرام بنص التوراة ومن ذلك الخنزير، وصلوا إلى الشرق ولم يكن المسيح صلّى إلا إلى صحرة بيت المقدس. البداية والنهاية (٤٨٠/١، ٤٨١).

(٢) ذكر ابن جرير عن محمد بن إسحاق أن عيسى -عليه السلام- قبل أن يرفع وصى الحواريين بأن يدعو الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وعين كل واحد منهم إلى طائفة من الناس في إقليم من الأقاليم من الشام والمشرق وبلاد المغرب فذكروا أنه أصبح كل إنسان منهم يتكلم بلغة الذي أرسله المسيح إليهم، وذكر غير واحد أن الإنجيل نقله عنه أربعة: لوقا ومتى ومرقس ويوحنا، وبين هذه الأناجيل الأربعة تفاوت كثير بالنسبة إلى كل نسخة ونسخة وزيادات كثيرة ونقص بالنسبة على الأخرى وهؤلاء الأربعة منهم اثنان ممن أدرك المسيح

الأبوة على الله سبحانه في الإنجيل دلالة على أن عيسى ابن الله بالمعنى الذي تريده النصراني.

ولا يبقى لهم إلا صدور الخوارق للعادة على يده كسائر الأنبياء، ولا دلالة فيها إلا على الرسالة فقط ورابعها: كيف يحسن أن يقال: وقال الرب الإله لا تسكن روحي في هؤلاء الناس إلى الدهر من أجل إنهم لحم. فإن قوله في هؤلاء الناس يوهم أن روحه سبحانه تسكن من غير هؤلاء الناس، وليس كذا وأيضاً: فإن قوله: من أجل أنهم لحم، تعليل لعدم سكني روحي سبحانه في هؤلاء الناس بكونهم لحمًا مع أن غير هؤلاء الناس أيضاً من الناس لحم، فما وجه تخصيص هؤلاء.

وأيضاً فإذا صحَّ هذا التعليل كان هذا حجة على اليهود والنصارى^(١)، مبطله

ورآه وهما: متى ويوحنا ومنهم اثنين من أصحابه وهما: مرقس ولوقا فإله أعلم البداية والنهاية (٤٧٩/١).

(١) قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠].

فأما اليهود فقالوا في العزير: إنه ابن الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وذكر السدي وغيره أن الشبهة التي حصلت لهم في ذلك أن العمالقة لما غلبت على بني إسرائيل فقتلوا علماءهم وسبوا كبارهم بقي العزير يكي على بني إسرائيل وذهاب العلم منهم حتى سقطت جفون عينيه . فبينما هو ذات يوم إذ مرُّ على جبانة وإذا امرأة تبكي عند قبر وهي تقول وامطعماه واكاسياه فقال لها:

ويحك من كان يطعمك قبل هذا؟ قالت الله قال: فإن الله حي لا يموت، قالت: يا عزير فمن كان يعلم العلماء قبل بني إسرائيل؟ قال: الله قالت: فلم تبكي عليهم؟ فعرف أنه شيء قد وعظ به ثم قيل له اذهب على نهر كذا فاغتسل منه وصلِّ هناك ركعتين فإنك ستلقى هناك شيخاً فما أطعمك فكله فذهب ففعل ما أمر به فإذا الشيخ فقال له افتح فمك ففتح فمه فألقى فيه شيئاً كهيئة الجمره العظيمة ثلاث مرات فرجع عزير وهو من أعلم الناس بالتوراة، فقال: يا بني إسرائيل قد جئتمكم بالتوراة فقالوا يا عزير ما كنت كذاباً فعمد فربط على أصبع من أصابعه قلمًا وكتب التوراة. بأصبعه كلها فلما تراجع الناس من عدوهم ورجع العلماء أخبروا بشأن عزير فاستخرجوا النسخ التي كانوا أودعوها في الجبال وقابلوه بها فوجدوا ما جاء به صحيحاً فقال بعض جهلتهم إنما صنع هذا لأنه ابن الله، وأما ضلال النصراني في المسيح فظاهر، ولهذا كذب الله سبحانه الطائفتين فقال: ﴿ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ [التوبة: ٣٠] أي لا مستند لهم فيما ادعوه سوى افتراءهم واختلافهم ﴿ يُضَاهِئُونَ ﴾ أي يشابهون ﴿ قَوْلَ

لسكنى روحه سبحانه وتعالى في بدن عيسى عليه السلام، فإنه لحم.
فأحد الأمرين إما بطلان هذا التعليل أو بطلان اعتقادهم حلول روح الله سبحانه
في بدن عيسى عليه السلام. وفي نسخة: لا تسكن روعي في البشر إلى الدهر من أجل
أنهم لحم. فيكون السؤال أقوى.

وخامسها: كيف يحسن أن يقال: وكان في تلك الأيام الجبارة على الأرض،
ومن بعد ذلك من أجل بني الله دخلوا على بنات الناس، فكن يلدن لهم جبارة الناس
المنتجبين الأقوياء؛ فإن ظاهره أن الجبارة إنما وجدوا بسبب تولدهم من ذكور هذه
الطائفة، وإناث تلك الطائفة بتزاوجهما.

فإن كان هؤلاء الجبارة أقوى وأشد جبروتًا من كل واحد من الطائفتين لزم أن
يكون الفرع زائدًا على أصله الزيادة الخارجة عن نوعهما.

وهذا باطل بالضرورة، وإن كانوا أقوى وأشد جبروتًا من أحديهما فقط. فهذا
ممكن، لكن يلزم أن تكون الطائفة القوية منهما أقوى وأشد جبروتًا من الجبارة
بالضرورة ولزم أن تكون هي أولى باسم الجبارة. ولزم بطلان التعليل المذكور. فإن
الجبارة يكونون موجودين قبل تزاوج الطائفتين.

وسادسها: كيف يحسن أن يقال: وتأسف الله على آدم إذ خلقه على الأرض^(١).

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ﴿ أَي مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَّمِ ضَلُّوا كَمَا ضَلَّ هَؤُلَاءِ، ﴿ قَتَلْتَهُمُ اللَّهُ ﴾ قال
ابن عباس لعنهم الله ﴿ أَنِّي يُؤْفَكُونَ ﴾ أي كيف يضلون عن الحق وهو ظاهر ويعدلون إلى
الباطل؟ تفسير ابن كثير (٢/٣٥٥، ٣٥٦).

(١) قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ
يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾
[البقرة: ٣٠]. يخبر الله تعالى بامتنانه على بني آدم بتنويهه بذكرهم في الملأ الأعلى قبل
إيجادهم.

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ أي قومًا يخلف بعضهم بعضًا قرآنًا بعد قرن
وجيلًا بعد جيل. وفي قوله: ﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي أعلم من المصلحة الراجحة
في خلق هذا الصنف على المفساد التي ذكرتموها ما لا تعلمون أتمم فإني سأجعل فيهم الأنبياء
وأرسل فيهم الرسل ويوجد منهم الصديقون والشهداء والصالحون والعباد والزهاد والأولياء
والأبرار والمقربون والعلماء العاملون والخاصعون والمحبون له تبارك وتعالى المتبعون رسله

فإن الله سبحانه لا يتأسف على شيء لأنه يعلم ما يكون قبل أن يكون، فلا يفعله إلا كما يريد فلا يلحقه فيه ندم، ولا تأسف سبحانه وتعالى^(١) إنما ذلك في حق عاجز جاهل بعواقب الأمور. وفي نسخة: فندم الله في قلبه.

وسابعها: كيف يحسن أن يقال: وقال الرب الإله أتلف البشر الذين خلقت من وجه الأرض البشر والبهائم والديب، إلى طائر السماء من أجل أنني قد تأسفت إذ خلقتهم.

لأن السؤال بعينه وارد على قوله من أجل أنني قد تأسفت إذ خلقتهم. وأيضاً فإن البشر كما ذكره أولاً: كثرت سيئاتهم فاستحقوا الإتلاف والإهلاك^(٢)، فما سبب إهلاك البهائم والديب وطائر السماء. وكيف يليق بالحكم العدل سبحانه وتعالى أن يهلك ثلاث أمم لا ذنب لهم

صلوات الله وسلامه عليهم . تفسير ابن كثير (١/٦٩).

(١) في قوله الملائكة: ﴿ قَالُوا أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ قال ابن جريج: إنما تكلموا بما أعلمهم الله أنه كائن من خلق آدم فقالوا: ﴿ قَالُوا أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ .

قال ابن جرير: وقال بعضهم إنما قالت الملائكة ما قالت: ﴿ أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ [البقرة: ٣٠] لأن الله أذن لهم في السؤال عن ذلك بعدما أخبرهم أن ذلك كائن من بني آدم فسألته الملائكة فقالت على التعجب منها وكيف يعصونك يارب وأنت خالقهم فأجابهم ربهم ﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ يعني أن ذلك كائن منهم وإن لم تعلموه أتم ومن بعض ما تروونه لي طائفاً، قال: وقال بعضهم ذلك من الملائكة على وجه الاسترشاد عما لم يعلموا من ذلك فكأنهم قالوا يارب خبرنا - مسألة استخبار منهم لا على وجه الإنكار.

(٢) قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِيهِ فَقَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّي غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٦﴾ قَالَ أَلْمَأُ مِنْ قَوْمِيهِ إِنَّا لَنَرُكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٠٧﴾ قَالَ يَنْقُورِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٩-٦٤].

فروح عليه السلام بعثه الله تعالى لما عبدت الأصنام والطواغيت وشرع الناس في الضلالة والكفر فبعثه الله رحمة للعباد فكان أول رسول بعث إلى أهل الأرض كما يقول له أهل الموقف يوم القيامة، وكان قومه يقال لهم: بنو راسب فيما ذكره ابن جبير وغيره البداية والنهاية لابن كثير(١/١٢٢).

بسبب تأسفه على خلق الأمة الرابعة المفسدة الذين هم البشر^(١).
وهو قادر على إهلاك الأمة المفسدة وحدها.
فإن قيل: لله أن يهلك ما يشاء ومن يشاء.
قلنا: مسلم، ولكن الكلام على تعليل إهلاك الجميع بذنب بعضهم لا على الإهلاك المطلق.

السؤال على القراءة الثانية عشر

من ثلاثة أوجه: أحدها: كيف يحسن أن يكرر القول الدال على فساد الناس^(٢) في موضع واحد خمس مرات.
أولها: قوله: وفسدت الأرض قدام الله.
وثانيها: قوله: عقيبه: وامتألت الأرض ظلماً.
وثالثها: قوله عقيبها: ونظر الرب الأرض قد فسدت.
ورابعها: قوله عقيبه: وإن كان جسد قد أفسد طريقه إلى الأرض.
 وخامسها: قوله عقيبه: وقال الله لنوح^(٣) قد حضر حيث كل الناس أمامي لأن

(١) أهلكهم الله بذنوبهم وفي ذلك قال في البداية والنهاية (١٣١/١): إن نوحاً عليه السلام لما يبس من صلاحهم وفلاحهم ورأى أنهم لا خير فيهم وتوصلوا إلى أذيته ومخالفته وتكذيبه بكل طريق من فعال ومقال دعا عليهم دعوة غضب فلبى الله دعوته وأجاب طلبته قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْيَنعَمْ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٦﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٥﴾﴾ [الصفات: ٧٥-٧٦].

وقال تعالى: ﴿وَنُوْحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾ [الأنبياء: ٧٦].

(٢) اجتمع عليهم خطاياهم من كفرهم وفجورهم ودعوة نبينهم عليهم فعند ذلك أمره الله تعالى أن يصنع الفلك وهي السفينة العظيمة التي لم يكن لهم نظير قبلها ولا يكون بعدها مثلها.
وقدم الله تعالى إليه أنه إذا جاء أمره وحل بهم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين أنه لا يعاوده فيهم ولا يراجعه فإنه لعله قد تدركه رقة على قومه عند معاينة العذاب النازل لهم فإنه ليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال: ﴿وَلَا تُخْطِئُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [هود: ٣٧].
المرجع السابق (١٣١/١).

(٣) قال محمد بن إسحاق: ولم يلتق نبي من قومه من الأذى مثل نوح إلا نبي قتل. وقال يزيد الرقاشي إنما سمي نوحاً لكثرة ما ناح على نفسه وقد كان بين آدم إلى زمن نوح عليهما

الأرض قد امتلأت من جورهم، وها أنا ذا مفسدهم، والأرض أيضًا وهذا مما يفضي إلى ركاكة الكلام وتطويله بغير فائدة، ولا سيما وذلك بعد ذكر الإلتلاف قبله في القراءة الحادية عشر، فتصير ست مرات متتابعة في مكان واحد.

وكان في المرة التي في آخر القراءة الحادية عشر كفاية.

وثانيها: كيف يحسن أن يقال: ومن كل البهائم ومن كل الوحوش، ومن كل جسد اثنين اثنين يدخل الجميع إلى التابوت^(١) لتعولهم معك ذكرا وأنثى يكون من كل طير السماء لجنسه.

ومن كل البهائم لجنسهم، ومن كل ديب يدب على الأرض اثنين اثنين يدخلون معك ليفتدوا معك، ذكراً وأنثى، فإن ظاهره أنه يدخل معه من كل أمة اثنين اثنين، وقد ذكره هنا مرتين، وذكره في القراءة الرابعة عشر أيضًا هكذا اثنين اثنين كما سيأتي. وفي القراءة الخامسة عشر أيضًا كذلك. وفي نسخة هنا: وكل شيء من اللحم أدخل معك اثنين اثنين^(٢) من اللحم الفلك ليعيشوا. ذكوراً وإناثاً يكون من الطير لجنسه اثنين اثنين،

السلام عشرة قرون كلهم على الإسلام.

وقال ابن عباس وغير واحد من علماء التفسير: وكان أول ما عبدت الأصنام أن قومًا صالحين ماتوا فبنى قومهم عليهم مساجد وصوروا صور أولئك فيها ليتذكروا حالهم وعبادتهم فيتشبهوا بهم، فلما طال الزمان جعلوا أجسادًا على تلك الصور فلما تبادى الزمان عبدوا تلك الأصنام وسموها بأسماء أولئك الصالحين ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسراً. تفسير ابن كثير (٢/٢٢٨).

(١) ذكر ابن جرير بسنده عن ابن عباس في قصة نقلا عن عيسى عليه السلام أن السفينة كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات، فطبقة فيها الدواب والوحش، وطبقة فيها الإنس، وطبقة فيها الطير، فلما كثر أرواث الدواب أوحى الله عز وجل إلى نوح عليه السلام أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوق وقع منه خنزير وخنزيرة فأقبلا على الروث، ولما وقع الفأر يخرز السفينة بقرضه أوحى الله عز وجل - إلى نوح عليه السلام أن اضرب بين عيني الأسد فخرج من منخره سنور وسنورة فأقبلا على الفأر. البداية والنهاية لابن كثير (١/١٣٩).

(٢) قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُوُّرُ قُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود: ٤٠]

أمر الله نوحًا عليه السلام أن يحمل معه في السفينة من كل زوجين اثنين من صنوف المخلوقات ذوات الأرواح، قيل وغيرها من النبات اثنين ذكراً وأنثى فقيل كان أول من أدخل

ومن الأنعام لأنعامها، ومن كل الهوام التي تدب على الأرض بجواهرها اثنين اثنين ومن كل شيء أدخل معك.

مع أنه ذكر عقبيه في القراءة الثالثة عشر أنه لا يدخل معه من كل أمة اثنين اثنين بل يدخل معه من الدواب الطاهرة سبعة سبعة، ومن غير الطاهرة اثنين اثنين^(١). وهذا تناقض بين الكلامين. وفي نسخة: الفلك^(٢) بدل التابوت. وفي نسخة: في المقام. واجعل بكل من جميع الدواب الزكية سبعة أزواج ذكور وسبعة أزواج إناث، ومن الدواب التي ليست بزكية زوجين ذكوراً وإناً لتعيش معك، ويكون على وجه الأرض.

وثالثها: كيف يحسن أن يقال: لتعولهم معك ثم أعاده مرة ثانية وقال: ليفتدوا معك فإن ظاهره تعليل إدخالهم معه إلى السفينة بأن يعولهم ويفتدوا معه^(٣).

من الطيور الدرة وآخر من أدخل من الحيوانات فتعلق لإبليس بذنبه وجعل يريد أن ينهض فينقله لإبليس وهو متعلق بذنبه فجعل يقول له نوح عليه السلام ويحك ادخل فينهض ولا يقدر فقال ادخل وإن كان إبليس معك فدخل في السفينة. تفسير ابن كثير (٤٥٥/٢).

(١) قال ابن أبي حاتم بسنده عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «لما حمل نوح في السفينة من كل زوجين اثنين قال أصحابه وكيف تطمئن المواشي الأسد؟. فسلط الله عليه الحمى، فكانت أول حمى نزلت في الأرض ثم شكوا الفأرة فقالوا الفويسقة تفسد علينا طعامنا ومتاعنا فأوحى الله إلى الأسد فعطس فخرجت الهرة منه فتخبأت الفأرة منها». تفسير ابن كثير (٤٥٦/٢).

(٢) قال تعالى: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا وَلَا خُطْبَتِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٣٨﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٧﴾ [هود: ٣٧، ٣٨].

أي اصنع السفينة برأى منا وتعليمنا لك ما تصنعه وقال بعض السلف: أمره الله تعالى أن يغرز الخشب ويقطعه ويبيسه فكان ذلك في مائة سنة ونجرها في مائة سنة أخرى وقيل في أربعين سنة والله أعلم. تفسير ابن كثير (٤٥٤/٢).

(٣) روى علياء بن أحمد عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان مع نوح في السفينة شانون رجلا معهم أهلوهوم، وإنهم كانوا في السفينة مائة وخمسين يوماً وإن الله وجه السفينة إلى مكة فدارت بالبيت أربعين يوماً، ثم وجهها إلى الجودي فاستقرت عليه، فبعث نوح عليه السلام الغراب ليأتيه بخبر الأرض فذهب فوق على الجيف فأبطأ عليه فبعث الحمامة فأتته بورق الزيتون ولطخت رجلها بالطين فعرف نوح أن الماء قد نضب، فهبط إلى أسفل الجودي. البداية

مع أنه ذكر عقبيه في القراءة الثالثة عشر أن العلة ليعيشوا، أو تكون لهم ثمرة على وجه الأرض.

فقد تناقض التعليلان مع أن هذا التعليل الأول ليس بصحيح في نفسه، فإنه ليس العلة في إدخالهم أن يعولهم ويفتدوا معه فقط، بل العلة هي الثانية.

السؤال على القراءة الثالثة عشر

من خمسة أوجه: أحدها: كيف يحسن أن يقال: وقال الله لنوح ادخل أنت وأهل بيتك إلى التابوت^(١) من أجل أنني رأيتك باراً أمامي في هذا الجيل.

ومن الدواب الطاهرة اجعل معك سبعة سبعة ذكراً وأنثى. ومن الدواب التي ليست طاهرة اثنين اثنين ذكراً وأنثى. ومن طير السماء التي ليست هي بطاهرة سبعة سبعة ذكراً وأنثى ليعيشوا معك، ويكون لهم ثمرة على وجه الأرض.

فإن هذا تكرار أيضاً لذكر إدخال نوح ومن معه إلى السفينة^(٢)، عقبيه من غير بعد عهد به.

وثانيها: أن قوله: ومن الدواب الطاهرة اجعل معك سبعة سبعة ذكراً وأنثى.

والنهاية (١٣٩/١).

(١) اختلف العلماء في عدة من كان معه في السفينة فعن ابن عباس كانوا ثمانين نفساً معهم نسائهم، وعن كعب الأحبار كانوا اثنين وسبعين نفساً، وقيل كانوا عشرة، وقيل إما كانوا نوحاً وبنه الثلاثة وكنائنه الأربع بامرأة يام الذي انزل وانزل وسلك عن طريق النجاة فما عدل إذ عدل، وهذا القول فيه مخالفة لظاهر الآية بل هي نص في أنه قد ركب معه غير أهله طائفة ممن آمن به كما قال: ﴿ وَنَجَّيْنَا وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ١١٨] وقيل كانوا سبعة البداية والنهاية (١٣٤/١).

(٢) امثل نوح عليه السلام لأمر الله في قوله ﴿ وَقَالَ آرَكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَحْرْنَهَا وَمُرْسَنَهَا إِنَّ رَبِّي لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [هود: ٤١].

وقال في البداية والنهاية (١٣٤/١): - وأما امرأة نوح وهي أم أولاده كلهم وهم: حام، وسام، ويافث، ويام ويسميه أهل الكتاب كنعان وهو الذي قد غرق وعابر فقد ماتت قبل الطوفان، وقيل: إنها غرقت مع من غرق وكانت ممن سبق عليه القول لكفرها.

وعند أهل الكتاب: أنها كانت في السفينة فيحتمل أنها كفرت بعد ذلك أو أنها أنظرت ليوم القيامة والظاهر الأول لقوله: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذَرِيًّا ﴾ [نوح:

تناقض ما تقدم من أنه يدخل معه من كل أمة اثنين اثنين. فإن قيل: إنه مخصص لذلك، وليس مناقضاً له لأنه خصّ السبعة بالطاهر، والاثنين بغير الطاهر^(١).

وإنما يكون مناقضاً لو جعل الجميع سبعة سبعة قلت: هذا كلام صحيح لكنه صرح في القراءة الرابعة عشر بقوله: ومن الطير الطاهر ومن الطير غير الطاهر، ومن البهائم، ومن الدبيب الذي يدب على وجه الأرض اثنين اثنين من كل شيء دخل مع نوح فبطل التخصيص وتحقق التناقض^(٢).

وثالثها^(٣): أن قوله سبعة سبعة ذكراً وأنثى لا يستقيم، فإن السبعة فرد، لا يمكن

(١) قال تعالى ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦-٢٧].

أي لا تترك على وجه الأرض منهم أحداً ولا دياراً وهذه من صيغ تأكيد النفي، قال الضحاك: دياراً واحداً.

وقال السدي: الديار الذي يسكن الدار فاستجاب الله له فأهلك جميع من على وجه الأرض من الكافرين حتى ولد نوح لصلبه الذي اعتزل عن أبيه. تفسير ابن كثير (٤/٤٢٧).

(٢) روى البخاري في صحيحه (٤٩٢٠) كتاب تفسير القرآن، ١-باب ﴿ لَا تَذَرُنَّ الْإِهْتِكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وِدًا وَلَا سُوعًا وَلَا يُعُوقَ وَيُعُوقُ وَشَرًّا ﴾ [نوح: ٢٣]. عن ابن عباس رضي الله عنهما: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد أما ود كانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يعوق فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحمير، لال ذي الطلاع، أساء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصباً وسوها بأسائهم ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبت.

(٣) يخبر تعالى عن عبده ورسوله نوح عليه السلام أنه اشتكى إلى ربه عز وجل ما لقي من قومه وما صبر عليهم في تلك المدة الطويلة التي هي ألف سنة إلا خمسين عاماً وما بين لقومه ووضح لهم ودعاهم إلى الرشد والسييل الأقوم فقال: ﴿ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ [نوح: ٥] أي لم أترك دعاءهم في ليل ولا نهار امتثالاً لأمرك وابتغاء لطاعتك ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴾ [نوح: ٦] أي كلما دعوتهم ليقربوا من الحق فروا منه وحادوا عنه ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْدِعُهُمْ فِيْءِ آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ ﴾ [نوح: ٧]. تفسير ابن كثير (١/٤٢٤، ٤٢٥).

أن يكون نصفها ذكراً، ونصفها أنثى كما كان الاثنان، أحدهما ذكراً والآخر أنثى، فيبقى الواحد منها الزائد على ستة إما ذكراً بلا أنثى أو أنثى بلا ذكر، فلا فائدة في إدخاله السفينة ولا يشر على وجه الأرض.

وفي فرجة بخط المصنف معاملة لهذا الوضع وفي نسخة هنا سبعة أزواج ذكور، وسبعة أزواج إناث، واجعل معك في جميع الدواب الزكية سبعة أزواج ذكوراً وسبعة أزواج إناثاً، ومن الدواب التي ليست بزكية زوجين زوجين ذكوراً وإناثاً، ومن الطير المحرم اثنين اثنين ذكوراً وإناثاً.....^(١).

ورابعها: أن قوله: ليعيشوا ويكون لهم ثمرة على وجه الأرض تعليل صحيح في نفسه لكنه مناقض للتعليل الأول الذي في القراءة الثانية عشر.

وهو قوله: لتعولهم، وقوله: ليفتدوا معك كما تقدم شرحه.

وخامسها: كيف يحسن أن يقال هنا لأن من يومك هذا إلى سبعة أيام^(٢) أنا انزل على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة وأتلف كل شيء أقمته وصنعتة على وجه الأرض من بشر إلى دواب.

ففعّل نوح كما أمره الرب الإله فإن ظاهره أن نوحاً دخل الفلك بمن معه في هذا اليوم قبل السبعة أيام^(٣)، وقبل الطوفان ولا سيما قوله: فعل، بفاء التعقيب مع أنه ذكر

(١) كلام وجدناه بالهامش وآخره كلام غير واضح.

(٢) قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ ﴿١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ﴿٢﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ ﴿٣﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿٤﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَحٍ وَدُسِّرَ ﴿٥﴾ [القمر: ٩-١٣].

قال ابن جريج عن ابن عباس: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ﴾ [القمر: ١١] كثير لم تنظر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده إلا من السحاب، فتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم، فالتقى الماء على أمر قد قدر. تفسير ابن كثير (٢٦٣/٤)

(٣) قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]. هذه موعدة من الله تعالى لنوح عليه السلام إذا جاء أمر الله من الأمطار المتتابعة والهتان الذي لا يقلع ولا يفتقر.

وأما قوله: ﴿وَفَارَ التَّنُورُ﴾ [هود: ٤٠] فعن ابن عباس التنور وجه الأرض، أي صارت الأرض عيوناً تفور حتى فار الماء من التناير التي هي مكان النار صارت تفور ماء وهذا قول =

في القراءة الخامسة عشر أنه دخل بمن معه بعد وقوع الطوفان. فيكون بعد السبعة أيام، لأنه قال: وفي سنة ستمائة من حياة نوح في الشهر الثاني في سبعة عشر يوماً من الشهر في ذلك اليوم انفتحت ينابيع الأعماق وفتحت مياديب السماء. ثم قال بعده: في ذلك اليوم دخل نوح، وهذا تناقض.

السؤال على القراءة الرابعة عشر

كيف يحسن أن يقال: ومن الطير الطاهر، ومن الطير غير الطاهر، ومن البهائم، ومن الديب الذي يدب على وجه الأرض اثنين اثنين من كل شيء دخلوا مع نوح إلى التابوت ذكراً وأنثى، كما أوصى الله لنوح^(١)، كان ظاهره أنه أمر أن يدخل معه إلى التابوت من كل أمة طاهرة أو غيرها اثنين اثنين.

وكذا ذكره في القراءة الثانية عشر. وفي القراءة الخامسة عشر أيضاً.

لكنه مخالف لما ذكره في القراءة الثالثة عشر وهو قوله: ومن الدواب الطاهرة اجعل معك سبعة سبعة ذكراً وأنثى.

وقوله: ومن طير السماء التي هي طاهرة سبعة سبعة ذكراً وأنثى وهذا تناقض ظاهر جداً.

فإن قيل: هذا إخبار عما فعل نوح عليه السلام وذلك أمره لنوح^(٢) بما يفعله،

جمهور السلف وعلماء الخلف. فحينئذ أمر الله نوحاً عليه السلام أن يحمل معه في السفينة من كل زوجين اثنين من صنوف المخلوقات ذوات الأرواح، قيل: وغيرها من النباتات اثنين ذكراً وأنثى. تفسير ابن كثير (٤٥٥/٢).

(١) قال تعالى: ﴿ قُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ﴾ [هود: ٤٠] أي واحمل فيها أهلك وهم أهل بيته وقرابته إلا من سبق عليه القول منهم ممن لم يؤمن بالله فكان منهم ابنه يام الذي انعزل وحده وامرأة نوح وكانت كافرة بالله ورسوله، وقوله: ﴿ وَمَنْ ءَامَنَ ﴾ أي من قومك: ﴿ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ أي نزر يسير مع طول المدة والمقام بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عاماً. تفسير ابن كثير (٤٥٦/٢).

(٢) يقول تعالى إخباراً عن نوح عليه السلام أنه قال للذين أمر بحملهم معه في السفينة ﴿ وَقَالَ آزْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرسَلَهَا ﴾ [هود: ٤١]. أي باسم الله يكون جريها على وجه الماء، وباسم الله يكون منتهى سيرها وهو رسوها. وقرأ أبو رجاء العطاردي: ﴿ وَقَالَ آزْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرسَلَهَا ﴾ وقال الله تعالى فإِذَا ﴿ أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى

فعله اجتهد وخالف بعض ما أمر به لمصلحة رآها، فلا يلزم أن يكونا متناقضين. وإنما يلزم أن يكونا متناقضين (أن)^(١) لو كان أمرين أو خبرين.

قلت: هذا ممكن في نفسه، لكن آخر كلامه عقيه ما يبطله، وهو قوله: كما أوصى الله لنوح. فإن مقتضاه أن الذي فعله هنا هو الذي أوصاه الله به هناك. وفي نسخة: كما أمر الله نوحاً^(٢).

السؤال على القراءة الخامسة عشر

من أربعة أوجه: أحدها: كيف يحسن أن يقال هنا: وفي سنة ستمائة من حياة نوح في الشهر الثاني في سبعة عشر يوماً من الشهر في ذلك اليوم انفتحت ينابيع الأعماق وتفتحت مياديب السماء، وكان المطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة^(٣).

أَفَلْكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥﴾ وَقُلِ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿﴾ [المؤمنون: ٢٨، ٢٩] تفسير ابن كثير (٤٥٦/٢).

(١) كذا بالأصل.

(٢) في ذكر فضائل نوح عليه السلام قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء: ٣].

قيل: إنه كان يحمد الله على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله.

روى مسلم في صحيحه [٨٩- (٢٧٣٤)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ٢٤-باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب. عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها»، ورواه أحمد والترمذي والنسائي.

والظاهر أن الشكور هو الذي يعمل بجميع الطاعات القلبية والقلبية والعملية فإن الشكر يكون هذا وهذا كما قال الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

انظر البداية والنهاية (١٤١/١).

(٣) قال الله تعالى: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ﴾ [هود: ٤٢]، وذلك أن الله تعالى أرسل

من السماء مطراً لم تعهده الأرض قبله ولا تمطره بعده كان كأفواه القرب، وأمر الأرض

فنبعت من جميع فجاجها وسائر أرجائها كما قال تعالى: ﴿ فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ ﴿١﴾

فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ ﴿٢﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿٣﴾

وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَحٍ وَدُسِّرَ ﴿﴾ [القمر: ١٠-١٣]. البداية والنهاية (١٣٥/١).

في ذلك اليوم دخل نوح، وحام وسام ويافت بنو نوح، وامرأة نوح^(١) وثلاث نساء بنيه معه في السفينة، وكل وحوش الأرض إلى آخره.

فإن ظاهره أن دخول نوح بمن معه إلى السفينة كان يوم وقوع الطوفان بعد السبعة أيام الموقته، ولا سيما في نسخة: فلما أن تمت السبعة أيام، وكان ماء الطوفان على الأرض سنة ستمائة من حياة نوح في الشهر الثاني، وفي سبعة عشر يوماً من الشهر.

في ذلك اليوم انفتحت ينابيع القعر الأكبر ثم قال: في ذلك اليوم دخل نوح بعده. مع أنه ذكر في القراءة الثالثة عشر أنه دخل بمن معه قبل السبعة أيام، لأنه قال هناك بعد أمره بالدخول بهم، لأن من يومك هذا إلى سبعة أيام أنا أنزل مطراً على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة^(٢).

ثم قال عقيبه: ففعل نوح كما أمره الرب الإله وظهره أنه دخل في ذلك اليوم. ولا سيما قوله: ففعل، بفاء السببية، ففيها تناقض، ظاهر كلامه هنا أن دخوله بعد الأربعين.

(١) قال تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتُ نُوحٍ وَامْرَأَتُ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ [التحریم: ١٠].

ليس المراد بقوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ في فاحشة بل في الدين، فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء.

وعن ابن عباس في الآية: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال: ما زنتا أما خيانة امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيافه وعن ابن عباس قال: كانت خيانتها أنهما كانتا على غير دينهما فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبايرة من قوم نوح به أما امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أحد أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء تفسير ابن كثير (٣٩٣/٤).

(٢) ذكر ابن جرير وغيره: أن الطوفان كان في ثالث عشر شهر آب في حساب القبط وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١]. أي السفينة: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِبَاءً أُذُنٌ وَعَيْتٌ﴾ [الحاقة: ١٢].

قال جماعة من المفسرين: ارتفع الماء على أعلى جبل بالأرض خسة عشر ذراعاً وهو الذي عند أهل الكتاب، قيل شانين ذراعاً، وعم جميع الأرض ولم يبق على وجه الأرض ممن كان بها من الأحياء عين تطرف ولا صغير ولا كبير. البداية والنهاية (١٣٥/١).

وثانيها: كيف يحسن أن يقال هنا: وكل وحوش الأرض لجنسها، وكل ديب يتحرك على وجه الأرض لجنسه، وكل طير ذي جناح لجنسه دخل مع نوح في التابوت اثنين اثنين^(١).

ثم قال عقيبه: كما أمر الرب الإله نوح. مع أنه ذكر في القراءة الثالثة عشر قوله: ومن الدواب الطاهرة اجعل معك سبعة سبعة ذكراً وأنثى، ومن الدواب التي ليست بطاهرة اثنين اثنين ذكراً وأنثى، ومن طير السماء التي هي طاهرة سبعة سبعة ذكراً وأنثى. فإن ظاهرها متناقض كما قدمنا شرحه.

وثالثها: كيف يحسن أن يقال: لو كان المطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة، وذكر عقيبه، وكان الطوفان أربعين يوماً وأربعين ليلة على الأرض. مع قوله بعد ذلك: وتعالى الماء على الأرض مائة وخمسين يوماً^(٢). فإنهما خبران متناقضان عن مدة الطوفان.

فإن قيل: يمكن أن يكون الإخبار الأول إخباراً عن مدة نبع الماء ووقوع المطر فقط والإخبار الثاني إخبار عن مدة النبع ووقوع المطر وإقامة الماء عد ذلك بلا مطر،

(١) وقول تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود: ٤٠].

هذا أمر بأنه عند حلول النعمة بهم أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين .

وفي كتاب أهل الكتاب أنه أمر أن يحمل من كل ما يؤكل سبعة أزواج ومما لا يؤكل زوجين ذكراً وأنثى، وهذا مغاير لمفهوم قوله تعالى في كتابنا الحق ﴿ اثْنَيْنِ ﴾ إن جعلنا ذلك مفعولاً به، وأما إن جعلناه توكيداً لزوجين والمفعول به محذوف فلا ينافي والله أعلم. البداية والنهاية (١/ ١٣٣).

(٢) روى ابن جرير وابن أبي حاتم بسندهما عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «لو رحم الله من قوم نوح أحداً لرحم أم الصبي» قال رسول الله ﷺ: «كان نوح عليه السلام مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يعني وغرس مائة سنة الشجر فعظمت وذابت كل مذهب ثم قطعها ثم جعلها سفينة ويمرون عليه ويسخرون منه ويقولون: تعمل سفينة في البر فكيف تجري؟ قال سوف تعلمون فلما فرغ ونبع الماء وصار في السكك خشيت أم الصبي عليه وكانت تحبه حباً شديداً فخرجت إلى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء ارتفعت حتى بلغت ثلثيه، فلما بلغها الماء خرجت به حتى استوت على الجبل، فلما بلغ الماء رقبتها رفعتها بيديها فغرقا، فلو رحم الله منهم أحداً لرحم أم الصبي» تفسير ابن كثير (٤٥٧/٢، ٤٥٨).

قلت: هذا ممكن في نفسه، لكن يبطله قوله عقيب ذكر المائة وخمسين يوماً: وذكر الله نوحًا وكل الدواب، وكل الديب، وما كان معه في التابوت، وبعث الله ريحًا على الأرض وسكن الماء، وانسدت ينابيع العمق ومزاريب السماء، وامتنع مطر السماء وجعل الماء يقل عن الأرض ويرجع بعد مائة وخمسين يوماً^(١).

والنبح كان هو ونقصان الماء بعد مائة وخمسين يوماً.

فتحقق التناقض، وأيضًا فإن قوله: وذكر الله نوحًا وكل الوحوش يوهم أن طول المدة كان بسبب النسيان، وهو باطل.

ورابعها: أن قوله: وجعل الماء يرجع عن الأرض، ويقل بعد مائة وخمسين يوماً عقيبه في القراءة السادسة عشر واستبقى الماء في الشهر السابع في سبعة عشر يوماً من الشهر على جبل أراب فردًا فبدأ الماء ينقص إلى الشهر العاشر، لأن هذا يقتضي شروع الماء في النقص بعد المائة والخمسين يوماً^(٢).

وذلك يقتضي شروعه في النقص بعد سبعة عشر يوماً من الشهر السابع فتناقضا. وفي نسخة هنا ورجع الماء عن وجه الأرض وجعل يذهب الماء ويغيض وينقص من بعد مائة وخمسين يوماً.

السؤال على القراءة السادسة عشر

من أربعة وجوه:

أحدها: كيف يحسن أن يقال واستقر التابوت في الشهر السابع في سبعة عشر

(١) قال محمد بن إسحاق: لما أراد الله أن يكف ذلك الطوفان أرسل ريحًا على وجه الأرض فسكن الماء وانسدت ينابيع الأرض، فجعل الماء ينقص ويغيض ويدبر وكان استواء الفلك فيما يزعم أهل التوراة في الشهر السابع لسبع عشر ليلة مضت منه وفي أول يوم من الشهر العاشر رثيت رعوس الجبال. البداية والنهاية (١/١٤٠)

(٢) قال تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأِ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: ٤٤].

قال مجاهد ﴿ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾: هو جبل جزيرة تشاخذت الجبال يومئذ من الفرق وتناولت، وتواضع هو لله عز وجل فلم يفرق وأرست عليه سفينة نوح عليه السلام، وقال قتادة: استوت عليه شهرًا حتى نزلوا منها، قال قتادة، قد أبقي الله سفينة نوح عليه السلام على الجودي من أرض الجزيرة عبرة وآية حتى رآها أوائل هذه الأمة وكم من سفينة قد كانت بعدها فهلكت وصارت رمادًا. تفسير ابن كثير (٢/٤٥٧).

يوماً من الشهر على جبل أراب فرداً^(١). فبدأ الماء ينقص إلى الشهر العاشر. فظهرت رعوس الجبال في اليوم الأول من الشهر العاشر.

فإن ظاهره أن نقص الماء بدأ بعد سبعة عشر يوماً من الشهر السابع مع أنه قال في القراءة الخامسة عشر قبيل هذا: أن الماء جعل يرجع عن الأرض ويقل بعد مائة وخمسين يوماً كما تقدم، فتناقض الخبران. وفي نسخة: على جبل قردى^(٢).

وثانيها: كيف يحسن أن يقال: وكان بعد أربعين يوماً فتح نوح طاق الثابوت الذي صنع وأرسل الغراب ينظر إن كان قد قل الماء، مع أنه قد قال قبله: فظهرت رعوس الجبال في اليوم الأول من الشهر العاشر.

فإذا كانت قد ظهرت رعوس الجبال من قبل ذلك بأربعين يوماً، بل وتزداد ظهوراً في مدة الأربعين يوماً^(٣).

فكيف يحتاج في معرفة أن الماء قد قل إلى إرسال غراب أو غيره، فإنه

(١) قال تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَبَسْمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: ٤٤].

قيل الجودي: من أرض الجزيرة، وقال الضحاك: جبل بالموصل، وقال بعضهم: هو بالطور وسياتي بأوسع من ذلك قريباً. تفسير ابن كثير (٤/٤٥٧).

(٢) وجدته في النسخة المطبوعة في دار الكتاب المقدس بمصر (ص ١٣): على جبال أراط.

(٣) قال في البداية والنهاية (١/١٤٠) قال محمد بن إسحاق: - يزعم أهل التوراة في الشهر السابع لسبع عشرة ليلة مضت منه وفي أول يوم من الشهر العاشر رثيت رعوس الجبال، فلما مضى بعد ذلك أربعون يوماً فتح نوح كوة الفلك التي صنع فيها، ثم أرسل الغراب لينظر له ما فعل الماء فلم يرجع إليه، فأرسل الحمامة فرجعت إليه لم تجد لرجلها موضعاً فبسط يده للحمامة فأخذها فأدخلها ثم مضت سبعة أيام ثم أرسلها لتتنظر له ما فعل الماء فلم ترجع فرجعت حين أمست وفي فيها ورق زيتونة فعلم نوح أن الماء قد قل عن وجه الأرض ثم مكث سبعة أيام ثم أرسلها فلم ترجع إليه فعلم نوح أن الأرض قد برزت، فلما كملت السنة فيما بين أن أرسل الله الطوفان إلى أن أرسل نوح الحمامة ودخل يوم واحد في الشهر الأول من سنة اثنين برز وجه الأرض وظهر البر وكشف نوح غطاء الفلك. وهذا الذي ذكر ابن إسحاق هو بعينه مضمون سياق التوراة التي بأيدي أهل الكتاب.

قال ابن إسحاق وفي الشهر الثاني من سنة اثنين في ست وعشرين ليلة منه ﴿ قِيلَ يَا نُوْحُ اهْبِطْ بِسَلْمٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ ۗ وَأُمَّمٌ سَمِعَتْهُمِ ثُمَّ يَمْسُهُنَّ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [هود: ٤٨].

بالمشاهدة ترى رعوس الجبال بعد أن كان الماء مرتفعاً عليها خمسة عشر ذراعاً فيعلم نقصان الماء.

وثالثها: كيف يحسن أن يقال وأرسل الحمامة تنظر إن كان قد قل الماء عن وجه الأرض فلم تجد الحمامة موضعاً لرجليها مع أن قلة الماء معلومة بمشاهدة ظهور رعوس الجبال، كما قدمنا.

وأيضاً فإن قوله هنا فلم تجد الحمامة موضعاً. لرجليها مع أن رعوس الجبال قد ظهرت من قبل ذلك بأربعين يوماً لا وجه له، فإنها تجد لرجليها موضعاً على رعوس الجبال كما جلس الغراب على رعوس الجبال، ولم يعد حتى نشف الماء من الأرض كما ذكره قبيله^(١).

فإن قيل لعل مراده أن ينظر إن كان قد قل الماء عن الأراضي المنبسطة الوطية من وجه الأرض لا عن رعوس الجبال المرتفعة.

قلنا: وهذا أيضاً معلوم بالمشاهدة أن الماء مرتفع عليه ويمكنها أن تجلس أيضاً على رعوس الجبال كالغراب وأيضاً فإن قوله: لتنظر إن كان قد قل الماء عن وجه الأرض، لا يمكن الحمامة أن تعلمه حتى يبعثها لمعرفته لأن قلة الماء وكثرته على وجه الأرض سواء في نظرها لاشتراكهما في ستر الأرض عن نظرها.

فكيف يحسن بعثها بكشف ذلك. وأيضاً فإن بعثها وبعث الغراب لكشف ذلك يستدعي أن يعرف لغة الطير، ولم يثبت ذلك لنوح ولا لغير سليمان عليهم

(١) قال علي بن أحمد عن عكرمة عن ابن عباس قال كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلاً معهم أهلوهم وأنهم كانوا فيها مائة وخمسين يوماً وأن الله وجه السفينة إلى مكة فطافت بالبيت أربعين يوماً ثم وجهها الله إلى الجودي فاستقرت عليه فبعث نوح الغراب ليأتيه بخبر الأرض فذهب فوق على الجيف فأبطأ عليه فبعث الحمامة فأنته بورق الزيتون فلطخت رجليها بالطين فعرف نوح عليه السلام أن الماء قد نضب فهبط إلى أسفل الجودي فابتى قرية وسمها ثمانين فأصبحوا ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة إحداها اللسان العربي، فكان بعضهم لا يفقه كلام بعض فكان نوح عليه السلام يعبر عنهم.

وقال كعب الأحبار: إن السفينة طافت ما بين المشرق والمغرب قبل أن تستقر على الجودي وقال قتادة وغيرهم ركبوا في عاشر شهر رجب فساروا مائة وخمسين يوماً واستقرت بهم على الجودي شهراً وكان خروجهم من السفينة في عاشوراء من الحرم، وقد ورد نحو هذا في حديث مرفوع رواه ابن جرير، وأنهم صاموا يومهم ذلك والله أعلم. تفسير ابن كثير (٤٥٧/٢).

السلام^(١).

ولو كان يعلمها وأمرها بلغتها التي يعلمانها كلاهما لما خالفت في المرة الثانية لما بعثها فلم ترجع كما ذكره عقبيه في قوله: فمكث سبعة أيام آخر.

وأرسل الحمامة فلم ترجع إليه.

ورابعها: كيف يحسن أن يقال: وكان في سنة إحدى وستمئة من حياة نوح في أول يوم من الشهر الأول لها، نقص الماء عن وجه الأرض وكشف نوح غطاء التابوت الذي صنع فرأى الماء قد نقص عن وجه الأرض.

وفي الشهر الثاني في اليوم السابع والعشرين من الشهر جفت الأرض وقال الرب الإله لنوح اخرج من التابوت.

فإن قوله: نقص الماء يقتضي أن النقص إنما وجد في هذا التاريخ مع أن النقص قد وجد من بعد مائة وخمسين يوماً، كما صرح به بعد ذلك في موضعين.

وإن كانا متناقضين كما بيناه وهما بعد مائة وخمسين يوماً، وبعد السابع عشر من الشهر السابع فيصير التناقض بين ثلاثة إخبارات.

فإن قيل لعل المراد بقوله نقص الماء أنه جفت الأرض بالكلية في هذا التاريخ، فلا ينافي نقص الماء في التاريخ المتقدم ولا يناقضه.

قلت: هذا يمكن في نفسه، لكن يطله قوله عقبيه: وفي الشهر الثاني في اليوم

(١) قال تعالى: ﴿وَوَرِّتْ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ۗ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦].

أي أخبر سليمان بنعم الله عليه فيما وهبه له من الملك التام والتمكين العظيم حتى إنه سحر له الإنس والجن والطيور، وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضاً وهذا شيء لم يعطه أحد من البشر فيما علمناه مما أخبر الله به ورسوله، ومن زعم من الجهلة والرعاغ أن الحيوانات كانت تنطق كنطق بني آدم قبل سليمان بن داود كما قد يتفوه به كثير من الناس فهو قول بلا علم، ولو كان الأمر كذلك لم يكن لتخصيص سليمان بذلك فائدة إذ كلهم يسمع كلام الطيور والبهائم ويعرف ما تقول وليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا بل لم تنزل البهائم والطيور وسائر المخلوقات من وقت خلقت إلى زماننا هذا على هذا الشكل والمنوال، ولكن الله سبحانه كان قد أفهم سليمان ما يخاطب به الطيور في الهواء، وما تنطق به الحيوانات على اختلاف أصنافها، ولهذا قال تعالى: ﴿عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ١٦]. تفسير ابن كثير (٣/٣٧٠).

العشرين من الشهر جفت الأرض^(١).

فإذا كان جفاف الأرض إنما حصل في الشهر الثاني.

امتنع أن يكون المراد بالنقص في الشهر الأول هو الجفاف وإلا لتناقضا أيضا.

السؤال على القراءة السابعة عشر

من خمسة أوجه:

أحدها: كيف يحسن أن يقال: وقال الرب الإله لنوح لا أعود أيضا ألعن الأرض من أجل أعمال البشر، لأن عقل الإنسان مائل إلى الشر منذ صباه^(٢).

لأن قوله: ألعن الأرض معناه أبعده الأرض وأطردها، وهذا المعنى لا يحسن استعماله إلا في حق البشر، أما في حق الأرض فلا. لأنها غير مكلفة فلا تبعد ولا تقرب.

وفي نسخة: وقال الله في قلبه لا أعود أيضا ألعن الأرض^(٣).

وبين النسختين تناقض، لأن مفهوم هذه النسخة أن القول لنوح ظاهراً لا سرا في قلبه. ومفهوم تلك النسخة أن القول في قلبه سراً لا ظاهراً مع نوح، فتناقض الإخباران.

(١) قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَشْتَوَيْتِ أَنْتِ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوَمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف: ١٢، ١٣]. تفسير ابن كثير (٥٤٦/٢).

ولهذا تستحب التسمية في ابتداء الأمور عند الركوب على السفينة وعلى الدابة كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الأزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ [التستؤوا على ظهوره]. [الزخرف: ١٢، ١٣]. تفسير ابن كثير (٥٤٦/٢).

(٢) قال تعالى في قصة يوسف عليه السلام: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِيَّ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَّ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣].

تقول المرأة ولست أبرئ نفسي فإن النفس تتحدث وتتمنى ولهذا راودته لأن ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَّ﴾ [يوسف: ٥٣] أي إلا من عصمه الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. تفسير ابن كثير (٤٩٤/٢).

(٣) ليس كذلك فالله كما قال: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]. قال ابن كثير في تفسيره (٤/

٤٩٦): -- أي مهما أراد فعله لا معقب لحكمه ولا يُسأل عما يفعله لعظمته وقهره وحكمته وعدله كما روي عن أبي بكر الصديق أنه قيل له وهو في مرض الموت هل نظر إليك الطبيب؟ قال: نعم، قالوا: فما قال لك؟ قال: قال لي إني فعال لما أريد.

وثانيها^(١): كيف يحسن أن يعلل عدم لعن الأرض بأن عقل الإنسان مائل إلى الشر، بل المناسب أن يفعل وتبعد الأرض بما فيها أيضًا لشر من فيها، وإن كان المراد بلعن الأرض إهلاك ما فيها من الإنسان، وما ينفع الإنسان من حيوان ونبات، لم يحسن أن يترك هذا لأجل أن عقل الإنسان مائل إلى الشر. والمناسب أن يفعل هذا إما عقوبة للإنسان مباشرة، وإما تخويفًا لإنسان آخر ليتنبهي عن شره.

فإن قيل: لعل المراد بهذا التعليل بسط عذر الإنسان فيما يصدر منه من الشر، لأنه إذا كان الشر مركزًا في طبيعة عقله من الصبا، كان مغلوبًا مع عقله معذورا فيما صدر منه، فيحسن أن يسامح ولا يؤاخذ بشر، ولا يهلك بالطوفان مرة أخرى. قلت: لو كان هذا هو المراد، وكان ذلك موجبًا للمسامحة في حكمة الإلهية، مع أن العلم الأزلي^(٢) محيط به، قبل فعل الطوفان على ذلك لزم أن يكون وقوع الطوفان على خلاف الحكمة الإلهية، ولزم أن يكون هذا ندماً على إيقاعة^(٣)، وهما باطلان

(١) قال في البداية والنهاية (١/١٤١): -قد أنكرت طائفة من جهلة الفرس وأهل الهند وقوع الطوفان واعترف به آخرون منهم وقالوا: إنما كان بأرض بابل ولم يصل إلينا، قالوا: ولم نزل نتوارث الملك كائراً عن كابر من لدن «كيومرث» يعنون آدم إلى زماننا هذا. وهذا قاله من قاله من زنادقة الجوس عباد النيران وأتباع الشيطان، وهذه سفسطة منهم وكفر فظيح وجهل بليغ ومكابرة للمحسوسات وتكذيب لرب الأرض والسموات وقد أجمع أهل الأديان الناقلون عن رسل الرحمن مع ما تواتر عند الناس في سائر الأزمان على وقوع الطوفان، وأنه عم جميع البلاد ولم يبق الله أحداً من كفره العباد استجابة لدعوة نبيه المؤيد المعصوم وتنفيذا لما سبق في القدر المحتوم.

(٢) قال في البداية والنهاية (١/١١٩): - قال محمد بن إسحاق: ولما حضرت آدم عليه السلام الوفاة عهد إلى ابنه شيث وعلمه ساعات الليل والنهار، وعلمه عبادات تلك الساعات وأعلمه بوقوع الطوفان بعد ذلك.

ثم قال بعد ذلك: ويقال: إن نوحاً عليه السلام لما كان زمن الطوفان حمله هو وحواء في تابوت دفنهما ببيت المقدس. حكى ذلك ابن جرير.

(٣) لما اجتمع عليهم خطاياهم من كفرهم وفجورهم ودعوة نبيهم عليهم فعند ذلك أمره الله تعالى أن يصنع الفلك وهي السفينة العظيمة التي لم يكن لها نظير قبلها ولا يكون بعدها مثلها. وقدم الله تعالى إليه أنه إذا جاء أمره وحل لهم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين أنه لا يعاوده فيهم ولا يراجعه فإنه لعله قد تدركه رقة على قومه عند معاينة العذاب النازل بهم.

(.....)^(١).

وثالثها: كيف يحسن أن يقال: ولكن من الآن كل أيام الأرض زرع وحصاد،
برد وحر، صيف وشتاء، نهار وليل، لا يستريحان.

فإن قوله: من الآن يوهم أن الأمر لم يكن ذلك من قبل الآن، وليس كذا.
وفي نسخة: لا ييطانان، بدل: يستريحان.

ورابعها: كيف يحسن أن يقال: وبارك الله على نوح وبنيه، وقال لهم: إنموا
واكثروا واملئوا الأرض.

فإن قوله: بارك، يوجب حصول البركة.

وقوله: انموا واكثروا يوجب حصول الكثرة.

لكن وجد من الكثرة كفار وفجار^(٢)، بل أكثر الكثرة كفار وفجار، ووجود

فإنه ليس الخبر كالمعانية، ولهذا قال: ﴿وَلَا تَحْطُبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِقُونَ﴾ [هود: ٣٧].

(١) كلمات غير واضحة بالهامش.

(٢) تناول الزمان والمجادلة بين نوح وقومه كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤].

أي ومع هذه المدة الطويلة فما آمن به إلا القليل منهم.

وكان كلما انقضى جيل وصوا من بعدهم بعدم الإيمان به ومحاربتهم، ومخالفتهم، وكان الوالد إذا بلغ ولده وعقل عنه كلامه وصاه فيما بينه وبينه أن لا يؤمن بنوح أبدا ما عاش ودائما ما بقي، وكانت سجاياهم تأبى الإيمان واتباع الحق، ولهذا قال: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاَجْرًا كَفَّارًا﴾

[نوح: 27].

ولهذا قالوا: ﴿قَالُوا يَنْبُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين ﴿[هود: ٣٢-٣٣]. أي إنما يقدر على ذلك الله عز وجل فإنه الذي لا يعجزه شيء ولا يكثره أمر بل هو الذي يقول للشيء كن فيكون: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٤].

أي من يرد الله فتنته فلن يملك أحد هدايته هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو الفعال لما يريد وهو العزيز الحكيم العليم بمن يستحق الهداية ومن يستحق الغواية وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة. البداية والنهاية (١/١٣٠، ١٣١).

شيء من الفجر، والكفر فيهم ينافي البركة، فكيف كثرة الكفر والفجور.

فإن قيل: لعل المراد بقوله: بارك الله على نوح وبنيه أنه كثرة، فيبقى مناسباً لقوله انموا واكثروا. قلت: هذا لا يصح لوجهين: أحدهما أن اللفظ الذي يعطي هذا المعنى أن يقال: بارك فيهم بمعنى كثرة، أما بارك عليهم فمفهومه أنه جعلهم مباركين، وإن كانوا قليلين في العدد كما يقال: فلان رجل مبارك، أي ذو بركة وخير، لا ذو كثرة في العدد.

وثانيها: «أن بارك»^(١) إخبار بفعل ماض عن إيقاع شيء منه عليهم، وهي البركة، فقد وقعت وحصلت.

وقوله: انموا واكثروا^(٢)، فعل أمر إما تكليفي أو تكويني، فلو كان المراد بالبركة كثرة العدد لزم الأمر تحصيل الحاصل لحصولها قبل الأمر.

وخامسها: كيف يحسن أن يقال: ومن يهرق دم الإنسان يهرق دمه بدل دمه، لأن على صورة الله خلق الإنسان. فإن قوله: على صورة الله يتضمن إثبات الصورة لله سبحانه وتعالى، وقد تقدم إبطاله.

(١) قال تعالى: ﴿ قِيلَ يَنْبُوْحُ أَهْبِطْ بِسَلْمٍ مِّنَّا وَبَرَكَتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنَمَتُّهُنَّ ثُمَّ يَمَسُّهُنَّ مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [هود: ٤٨].

هذا أمر لنوح عليه السلام لما نضب الماء عن وجه الأرض وأمكن السعي فيها والاستقرار عليها أن يهبط من السفينة التي كانت قد استقرت بعد سيرها العظيم على ظهر جبل الجودي، وهو جبل بأرض الجزيرة مشهور.

وفي قوله تعالى: ﴿ بِسَلْمٍ مِّنَّا وَبَرَكَتٍ ﴾ أي اهبط سالماً مباركاً عليك وعلى أمم من سيولد بعد، أي من أولادك، فإن الله لم يجعل لأحد ممن كان معه من المؤمنين نسلًا ولا عقباً سوى نوح عليه السلام. قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ [الصفات: ٧٧].

(٢) قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ [الصفات: ٧٧]. فكل من على وجه الأرض اليوم من سائر أجناس بني آدم ينسبون إلى أولاد نوح الثلاثة وهم سام وحام ويافت. روى أحمد في مسنده (١٩٩٨٢)، والترمذي في سننه (٣٩٣١)، والحاكم في مستدركه (٥٤٦/٢). عن سرة أن النبي ﷺ قال: «سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافت أبو الروم».

وروى ابن عبد البر مثله عن عمران بن حصين وقال: المراد بالروم هنا الروم الأول وهم اليونان المنتسبون إلى رومي بن لبطي بن يوثان بن يافت بن نوح عليه السلام. البداية والنهاية (١٣٨/١).

وأيضاً فإن تحليل إثبات القصاص بين القاتل والمقتول المكلفين، لا يشترط فيه بعد التكليف فيهما سوى تكافئهما فقط. بأن يكون القاتل أشرف من المقتول، فإنه لا يقتل الحر بالعبد^(١) مثلاً. أما كونهما على صورة الله أو على غير صورة الله فلا مدخل له في إثبات القصاص. فإن من لم يثبت لله صورة أثبت القصاص أيضاً بينهما. وفي نسخة: ومن يسفك دم البشر فلبشر سفك دمه من أجل أنه على تمثال الله خلق آدم.

السؤال على القراءة الثامنة عشر

من ثلاثة أوجه أحدها: كيف يحسن أن يقال قال الرب الإله لنوح وبنيه معه قائلاً هو ذا أنا أقيم عهدي لكم ولنسلككم^(٢) معكم، ومع كل نفس حية معكم من طائر ومن بهائم، ومن جميع وحوش الأرض الذين معكم، ممن خرج من السفينة، وأقيم عهدي عندكم، وليس يموت كل جسد أيضاً من ماء الطوفان ولا يكون أيضاً الطوفان يفسد كل الأرض.

فإن لفظ العهد بأنه لا يقع الطوفان على الأرض أبداً سواء أفسد أهلها أو لم يفسدوا^(٣). ولا يحسن لوجهين أحدهما أنه لا يناسب نفس الشرائع، فإنها محشوة

(١) قال الحنفية: يقتل الحر بالحر، والحر بالعبد لعموم الآيات الواردة في القصاص، ولأن القصاص يعتمد المساواة في العصمة، وهي بالدين، أو بالدار، والعبد والحر يستويان فيهما، فيجري القصاص بينهما، وحقيقة الكفر لا تمنع من جريان القصاص، لأنه لو صلح لما جرى بين العبدین. وقال المالكية والشافعية والحنابلة: لا يقتل الحر بالعبد لقوله تعالى: ﴿أَلْحَرْ بِالْحَرْ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ [البقرة: ١٧٨]. ومن ضرورة هذه المقابلة أن لا يقتل حر بعبد. الفقه على المذاهب الأربعة (٢٢٥/٥).

(٢) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمَنَّهُمْ مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِيقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦].

يخبر الله تعالى أنه منذ بعث نوحاً عليه السلام لم يرسل بعده رسولاً ولا نبياً إلا من ذريته وكذلك لإبراهيم عليه السلام خليل الرحمن، لم ينزل من السماء كتاباً ولا أرسل رسولاً ولا أوحى إلى بشر من بعده إلا وهو من سلالة كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ﴾ حتى كان آخر أنبياء بني إسرائيل عيسى ابن مريم الذي بشر من بعده بمحمد صلوات الله وسلامه عليهما. تفسير ابن كثير (٣١٥/٤).

(٣) قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [فاذًا جَاءَ وَعَدُّ أَوْلَانَهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ

بتهديد المكلفين بعقوبات الدنيا والآخرة على معاصيهم ليخافوا فيستقيموا على طاعته سبحانه وتعالى، فأما إعلامهم بعدم المؤاخذة لاسيما بلفظ المعاهدة فغير مناسب لذلك النفس بل هو منافية^(١).

وثانيها: أن المسامحة بالمؤاخذة يكفي فيه لفظ العفو عن المعصية، أو ترك التكليف بتحريمها، فأما استمرار التكليف مع المعاهدة على ترك المؤاخذة، فلا وجه له، ولا يحسن هذه المعاهدة إلا في مهادنة طائفتين من البشر لتأمن كل منهما من شر الأخرى فيؤمنها شرها أيضا، تعالى الله عن ذلك.

الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٢٦﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيِّنَ
وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٢٧﴾ إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ
الْآخِرَةِ لِيُسْتَفْهُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّوا مَا عَلَوْنَا تُتْبِيرًا
﴿٢٨﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿الإسراء: ٤-٨﴾.

قال ابن كثير في تفسير (٢٦/٣): ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ أي متى عدتم إلى الإفساد ﴿عُدْنَا﴾ إلى الإدالة عليكم في الدنيا مع ما ندخره لكم في الآخرة من العذاب والنعال.

(١) قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿٢٦﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيرٍ ﴿٢٧﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿هود: ١٠٠-١٠٢﴾.

قال ابن كثير في تفسيره (٤٧٠/٢): - لما ذكر تعالى خير الأنبياء وما جرى لهم مع أممهم وكيف أهلك الكافرين ونجى المؤمنين قال: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ﴾ أي أخبرهم ﴿نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ﴾ أي عامر: ﴿وَحَصِيدٌ﴾ أي هالك ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ أي إذا أهلكناهم ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بتكذيبهم رسلنا وكفرهم بهم ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ﴾ أو ثانهم التي يعبدونها ويدعونها ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ما نفعوهم ولا أنقذوهم لما جاء أمر الله بإهلاكهم ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيرٍ﴾ قال مجاهد وقتادة وغيرهما أي غير تخسير وذلك أن سبب هلاكهم ودمارهم إنما كان باتباعهم تلك الآلهة فلهدوا خسروا في الدنيا والآخرة، ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿يقول الله تعالى وكما أهلكنا أولئك القرون الظالمة المكذبة لرسنا كذلك فعل بأشباههم﴾ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿.

وأيضاً فإن قوله: قال الرب الإله لنوح وبنيه معه قائلاً، لا يحسن، فإن قال بلفظ الفعل غير جائز لأنه لا يفيد كقولك ضرب زيداً عمراً ضارباً.

وفي نسخة: قال الإصحاح السادس بدل القراءة الثامنة عشر.

وثانيها: كيف يحسن أن يقال عقيبه: فقال الرب الإله لنوح إن هذه علامة عهدي^(١) الذي أنا أعطي بيني وبين كل نفس حية الذين معكم إلى أجيال الدهر قوسي أحل في الغمام، ويكون علامة عهدي بيني وبين الأرض، فإذا أنا رفعت الغمام عن الأرض يرى قوسي في الغمام فيذكر عهدي، فإن كون القوس علامة العهد لا يحسن لوجهين:

أحدهما: أن القوس لا يكون في كل غمام بل في القليل من أوقات الغمام وهو وقت رقة الغمام حيث لا يكون موجباً لكثرة الأمطار^(٢)، التي يخاف منها الطوفان فلا تحصل العلامة وقت الحاجة إليها، بل وقت الاستغناء.

وثانيها: أن عهده بأن لا يرسل الطوفان عليهم إن لم يعتمدوا على صدقه، فقوله: إن القوس علامة لعهد لا يعتمدون أيضاً على صدقه، وإن اعتمدوا على صدقه فلا حاجة إلى هذه العلامة التي لا تناسب الطوفان ولا عدمه، ولا تنطلي إلا على ضعيف العقل.

وفي نسخة فاذكر عهدي بدل: فيذكر، وسيأتي ضعفه.

وثالثها: كيف يحسن أن يقال وليكن قوسي في الغمام أراه^(٣)، واذكر عهدي.

(١) روى البخاري في صحيحه (٤٦٨٦) كتاب تفسير القرآن، ٥- باب قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَلِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُدَّ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَلِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُدَّ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾.

(٢) قوس قزح: قوس ينشأ في السماء أو على مقربة من مسقط الماء من الشلال ونحوه ويكون في ناحية الأفق المقابلة للشمس، وترى فيه ألوان الطيف متتابعة، وسببه: انعكاس أشعة الشمس من رذاذ الماء المتطاير من ماء المطر أو مياه الشلالات وغيرها من مساقط الماء المرتفعة.

(٣) قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥].

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمُ مَا تُخْفَىٰ وَمَا تُعْلِنُ وَمَا تُخْفَىٰ عَلَيَّ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٨].

فإن قوله: أراه واذكر عهدي يفهم منه أن رؤية القوس تذكره سبحانه وتعالى بالعهد وهذا لا يتوهم أحد من العقلاء أن النسيان يجوز تطرفه إليه سبحانه^(١)، حتى يتذكر برؤية القوس. فكيف يجوز أن يخبر به سبحانه عن ذاته المقدسة. وهذا يدل على أن قوله قبيله في النسخة الأخرى فاذا ذكر عهدي، هذا معناه. وكذا قوله هنا: فيذكر عهدي، ويتوجه السؤال عليهما أيضاً.

السؤال على القراءة التاسعة عشر

من ستة أوجه:

أحدها: كيف يحسن أن يقال وكان بنو نوح الذين خرجوا من السفينة سام وحام ويافت، حام أبو كنعان. وهؤلاء الثلاثة كل بني نوح^(٢). ومن هؤلاء تفرقوا في الأرض، فإن حام هو أصغر الثلاثة لأنه قال بعده: وعلم ما عمل به ابنه الأصغر، فلم يبدأ في ذكرهم بالأكبر ثم الأوسط، ثم الأصغر جريا على ترتيب الوجود، وابتدأ بالأكبر فالأكبر، ولم يبدأ بالأصغر، ثم الأوسط، ثم الأكبر جريا على سلوك الترقى من الأصغر إلى الأكبر. ثم وقع التخبيط في الترتيب.

أي أنت تعلم قصدي في دعائي وما أردت بدعائي لأهل هذا البلد وإنما هو القصد إلى رضاك الإخلاص لك فإنك تعلم الأشياء كلها ظاهرها وباطنها لا يخفى عليك منها شيء في الأرض ولا في السماء. تفسير ابن كثير (٥٥٧/٢).

(١) قال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿ [طه: ٥١، ٥٢]. أي لا يشذ عنه شيء ولا يفوته صغير ولا كبير ولا ينسى شيئا يصف علمه تعالى بأنه بكل شيء محيط وأنه لا ينسى شيئا تبارك وتعالى وتقدس وتنزه، فإن علم المخلوق يعتره نقصانان أحدهما عدم الإحاطة بالشيء والآخر نسيانه بعد علمه فتنزه نفسه عن ذلك. تفسير ابن كثير (١٦٠/٣).

(٢) روى أبو عمر بن عبد البر من حديث إسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال: ولد نوح ثلاثة، سام، ويافت، وحام وولد كل واحد من هذه الثلاثة ثلاثة، فولد سام: العرب وفارس والروم، وولد يافت: الترك والسقالية وأجوج ومأجوج، وولد حام القبط والسودان والبربر.

وقد قيل: إن نوحا عليه السلام لم يولد له هؤلاء الثلاثة الأولاد إلا بعد الطوفان، وإنما ولد له قبل السفينة كنعان الذي غرق وعابر مات قبل الطوفان. البداية والنهاية (١٣٨/١).

وثانيها: كيف يحسن أن يقال: فنظر حام^(١) أبو كنعان عرية^(٢) أبيه، فخرج وأخبر إخوته.

ثم يقال بعده: فاستيقظ نوح من سكره وعلم ما عمل به ابنه الأصغر. فقال ملعون كنعان عبداً مملوكاً يكون لإخوته فإن الذي أذنب فنظر عورة أبيه هو حام^(٣)، أبو كنعان، والذي عوقب باللعنة ابنه كنعان يعني أولاد حام الأربعة. وهذا لا يليق بالشرع ولا بالعقل. وفي نسخة: فنظر عورة أبيه بدل عرية. وفي نسخة: يكون عبد العبيد لإخوته.

وثالثها: كيف يحسن أن يقال: ويوسع الله على يافث، ويحل في مساكن سام، ويكون عبداً له فإن قوله: ويحل في مساكن سام، يوهم حلوله سبحانه في مساكن سام. وهذا من لم يقل به أحد من العقلاء.

فإن قيل: لعل المراد الإشارة إلى حلوله سبحانه في عيسى عليه السلام على معتقد اليهود. أو حلول لاهوته الابن في عيسى على معتقد النصارى.

قلنا هذا خلاف ظاهر لفظ مساكن سام. فإن مساكن سام غير سام، ومسكن عيسى غير عيسى. ولا سيما بصيغة جمع مساكن سام في هذه النسخة فإنهم لا يقولون

(١) الصحيح أن الأولاد الثلاثة كانوا معه في السفينة هم ونساؤهم وأمهم وهو نص التوراة وقد ذكر أن حاماً واقع امرأته في السفينة فدعا عليه نوح أن تشوه حلقة نطفته فولد له ولد أسود وهو كنعان بن حام جد السودان.

وقيل: بل رأى أباه نائماً وقد بدت عورته فلم يسترها وسترها أخواه فلهدا دعا عليه أن تغير نطفته وأن يكون أولاده عبيداً لإخوته المرجع السابق (١٣٩/١).

(٢) كذا بالأصل وهي عورته.

(٣) ذكر الأمام أبو جعفر بن جرير من طريق علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أنه قال: قال الحواريون لعيسى ابن مريم: لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة فحدثنا عنها قال: فانطلق بهم حتى أتى إلى كتيب من تراب فأخذ كفاً من ذلك التراب بكفه.

قال: أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا كعب حام بن نوح، قال: وضرب الكتيب بعصاه وقال: قم ياذن الله، فإذا هو قائم ينفذ التراب عن رأسه قد شاب فقال له عيسى عليه السلام: هكذا كهلت قال: لا ولكني مت وأنا شاب ولكنني ظننت أنها الساعة، فمن ثم شبت. قال: حدثنا عن سفينة نوح، قال: كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع. وكانت ثلاث طبقات... إلى آخر القصة. وفي آخرها فقال له: عد ياذن الله فعاد تراباً انظر البداية والنهاية (١٣٩/١).

بحلوله في الجمع. وإن قالوا به في المفرد.

وأيضاً فإن قوله في هذه النسخة ويكون كنعان عبداً له يفهم منه أن كنعان يكون عبداً لسام مع أن حال كنعان المذكور في بركة أولاده. وذريته لا يناسب اللعنة. بل أخوه كوش أو نمرود^(١) الجبار، يناسبها، فيكون مناقضاً لقوله قبيله: ملعون كنعان عبداً مملوكاً يكون لإخوته.

وفي نسخة ويكون عبداً لهما ويكثر الله يافث ويحل في مساكن سام^(٢). فتناقض النسختان في لهما وفي مسكن على أنا نقول إن ثبت حلوله سبحانه في مساكن سام بطل اختصاص عيسى بالحلول فيه، وتساوى الأنبياء. غيره ممن حل فيه، فلا يبقى لدعوى نبوته وجه على معتقد النصارى، ولا لدعوى أنه هو على معتقد اليهود. ورابعها: كيف يحسن أن يقال: وبنو حام كوش ومصرائم وقفت^(٣) وكنعان. وبنو كوش سابا وحويلا وسبتا ورعما وسبتكا وبنو رعما شبا وددان. وكوش ولد نمرود، وهو بدأ أن يكون على الأرض جباراً، وهو كان الجبار القائم قدام الله، وكان رأس ملكه بيبابل.

فإنه قد ذكر أن بني كوش خمسة. ثم ذكر بعده أن بني ابنه الرابع رعما اثنا^(٤). ثم ذكر بعد ذلك أيضاً أن كوش ولد نمرود الجبار^(٥). فعلى هذا يكون بني كوش ستة لا

(١) نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح ويقال: نمرود بن فالخ بن عابد بن شالخ بن لرفخذ بن سام بن نوح، والأول قول مجاهد وغيره، قال مجاهد: وملك الدنيا مشارقتها ومغارها أربعة: مؤمنان، وكافران. المؤمنان: سليمان بن داود، وذو القرنين والكافران: نمرود ويختنصر، والله أعلم.

(٢) قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده، بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ولد لنوح: سام، وحام، ويافث، فولد لسام العرب، وفارس، والروم، والخير فيهم، وولد ليافث: يأجوج ومأجوج، والترك والسقالية، ولا خير فيهم، وولد لحام: القبط، والبربر، والسودان» ابن كثير البداية والنهاية (١/١٣٨).

(٣) كذا بالأصل ووجدناها «وقوط».

(٤) هما شبا وددان كما تقدم قريباً.

(٥) وهو الذي قال فيه الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

خمسة، مع ما فيه من عدم الترتيب.

وخامسها: كيف يحسن أن يقال: وقالوا تعالوا لبنني لنا مدينة وبرجًا يكون رأسه في السماء، ونجعل لنا ذكرًا من قبل أن تتفرق على وجه الأرض كلها.

فنزل الرب^(١) لينظر المدينة والبرج الذي ابتناه بنو البشر، فإن قوله: فنزل الرب لينظر المدينة والبرج لا يحسن لوجوه:

أحدها: أن النزول ممتنع عليه سبحانه باتفاق منا ومنهم لا يهم، وإن قالوا بصحة تجسده في عيسى، لكنه في ذلك الوقت غير مجسد، فلا يصح عليه النزول. لأن النزول من خواص الأجساد.

وثانيها: أن النزول^(٢) لينظر يوهم أن النظر مشروط بالنزول، لأن العلة الغائبة مشروطة بوجود المعلول.

وثالثها: أن المدينة والبرج لم يوجد ذلك الوقت، ولا بعده. بدليل قوله عقبيه: وكفوا أن يبنوا المدينة والبرج. وفي نسخة: ولم يبنوا القرية، فكيف يقول: نزل لينظرهما،

[البقرة: ٢٥٨].

وقال ابن كثير: هذه المناظرة كانت بين إبراهيم ونروذ بعد خروج إبراهيم من النار، ولم يكن اجتمع بالملك إلا في ذلك اليوم فجرت بينهما هذه المناظرة تفسير ابن كثير (١/٣١٣).

(١) في نزول الله تعالى قال النووي: مذهبان مشهوران للعلماء ومختصرهما أن: أحدهما: وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق الثاني: مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف وهو محكي هنا عن مالك والأوزاعي أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها. النووي في شرح مسلم (٦/٣٢، ٣٣) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) قال النووي: اعلم أن لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين:

أحدهما: وهو مذهب معظم السلف أو كلهم أنه لا يتكلم في معناها بل يقولون يجب علينا أن يؤمن بها ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته مع اعتقادنا الجازم أن الله تعالى ليس كمثله شيء وأنه منزه عن التجسيم والانتقال والتحيز في جهة وعن سائر صفات المخلوق، وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين واختاره جماعة من محققيهم وهو أسلم.

والقول الثاني وهو مذهب معظم المتكلمين أنها تتأول على ما يليق بها على حسب مواقعها، وإنما يسوغ تأويلها لمن كان من أهله بأن يكون عارفاً بلسان العرب وقواعد الأصول. والفروع ذا رياضة في العلم. شرح مسلم للنووي (٣/١٨) طبعة دار الكتب العلمية.

بصيغة الماضي.

وسادسها: كيف يحسن أن يقال بعده. فقال الرب: هو ذا جنس واحد، ولسان واحد لكل وهكذا هموا ليصنعوا، أما الآن فلا ينقصهم الذي هموا به ليصنعوه، تعالوا ننزل لنقسم هناك ألسنتهم لكي لا يعلم الرجل منهم كلام صاحبه.

فإن قولهم تعالوا ننزل لنقسم هناك ألسنتهم لا يحسن لوجوه أحدها: أن النزول عليه سبحانه ممتع، كما قدمنا آنفاً.

وثانيها: أن النزول قد حصل قبيله، بدليل قوله: ونزل الرب بصيغة الماضي، وتحصيل الحاصل محال.

وثالثها: أنه قرن به قوله تعالى: لنقسم وهذا يوهم أنه طلب الاستعانة بنزول غيره على قسمة ألسنتهم، وذلك يوجب موقف قسمة ألسنتهم^(١).

وهذا لا يليق إلا بعاجز عن تحصيل مقصوده بنفسه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. ورابعها: أنه جعل علة النزول قسمة ألسنتهم وذلك يوجب توقف قسمة ألسنتهم، على النزول لأن العلة الغائبة متوقفة على وجود الفعل، وليس كذلك، لإمكان قسمتها بدون النزول.

وخامسها: أنه جعل أيضاً علة قسمة ألسنتهم أن لا يعلم الرجل منهم كلام صاحبه. وتجهيل الإنسان بما يعلمه لا يليق أن يكون مقصوداً لله تعالى.

بل اللائق به أن يعلم الإنسان ما لم يعلم. وفي نسخة الإصحاح السابع قسمة الألسن واختلاف لغتهم بالسريانية اثنان وسبعون لساناً وكانت الأرض كلها لساناً

(١) قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَنَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَنَكُرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الروم: ٢٢]. قوله تعالى: ﴿ وَأَخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ ﴾ يعني اللغات فهؤلاء بلغة الغرب وهؤلاء تنزلهم لغة أخرى وهؤلاء كرج وهؤلاء روم إفرنج وهؤلاء بربر وهؤلاء تكرر وهؤلاء حبشة وهؤلاء هنود وهؤلاء عجم وهؤلاء صفالية وهؤلاء خزر وهؤلاء أرمن، وهؤلاء أكراد إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله تعالى من اختلاف لغات بني آدم واختلاف ألوانهم وهي حلالهم فجميع أهل الأرض بل أهل الدنيا منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة كل له عينان وحاجبان وأنف وجبين وفم وخدان وليس يشبه واحد منهم الآخر بل الأبدان مفارقة بشيء من السمات. أو الهيئة أو الكلام ظاهراً كان أو خفياً يظهر عند التأمل كل وجه منهم أسلوب بذاته وهيئة لا تشبه أخرى، ولو توافق جماعة في صفة من جمال أو قبح لا بد من فارق بين كل واحد منهم وبين الآخر. تفسير ابن كثير (٤٤٥/٣).

واحدًا ولم أجد القراءة العشرين. ولعله خلطها مع التاسعة عشر والتي بعدها.

السؤال على القراءة الحادية والعشرين

من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن مقتضى ما ذكره فيها من وفيات المذكورين فيها من أرفخشد المولود بعد الطوفان بستتين إلى أولاد إبرام وهو إبراهيم بن تارخ^(١).

وهم عشرة أنفس: أن المدة ألف وسبعون سنة وهذا تناقض فاحش بين النسختين تسقط الثقة بهما في تفسيرهما التوراة العبرانية^(٢).

إلا أن يكون التناقض في نسخ التوراة العبرانية أيضًا فيزداد التناقض فحشًا.

والعشرة هم: إبرام بن تارخ بن ناحور بن ساروخ بن راعو بن فالغ بن عار بن شالخ بن قينان بن أرفخشد. وأرفخشد بن سام بن نوح. ومن ولادة سام إلى ولادة أرفخشد مائة وثلاث سنين.

وفي فرجة بخط المصنف: فيكون من ولادة سام إلى ولادة إبرام^(٣)، ألف ومائة

(١) قال الضحاك عن ابن عباس أن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر وإنما كان اسمه تارخ، وأمه اسمها شاني وامراته اسمها سارة، وأم اسماعيل اسمها هاجر وهي سرية إبراهيم هكذا قال غير واحد من علماء النسب أن اسمه تارخ.

وقال ابن جرير: والصواب أن اسم أبيه آزر ثم أورد على نفسه قول النسابين أن اسمه تارخ ثم أجاب بأنه قد يكون له اسمان كما لكثير من الناس أو يكون أحدهما لقبًا وهذا الذي قاله جيد قوي والله أعلم. تفسير ابن كثير (١٥٣/٢).

(٢) روى ابن عساکر من غير وجه عن عكرمة أنه قال: كان إبراهيم عليه السلام يكنى أبا الضيفان قالوا: ولما كان عمر تارخ خمسًا وسبعين سنة ولد له إبراهيم عليه السلام هو الأوسط وأن هاران مات في حياة أبيه في أرضه التي ولد فيها وهي أرض الكلدانيين - يعنون أرض بابل، وهذا هو الصحيح المشهور عند أهل السير والتواريخ والأخبار. البداية والنهاية (١٦٤/١).

(٣) كان أول دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه وكان أبوه ممن يعبد الأصنام لأنه أحق الناس بإخلاص النصيحة له كما قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ ١١٦ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ١١٧ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ١١٨ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ١١٩ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ١٢٠ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْحَمَتِكَ وَأَهْجَرْتَنِي مَلِيًّا ١٢١ قَالَ سَلِّمْ

وثلاثة وسبعون سنة، وقد تقدم أن من إيجاد آدم إلى ولادة سام ألفين ومائة وستة سنة. فيكون إيجاد آدم إلى ولادة إبرام - وهو لإبراهيم - ثلاثة آلاف ومائتان وتسعة وسبعون سنة.

وعلى حساب النسخة الأخرى ألف وخمسمائة وأربعة وستون سنة (.....)^(١). فاحش وفاحش جداً.

وقال في الفرجة هذا تمام السؤال من القراءة الحادية والعشرين^(٢).

وثانيها: كيف يحسن أن يقال: وقال الرب الإله لإبرام اخرج من أرضك^(٣) ومن أهلك ومن بيت أبيك، وتعال إلى الأرض التي أريك إياها وأجعلك لشعب عظيم، وأباركك، وأرفع اسمك ويكون مباركاً، وأبارك من يباركك، وألعن من يلعنك، ويتبارك بك قبائل الأرض.

فخرج إبرام كما أمره الرب، وخرج معه لوط^(٤).

وكان إبرام ابن خمس وسبعين سنة إذ خرج من حران وأخذ إبرام

عَلَيْكَ ط سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٨﴾ وَأَعْتَرَلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٩﴾ [مريم: ٤٨-٤٩].

(١) كلام غير واضح نحو أربع كلمات.

(٢) وجدناه بالهامش.

(٣) لما هجر قومه في الله وهاجر من بين أظهرهم وكانت امرأته عاقراً لا يولد لها ولم يكن له من الولد أحد بل معه ابن أخيه لوط بن هاران بن آزر وهبه الله تعالى بعد ذلك الأولاد الصالحين وجعل في ذريته النبوة والكتاب، فكل نبي بعث بعده فهو من ذريته، وكل كتاب نزل من السماء على نبي من الأنبياء من بعده فعلى أحد نسله وعقبه خلعه من الله وكرامة له حين ترك بلاده وأهله وأقرباءه وهاجر إلى بلد يتمكن فيها من عبادة ربه عز وجل. البداية والنهاية (١/ ١٧٤).

(٤) قال تعالى: ﴿فَقَامَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [العنكبوت: ٢٦، ٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنبياء: ٧١-٧٢].

سراي^(١) امرأته، ولوط ابن أخيه، وكل ما اقتنوا بحران واكتسبوا، وخرجوا جاثين إلى أرض كنعان فإن قوله: اخرج من أرضك ومن بيت أبيك لا يحسن لأنهم بحران، وهي ليست بأرضه لأن أرضه التي بها ولد هو وأخوه ناحور وهاران أبو لوط، وهي أرض الكلدانيين. وإنما حران ساروا بها في طريقهم لما ساروا من أرض الكلدانيين طالبين أرض كنعان كما صرح به قبيله.

وثالثها: إن قوله: ومن أهلك لا يحسن أيضاً مع قوله: فخرج إبرام، وأخذ إبرام سراي امرأته ولوطاً بن أخيه، وكل ما اقتنوا بحران فيكون قد خرج بأهله لا من أهله. فيلزم ترك الأمور تناقض الإخبارين.

فإن قيل: لعله لما أمر بخروجه ويكون خروجه منفرداً من أهله امتثل أحد الأمرين^(٢).

(١) تزوج إبراهيم عليه السلام بآبنة خالته سارة التي آمنت بدعوته وأخلصت له كما أنها أحبته حباً جماً فلما عرض عليها الزواج منه وافقته عليه، ثم وضعت بعد زواجهما كل ما كانت تملكه تحت تصرف زوجها إبراهيم عليه السلام، ولعلها كانت تملك كثيراً من المواشي والزروع. واعتزل إبراهيم عليه السلام قومه لينصرف إلى دعاء ربه، عسى ألا يكون بدعاء ربه شقياً وأسر إلى زوجه بأنه يريد أن يهاجر إلى ربه عله يجد في أرض أخرى قوماً يؤمنون بالدين الحنيف الحق، وكان لإسارها بقوله تعالى: ﴿ذَاهِبْ إِلَىٰ رَبِّكَ سَيِّدِينَ﴾ [الصفافات: ٩٩]، ومر في طريقه بـ«أور» الكلدانيين ثم ارتحل منها إلى «حاران» وهي بلدة في فلسطين التي كان الكنعانيون يحكمون جزءاً منها.

أقام إبراهيم عليه السلام أول الأمر في بلدة تدعى «شكين» وهي التي تعرف اليوم باسم «نابلس» ولكن مقامه فيها كان قصيراً، إذ كان ينتقل منها إلى الجنوب ليؤدي مهمة الدعوة والتبليغ. ولم يتوقف النبي إبراهيم عليه السلام في هذه الأرض الجديدة عن الدعوة إلى دين الله العزيز الحكيم ولكنه وجد بالإضافة إلى غربته عن وطنه غربة جديدة في عدم تقبل الناس هنا أيضاً الهداية، وظل على العهد قائماً وللإيمان بالله داعياً. انظر مجمع البيان الحديث في ذكر قصة إبراهيم عليه السلام.

(٢) قال في البداية والنهاية (١/١٧٤): زعم كعب الأخبار أنه خرج من حران، ونقل أهل الكتاب أنه خرج من أرض بابل هو وابن أخيه لوط وأخوه ناحور وامرأة إبراهيم سارة وامرأة أخيه ملكا فنزلوا حران فمات تارح أبو إبراهيم بها وقال السدي: انطلق إبراهيم ولوط قبل الشام فلقى إبراهيم سارة وهي ابنة ملك حران وقد طعن على قومها في دينهم فتزوجها على أن لا يغيرها.

رواه ابن جرير وهو غريب والمشهور أنها ابنة عمه هاران الذي تنسب إليه حران، ومن زعم

فخرج وخالف في ترك أهله لعذر خوف ضياعهم بعده.

وغاية ما فيه ترك بعض ما أمر به لعذر، وهو جائز، وأما تناقض الخبرين فممنوع، لأن ذلك أمر وهذا خبر، فلا تناقض بينهما لإمكان أن يؤمر المكلف بأمر ويخبر عنه بأنه خالف بعضه أو مخالفه، قلنا: هذان كلاهما لا يصحان مع قوله فخرج إبرام كما أمر الرب، فإن ظاهره يوجب موافقه الخبر للأمر مع أنه مخالفه، فيلزم المحذوران.

وفي نسخة: اذهب من أرضك التي ولدت فيها ويرد عليها أنه لم يولد بحران كما قدمته. وفيها أورثك بدل أريك وفيها: سارا بدل سرا، وفيها إبرام بدل إبرم.

السؤال على القراءة الثانية والعشرين

من ثلاثة أوجه: أحدها: كيف يحسن أن يقال وهبط إبرام إلى أرض مصر ليسكن هناك من أجل أن الجوع، كان قد اشتد على الأرض فلما قرب من الدخول إلى أرض مصر قال لسراي^(١). إني قد علمت أنك امرأة حسناء، فإذا رآك أهل مصر فإنهم سيقولون هذه امرأته فيقتلونني ويستحيونك، ولكن قولي إني أخته حتى يحسنوا إلي

أنها ابنة أخيه هاران أخت لوط كما حكاه السهيلي عن القتيبي والنقاش فقد أبعد النجعة وقال بلا علم وادعى أن تزويج بنت الأخ كان إذ ذاك مشروعاً فليس له على ذلك دليل ولو فرض أن هذا كان مشروعاً في وقت كما هو منقول عن الربانيين من اليهود فإن الأنبياء لا تتعاطاه والله أعلم. ثم المشهور أن إبراهيم عليه السلام لما هاجر من بابل خرج بسارة مهاجراً من بلاده.

(١) روى البخاري في صحيحه (٣٣٥٨) كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ وَأَخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥]، عن أبي هريرة قال: لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، اشتان منهن في ذات الله قوله: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ [الصفات: ٨٩]، وقوله: ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ [الأنبياء: ٦٣]. وقال: بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له: ههنا رجل معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه وسأله عنها، فقال: من هذه، فقال: أختي فأتى سارة فقال: ياسارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألتني فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت، فأطلق فدعا بعض حججته، فقال: إنك لم تأتيني بإنسان، وإنما أتيتني بشيطان فأخدمها هاجر، فأنته وهو قائم يصلي فأوماً بيده مهيم، فقالت: رد الله كيد الكافر أو الفاجر في نحره وأخدم هاجر، قال أبو هريرة: فتلك أمكم يا بني ماء السماء.

وتحيا نفسي من أجلك فإن هذا لا يحسن من مثله لوجوه ثمانية: - أما أولاً: فلأن خوفه من قتله بهذا السبب، غلبه وهم ينشأ عن ضعف عقل لا يرتضي أقل الناس أن يقرّ به على نفسه بلسانه، لاسيما إذا كان راضياً بتركها لهم، فإنه لا ينفي لخوفه وجه أصلاً.

وأما ثانياً: فلأن قوله: ويستحيونك يوهم أنه حسدها على حياة الدنيا بعده، وهذا لا يليق بمثله.

وأما ثالثاً: فلأن قوله، قولي إني أخته^(١)، تعليم منه لها أن تكذب، وهو قبيح منه.

وأما رابعاً: فلأن جعلها أخته يسهل منهم أخذها منه بدليل ما سيأتي أن فرعون لما علم بأنها امرأته عتقه، فردها، وذلك خطأ منه.

وأما خامساً: فلأنه استسلم حريمه قبل وقوع محذور في حقه أو تخويف محذور أو الوصول إلى معاينة إمارات التخويف. وذلك خور في الطبيعة لا يليق بمثله.

(١) قال النووي: اختلفوا في المراد بالكذب المباح. ما هو؟ فقالت طائفة: هو على إطلاقه وأجازوا قول ما لم يكن في هذه المواضع [يقصد ما رواه مسلم وفيه يباح في الحرب، والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها]. للمصلحة.

وقالوا: الكذب المذموم ما فيه مضرة واحتجوا بقول إبراهيم ﷺ: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣] و ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصفات: ٨٩] وقوله: أنها أختي، وقول منادي يوسف ﷺ: ﴿أَيُّهَا الْعَبْرُ إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠].

قالوا: ولا خلاف أنه لو قصد ظالم قتل رجل هو عنده محتف وجب عليه الكذب في أنه لا يعلم أين هو.

وقال آخرون منهم الطبري لا يجوز الكذب في شيء أصلاً، قالوا: وما جاء من الإباحة في هذا المراد به التورية واستعمال المعارض لا صريح الكذب مثل أن يعد زوجته أن يحسن إليها ويكسوها كذا وينوي إن قدر الله ذلك وحاصله أن يأتي بكلمات محتملة يفهم المخاطب منها ما يطيب قلبه، وإذا سعى في الإصلاح نقل عن هؤلاء كذلك ووري، وكذلك في الحرب بأن يقول لعدوه مات إمامكم الأعظم وينوي إمامهم في الأزمان الماضية، أو غداً يأتينا مدد أي طعام ونحوه، هذا من المعارض المباحة، فكل هذا جائز وتأولوا قصة إبراهيم ويوسف وما جاء من هذا . على المعارض والله أعلم. وأما كذبه لزوجته وكذبها له، فالمراد به في إظهار الود والوعد بما لا يلزم ونحو ذلك، فأما المخادعة في منع ما عليه أو عليها أو أخذ ما ليس له أولها، فهو حرام بإجماع المسلمين، والله أعلم. النووي في شرح مسلم (١٢٩/١٦)، (١٣٠) طبعة دار الكتب العلمية.

وأما سادساً: فلأنه كان الواجب في حقّه أن يدافع دون زوجته بما يمكنه، وأن خوف القتل إلى أن يقتل يختار القتل على التمكين منها.
أما اختياره للتمكين منها على القتل، فلا وجه له، لأن القتال دون الإيضاح واجب عقلاً وشرعاً.
والقتال دون المال جائز، يجوز تركه، فحط الواجب إلى درجة الجائز خطأ لاسيما من مثله.

وأما سابعاً: فإني قد علمت أنك امرأة حسناء^(١) بلفظ الماضي مع قد توهم تجدد ذلك بعد عدمه وإن كان جاهلاً بذلك. ثم علة وهو في غاية البعد.
وأما ثامناً: فإنه لم يجعل العلة في جعلها أخته أن يحيي نفسه فقط حتى يكون الخوف من القتل عذراً له في ذلك على ضعفه، بل قال: حتى يحسنوا إلي، فجعل طمعه في إحسانهم إليه^(٢) جزاءً لعله بل اعتنى به وقدمه على إحياء نفسه، وذلك لا يجوز أصلاً ولا شرعاً ولا عقلاً، فأين هذا من رتبة تكليم الله سبحانه إياه في قوله: واستعان الرب لإبرام وقال: إني معطي هذه الأرض لزرعك. فأين هذا النزول الدنيوي من ذلك

(١) قال في البداية والنهاية (١٧٦/١): -ذهب بعض العلماء إلى نبوة ثلاث نسوة، سارة، وأم موسى ومريم عليهن السلام، والذي عليه الجمهور أنهم صديقات رضي الله عنهن وأرضاهن.
رأيت في بعض الآثار: أن الله عز وجل كشف الحجاب فيما بين إبراهيم عليه السلام وبينها، فلم يزل يراها منذ خرجت من عنده إلى أن رجعت إليه، وكان مشاهدًا لها وهي عند الملك، وكيف عصمها الله منه ليكون ذلك أطيب لقلبه وأقر لعينه وأشد لطمأنينته فإنه كان يحبها حباً شديداً.

(٢) رجع الخليل من بلاد مصر إلى أرض اليمن وهي الأرض المقدسة التي كان فيها ومعه أنعام وعبيد ومال جزيل وصحبتهم هاجر القبطية المصرية.
ثم إن لوطا عليه السلام نزع بماله من الأموال الجزيلة بأمر الخليل له في ذلك إلى أرض الغور المعروف بغور زغر، فنزل بمدينة سدوم وهي أم تلك البلاد في ذلك الزمان، وكان أهلها أشراراً كفاراً فجاراً، وأوحى الله تعالى إلى إبراهيم الخليل فأمره أن يمد بصره وينظر شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً وبشره بأن هذه الأرض كلها سأجعلها لك ولخلفك إلى آخر الدهر، وسأكثر ذريتك حتى يصيروا بعدد تراب الأرض، وهذه البشارة اتصلت بهذه الأمة بل ما كملت ولا كانت أعظم منها في هذه الأمة الحمودية يؤيد ذلك قول رسول الله ﷺ إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقتها ومغارها وسيلغ ملك أمتي ما زوى منها. البداية والنهاية (١٧٦/١، ١٧٧).

الصعود الإلهي.

وثانيها: كيف يحسن أن يقال وكان للوط لما انطلق مع لإبرام غنم وبقر وأشياء كثيرة حسنة فلم تسعهم الأرض ليسكنوا جميعاً. لأن ما لهم كثر جداً، ولم يطيقوا أن يسكنوا جميعاً. فإن من المحال أن تضيق بهم الأرض، وهي أرض كنعان بسبب مواشيهم وأموالهم، وأين هذا من قوله: إنهم هبطوا إلى أرض مصر لاشتداد الأرض من الجوع مع قرب العهد.

وثالثها: كيف يحسن أن يقال فرغ لوط عينية أبصر أرض الأردن كلها أنها مساقية قبل أن يفسد الله سدوم^(١) وعامورا كانت مثل فردوس الله، ومثل أرض مصر. فإن ظاهر هذا اللفظ أن الأردن مشبهة للفردوس وأرض مصر.

ويلزم من تشبيهها لهما كونهما متقاربين في الحسن والطيبة. ويلزم من هذا أن يكون الفردوس مكاناً من الأرض مثل مصر في الحسن وفساده بين بل يلزم من تقديم التشبيه بالفردوس على التشبيه بمصر أن تكون مصر أحسن من الفردوس، لأن التشبيه بالأعلى بعد التشبيه بالأدنى توقي في التشبيه والمدح أما التشبيه بالأدنى بعد التشبيه بالأعلى فلا وجه له أصلاً، فيزداد التشبيه فساداً.

السؤال على القراءة الثالثة والعشرين

أنه كيف يحسن أن يقال: وإن الله قال لإبرام من بعد مفارقتة لوطاً^(٢) ارفع

(١) قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أُمَّرْتَنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنصُودٍ﴾ [هود: ٨٢-٨٣].

جاء أمر الله، فاقتلع جبرائيل عليه السلام بطرف جناحيه أماكن أولئك القوم من قراها ورفعها إلى عنان السماء، ثم قلبها رأساً على عقب، وهوي بها إلى الأرض، وحتى لا يظلم أثر منها وصرخ لوط بأهله محذراً من الالفتات وأسرع يشدهم إلى الأمام منذراً بسوء العذاب إن استدار أحد أو تطلع إلى الحدث الهائل، ولكن إرادة الله لا راد لها، ولا بد أن يحيق الظلم بأهله، فامرأة لوط ظلمت زوجها، وخاتته، فحانت ساعة ظلمها لنفسها، لم تأبه لما يحذر منه زوجها، أو ينهى عنه فلوت بعنقها إلى الورا، وإذا بجسدها يهتدي على الفور، وبتفتت ثم يذوب لقد أصلها حجرها الخاص بها فأحرق جسمها وأبلاه، لقد خرج لوط بأهله وأخذ امرأته معه لعلها تنجو ولكنها كانت من الغابرين. مختصراً من مجمع البيان في قصة لوط عليه السلام.

(٢) كان لوط قد نزع عن محلة عمه الخليل عليهما السلام بأمره له وإذنه، فنزله بمدينة سدوم من أرض غور زغر وكانت أم تلك المحلة ولها أرض ومعملات وقرى مضافة إليها ولها أهل من

عينيك فانظر، من المكان الذي أنت فيه من الشمال والجنوب والمشرق والمغرب كل الأرض التي أنت تراها لك أعطيها، ولنسلك إلى الدهر، واجعل زرعك كرمل البحر إن قدر أحد أن يعد رمل البحر ستحصي نسلك، فإنه إذا جعل نسله هذه الكثرة، فكيف تسعهم هذه الأرض التي يراها جميعها من مكانه وهي أرض كنعان. فأين هذا من هذا مع أنه قد قال قبل هذا إنها ضاقت عن اثنين وهما إبرام ولوطا، فكيف يستعظمها الآن، ويجعلها هذه الكثرة كلها فأين هذا من ذلك.

السؤال على القراءة الرابعة والعشرين

أنه كيف يحسن أن يقال ما معناه أن في السنة الرابعة عشرة جاء ملك عامورا والملوك الثلاثة الذين معه، فضربوا الجبابرة وهم أقوياء معهم والكنعانيين وغيرهم، وضربوا جميع روجي العمالقة ثم ذكره بعده أنهم كسروا ملك سدوم وعامورا. والملوك الثلاثة الذين معه لما يقاتلوا. الملوك التسعة بالوادي المالح الذي هو بحر الملح وأخذوا خيول سدوم وعامورا وأطعمتهم ولوطاً^(١). لأنه كان ساكناً بسدوم. ثم ذكر بعده أيضاً أن إبرام لما سمع بسبي لوط ابن أخيه هاران عد غلمانة ثلاثمائة وشانية عشر، فجرى خلفهم في الليل وضرهم وطردهم إلى كذا التي شمالي دمشق.

ورد لوط وجميع ما أخذوا فإن حاصله أن أربعة ملوك كسروا خمسة ملوك^(٢)

أفجر الناس وأكفرهم وأسوأهم طوية وأرداهم سريرة وسيرة يقطعون السبيل ويأتون في ناديهم المنكر ﴿لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩].
البداية والنهاية (٢٠٠/١، ٢٠٠١).

(١) قال في البداية والنهاية (١٧٧/١): قالوا: ثم إن طائفة من الجبارين تسلطوا على لوط عليه السلام فأسروه، وأخذوا أمواله واستاقوا أنعامه فلما بلغ الخبير إبراهيم الخليل سار إليهم في ثلاثمائة وشانية عشر رجلاً، فاستنقذ لوطا عليه السلام واسترجع أمواله وقتل من أعداء الله ورسوله خلقاً كثيراً وهزمهم وساق في آثارهم حتى وصل إلى شمالي دمشق وعسكر بظاهرها عند برزة، ثم رجع مؤيداً منصوراً إلى بلاده وتلقاه ملوك بلاد بيت المقدس معظمين له مكرمين خاضعين واستقر ببلاده صلوات الله وسلامه عليه.

(٢) ذكر في التوراة أسماء الأربعة والخمسة فقال: وحدث في أيام أمراحل ملك شنعار وأربوك ملك الأسار وكدرلعومر ملك عيلام وتدعال ملك جوييم أن هؤلاء صنعوا حربا مع بارع ملك سدوم وبرشاع ملك عمورة وشناب ملك أدمة وشمثير ملك صبوييم وملك بالبع التي هي

ونهبوا بلادهم بعد أن ضربوا الجبابرة والعمالقة.

ثم إن ابرام في ثلاثمائة وثمانية عشر من غلمانه تعد قوتهم إلى هذا الحد كسرهم وقيل جلد عامور والملوك الذين معه، ورد الغنائم منهم.

وهذا في غاية ما يكون من البعد إلا أن يعني هؤلاء الملوك بعض رؤساء سدوم أو غيرها من قرى الغور. ويعني بالجبابرة والعمالقة سكان القرية المذكورة فرما تمشي القضية على أن غور زغر أقل من هذا كله. وفي نسخة جلد كدر لعمر بدل جلد عامور.

وفيها: فعباً فتيانه أولاد بيته ثلاثمائة وثمانية عشر. وفيها إلى الحوبة التي هي شمالي دمشق بذني كوا.

السؤال على القراءة الخامسة والعشرين

أنه كيف يحسن أن يقال: إنه إنما هو إلهك الذي أخرجك من أرض الكلدانيين، أعطيك هذه الأرض لترثها^(١). فقال له: سيدي وولي كيف أعلم هذا أنني أرثها.

فقال له: خذ عجلا ابن ثلاث سنين، ومعزى ابن ثلاث سنين، وكيشئا ابن ثلاث سنين، ويمامًا وحمامًا.

فأخذ هؤلاء كلهم فقسّمهم نصفين، وجعل كل عضو يلاقي صاحبه، ولم يقسم

صوغر، جميع هؤلاء اجتمعوا متعاهدين إلى عمق السديم الذي هو بحر الملح، اثنتي عشرة سنة استعبدوا الكدر لعومر، والسنة الثالثة عشرة عصوا عليه، وفي السنة الرابعة عشر أتى كدر لعومر والملوك الذين معه وضربوا الرفائين في عشتاروث قرنايم والذوزيين في هام والإيميين في شوي قرिताيم، والحوريين في جبلهم سعيم إلى بطمة فاران التي عند البرية ثم رجعوا وجاءوا إلى عين مشفاط التي هي قادش وضربوا كل بلاد العمالقة وأيضاً الأموريين الساكنين في حصون تامار.

فخرج ملك سدوم وملك عمورة وملك أدمة وملك صبوييم وملك بالع التي هي صوغر ونظموا حرباً معهم في عمق السديم مع كدر لعومر ملك عيلام وتدعال ملك جوييم وأمرافل ملك شنعار وأريوك ملك الأسار أربعة ملوك مع خسة وعمق السديم كان فيه آبار حمر كثيرة، فهرب ملكا سدوم وعمورة وسقطا هناك والباقون هربوا إلى الجبل، فأخذوا جميع أملاك سدوم وعمورة وجميع أطعمتهم ومضوا، وأخذوا لوطاً ابن أخي ابرام وأملاكه ومضوا، إذ كان ساكناً في سدوم... إلى آخره.

(١) الصحيح ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِكَ ثُبُورٌ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيُظْمِنَ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

الطير، وجعل الطير فوق الأجساد، وحركها إبرام فتحركت.

لأن قوله سبحانه أعطيك هذه الأرض لثرتها صريح في أنه يعطيه إياها.
فقول إبرام بعد ذلك كيف أعلم هذا أي أرثها؟ لا وجه له، فإنه إذا لم يفده
قول الله سبحانه مخاطبته شفاها العلم بذلك، ولأدرجه في الإعلام أبلغ منها. فأى كيفية
إعلام يطلبها بعدها.

وأيضاً فإن قوله خذ عجباً ابن ثلاث سنين ومعزى إلى أن قال: فحركها إبرام
فتحركت. كيف يحسن أن يكون جواباً لقوله: كيف أعلم أي أرثها.
كان هذا دليل على قدرته على إحياء الموتى^(١)، أما على أن إرث الأرض
يحصل له فلا. اللهم أن يقال: إن قدرته على إحياء الموتى يستلزم قدرته على تحصيل
إرث الأرض له.

ولكن إبرام لم يقل كيف أعلم أنك تقدر على هذا ولكن قال: كيف أعلم أي
أرثها، أي كيف أعلم أن الإرث يقع، ووقوع المقدور مغاير للقدرة عليه وغير لازم
لها. فجواب أحدهما غير جواب الآخر.

وأيضاً فقوله: فأخذ هؤلاء كلهم، فقسم نصفين يناقض قوله: ولم يقسم الطير^(٢).

(١) جاء في تفسير ابن كثير (٣١٥/١) فيما ذكره في تفسير الآية المتقدمة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ
أَرِنِي ﴿... الآية [البقرة: ٢٦٠] ذكروا لسؤال إبراهيم عليه السلام أسباباً منها أنه لما قال
لمرود: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨] أحب أن يترقى من علم اليقين بذلك
إلى عين اليقين وأن يرى ذلك مشاهدة فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَئِمَّ
تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لِّيُطَمِّئَنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وقوله: ﴿فَخَذَ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصَرَّهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَيَّ كُلَّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ [البقرة:
٢٦٠] اختلف المفسرون في هذه الأربعة ما هي؟ وإن كان لا طائل تحت تعيينها إذ لو كان
في ذلك مهم لنص عليه القرآن فروي عن ابن عباس أنه قال: هي الغرنوق والطاووس والديك
والحمامة، وعنه أيضاً أنه أخذ وزاً ورألاً وهو فرخ النعام وديكا وطاووساً وقال مجاهد
وعكرمة: كانت حمامة وديكا وطاووساً وغباباً.

وقوله: ﴿فَصَرَّهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أي وقطعهن قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو مالك
وأبو الأسود الدؤلي ووهب بن منبه والحسن والسدي وغيرهم.

(٢) وقال العوفي عن ابن عباس: ﴿فَصَرَّهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أوثقهن، فلما أوثقهن ذبحهن ثم جعل على كل

لا سيما بصيغة كلهم مع أن الطير كان اللائق به أن يقسم أكثر من قسمين لكونه أقرب بما معه إلى التحرك أما أنه لا يقسم بالكلية مع قسم ما معه. فلا وجه له، وأيضا فإن تنوع هذه الأنواع وتقييدها بهذا السن الواحد، لا يكاد يظهر له خصوصية أصلا فإن إظهار القدرة بتحريكها يحصل بأي نوع كان، وبأي سن كان.

وأما ما ذكره عقيبه وهو قوله: ولما كان عند مغيب الشمس وقع على إبرام سكوت وكان خوف وظلمة كثيرة سقطت عليه.

وقيل لإبرام اعلم أن زرعك سيكون في أرض غريبة، ويستعبدونهم ويضربونهم ويزلونهم أربعمئة سنة..... إلى آخر القراءة.

فإنه كلام لا يظهر له انتظام مع أن إبرام يتوجه له أن يقول أيضاً: كيف أعلم أن زرعى سيكون في أرض غريبة، كما سأل أولاً.

السؤال على القراءة السادسة والعشرين

من وجوه أربعة:

أحدها: أنه كيف يحسن أن يقال في ذلك اليوم: أقام الله عهده مع إبرام^(١)،

جبل منهن جزءاً فذكروا أنه عمد إلى أربعة من الطير فذبحهن ثم قطعهن وتنف ريشهن ومزقهن وخلط بعضهن ببعض، ثم جزأهن أجزاء وجعل على كل جبل منهن جزءاً، قيل: أربعة أجبل، وقيل سبعة.

قال ابن عباس: وأخذ عوسهن بيده ثم أمره الله عز وجل أن يدعهن فدعاهن كما أمره الله عز وجل فجعل ينظر إلى الريش يطير إلى الريش والدم إلى الدم واللحم إلى اللحم والأجزاء من كل طائر يتصل بعضها على بعض حتى قام كل طائر على حدته وأتينه يمشين سعياً ليكون أبلغ له في الرؤية التي سأها وجعل كل طائر يجيء ليأخذ رأسه الذي في يد إبراهيم عليه السلام فإذا قدم له غير رأسه يأباه، فإذا قدم إليه رأسه تركب مع بقية جسده بحول الله وقوته، ولهذا قال: ﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠] أي عزيز لا يغلبه شيء ولا يمتنع من شيء وما شاء كان بلا ممانع لأنه القاهر لكل شيء حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره. تفسير ابن كثير (٣١٥/١).

(١) حط إبراهيم رحاله في أرض فلسطين حيث أقام في مستقره مع زوجته سارة وخادمتها هاجر تحيط بهم نعمة من الله الكريم وأمان، لكن هيبات لنفس مؤمنة أن تحس راحة كاملة وفيها بعض مشاعر القلق والتنجيس، فسارة كانت امرأة عقيماً لا تنجب أولاداً، ويحز في نفسها ويؤلمها كثيراً أن ترى بعلها الذي أحبته من أعماقها محروماً من الخلفة فأشارت عليه أن يتزوج أمتها هاجر، وتم اقترانه مهاجر فأنجبت غلاماً زكياً سماه أبوه إسمايل انظر مجمع البيان الحديث

وقال له: إني معطي خلفك من هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الأكبر نهر الفرات. فإن قوله في ذلك اليوم أقام الله عهده، ظاهره أن العهد إنما حصل في ذلك اليوم مع أنه حصل قبله بمدة، وفي اليوم الذي قبله أيضا قبل مغيب الشمس كما صرح به في القراءة الخامسة والعشرين فتناقضا.

وأيضًا فإنه قال في القراءة الثالثة والعشرين أنه يعطيه له ونسله الأرض التي يراها من مكانه من الشمال والجنوب والمشرق والمغرب وهو لا يمكن أن يرى من نهر مصر إلى الفرات فتحالفا.

وثانيها: كيف يحسن أن يقال: ووجدها ملك الرب على عين الماء في طريق شور فقال لها ملك الرب: يا هاجر^(١)، ثم قال عقيبه فدعت هاجر اسم الرب الذي تكلم معها. فإنه أخبرها بأن الذي تكلم معها هو ملك الرب. وذكره خمس مرات، ثم أخبر بأنه الرب. فدعت هاجر اسم الرب الذي تكلم معها وقالت: أنت الله الذي نظر إلي، فتناقضا.

وثالثها: كيف يحسن أن يقال عقيبه فقالت أنت الله الذي نظر إلي، ولم ينكر

قصة إبراهيم عليه السلام.

(١) لما أوحى الله لإبراهيم وحمل طفله وأمه وارتحل يسير على هدى الله، وظل إبراهيم عليه السلام يقطع القلوات حتى وصل إلى مكان مقفر وفي واد أجرد تظله الجبال وتحف به التلال. ف شعر بأن قوته تشده إلى هذا المكان، فنزل إبراهيم وأنزل هاجر وإساعيل ثم أقام لهما خيمة في ظل الصخور على جانب تلة من تلك التلال وبعد أن أمن لهما المقام استودعهما الله، محاولاً الرجوع فأمسكت به هاجر، وهي ترفع صوتها شاكية وباكية وهي تقول: أين ترحل يا إبراهيم وتتركنا؟ وهذا إبراهيم من روع زوجه حتى استكانت هاجر بعض الشيء، فطلب إليها أن تكف عن أذى نفسها فقال لها: إنه أمر من الله يا امرأة وهو ما شاء سبحانه لكما وهو سبحانه الذي أمرني أن أضعكما في هذا المكان، فارتدت هاجر إلى نفسها وهي تسمع كلام نبي الله خاشعة مستسلمة لما يحكم به الله تعالى، وانصرفت إلى ابنتها ومرت الأيام ونفذ الطعام والماء، وجف حليبها بعدما لآكها الجوع وأيسس العطش نضارة جسمها، فلاح لها عن بعد بريق عند الصفا فاندفعت نحوه ولكنها لم تجد الماء، ثم تراءى لها كأن ماء في ناحية ثانية عند المروة فركضت إليه لتجده سرايباً فراحت تهول وتسعى بين الصفا والمروة حتى قطعت سبعة أشواط وهذا هو أصل السعي الذي يقوم به الحجيج كل عام وأنه أحد المناسك الواجبة لاكتمال فريضة الحج. انظر المرجع السابق.

عليها في قولها: أنت الله. مع أن الذي كلمها هو ملك الرب كما ذكره أولاً بل ولم يعرفها خطأها لترجع عنه. بل حكى عنا أيضاً مثله بقوله: لأنها قالت إني رأيت ظهر قدامي مع أن لام التعليل في قوله: لأننا، لا وجه لها أصلاً.

ورابعها: كيف يحسن أن يقال: وقال لها ملك الرب بالكثرة، أكثر زرعك، ولا يحصى من كثرته والامتنان عليها، وعلى إبرام بكثرة النسل^(١).

قد تكرر فيما مضى، وفيما يأتي مراراً متعددة مع أنه لا اختصاص لهما بكثرة النسل^(٢)، بل كل من فوقها وتحتها من الآباء كذلك فتخصيصها بالامتنان عليهما، وتكرير الامتنان لا وجه له.

السؤال على القراءة السابعة والعشرين

من وجوه أربعة: أحدها: كيف يحسن أن يقال فاستعلى الله لإبرام وقال له: أنا

(١) ولد لإبراهيم بعد إسماعيل بأربع عشر سنة ولده إسحاق قال تعالى: ﴿ وَنَشَرْتَهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿١١٢﴾ وَنَرَكُنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ [الصافات: ١١٢، ١١٣].

(٢) ابنها هو الذبيح وقد وردت الآثار بأنه إسماعيل عليه السلام فقال ابن جرير بسنده عن ابن عباس أنه قال المفدي إسماعيل عليه السلام وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود. وقال ابن إسحاق سمعت محمد بن كعب القرظي وهو يقول: إن الذي أمر الله تعالى إبراهيم بذبحه من ابنه إسماعيل وإنما لنجد ذلك في كتاب الله تعالى وذلك أن الله تعالى حين فرغ من قصة المذبوح من النبي إبراهيم قال الله تعالى: ﴿ وَنَشَرْتَهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الصافات: ١١٢] ويقول الله تعالى ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود: ٧١] يقول باين وابن ابن فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق وله فيه من الموعد بما وعده، وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل وقال ابن إسحاق عن بريدة بن سفيان الأسلمي عن محمد بن كعب القرظي أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة إذ كان معه بالشام فقال له عمر: إن هذا الشيء ما كنت أنظر فيه وإني لأراه كما قلت ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهودياً فأسلم وحسن إسلامه وكان يرى أنه من علمائهم فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك قال محمد بن كعب: وأنا عند عمر بن عبد العزيز فقال له عمر: أي ابني إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال: إسماعيل والله يا أمير المؤمنين إن يهود لتعلم بذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أبوكم الذي كان من أمر الله فيه والفضل الذي ذكر الله تعالى منه لصبره لما أمر به فهم يجحدون ذلك، ويزعمون أنه إسحاق لأن إسحاق أبوهم، والله أعلم أيهما كان وكل قد كان ظاهراً طيباً مطيعاً لله عز وجل. تفسير ابن كثير (١٨/٤).

هو إلهك كن مرضياً أمامي، ولا يكون فيك عيب.

واجعل عهدي بيني وبينك، وأكثرك جداً فخر إبراهيم على وجهه، فكلمه الله قائلاً: هوذا اجعل عهدي معك، وتكون أبا لأمم كثيرة ولا يدعى اسمك بعد إبراهيم ولكن إبراهيم.

أما أولاً: فلأن اليهود والنصارى يسلمون أن كليم الرحمن من خواص موسى^(١).
وأما ثانياً: فلأن هذه مشاركة بينهما شفاهها وما هذه مكررة مرة بعد مرة واللائق بالأمر الإلهي النفوذ المطلق، لا المعاهدة كما بين الشخصين المتكافئين.
وأما ثالثاً: فلأن هذه المعاهدة تكررت في هذا الفصل، وفي غيره إلى أن سجت على السمع.

وأما رابعاً: فلأن الامتنان عليه بتغير اسمه ليس فيه طائل.
وكذلك الامتنان بتغير اسم سراي سارة وفي نسخة: لني أنا أرشد أي عوض أنا هو إلهك.

وثانيها: أنه قال: كل ذكر لكم يختن^(٢)، وتختنون لحم قلفتكم إلى أن قال:

(١) قال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]، هذا تشریف لموسى ﷺ، وقد روى ابن مردويه بسنده عن أبي بكر بن عياش أنه سمع رجلاً يقرأ: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ فقال أبو بكر: ما قرأ هذا إلا كافر، ثم قال: وإنما اشتد غضب أبي بكر بن عياش رحمه الله على من قرأ كذلك لأنه حرف لفظ القرآن ومعناه وكان هذا من المعتزلة الذين ينكرون أن يكون الله كلم موسى ﷺ، أو يكلم أحداً من خلقه كما روينا عن بعض المعتزلة أنه قرأ على بعض المشايخ ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ فقال له يابن اللخناء كيف تصنع بقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ [الأعراف: ١٤٣] يعني أن هذا لا يحتمل التحريف ولا التأويل. (تفسير ابن كثير ٥٨٨/١).

(٢) قال عبد الرزاق: أنبأنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا ابْنَ مَرْيَمَ نَبَأَهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ [البقرة: ١٢٤] قال: ابتلاه الله بالطهارة خمس في الرأس وخمس في الجسد: في الرأس: قص الشارب والمضمضة والسواك والاستنشاق وفرق الرأس وفي الجسد: تقليم الأظفار وحلق العانة والختان، وتنف الإبط وغسل أثر الغائط والبول بالماء» وروى البخاري في صحيحه (٥٨٨٨)، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « الفطرة خمس: الختان، والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأظفار وتنف الإبط».

والأقلف الذي لا يختن لحم قلفته تمحق تلك النفس من (جلسها) ^(١) أنها نسخت عهدي. مع أن النصارى المعتمدين في أحكامهم على التوراة لا يقولون بالختان ^(٢)، فإن قالوا إن بطرس نسخه بالمعمودية، قلنا: فإن أجزتم النسخ فلا تستبعدوا نسخ الشريعة المحمدية لشريعتكم ^(٣).

وثالثها: كيف يحسن أن يقال: وقال في قلبه قد يكون هذا لمن صار له مائة سنة، وسارة تسعين سنة أن تلد مع أن أهل ذلك الجيل يلدون لأكثر من هذا السن، ويعيشون أكثر من هذا العمر، فإن أباه تارخ عاش مائتين وخمسين سنة. فالمائة أقل من نصف عمره، فلم يصل إبراهيم عليه السلام إلى حد ينقطع فيه نسل مثله. فإن قيل: تعجبه إنما كان لكون زوجته كانت عاقراً. قلنا: هذا خلاف ظاهر هذا الكلام.

ورابعها: كيف يحسن أن يقال: فلما فرغ الله من خطابه عنه فصعد الله عنه مع أن الله سبحانه وتعالى منزه عن الصعود والهبوط ^(٤) في هذا الحال بالاتفاق منا ومن

(١) كذا بالأصل وفي النسخة التي بين أيدينا من سببها أنها نكثت عهدي.

(٢) قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ... ﴾ [المائدة: ٤٨]. قال ابن كثير: أما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حراماً ثم يحل في الشريعة الأخرى وبالعكس وخفيفاً فيزداد في الشدة في هذه دون هذه، وذلك لما له تعالى في ذلك من الحكمة البالغة والحجة الدامغة، ثم قال ابن كثير بعد ذلك: لو شاء لجمع الناس كلهم على دين واحد وشريعة واحدة لا ينسخ شيء منها ولكنه تعالى شرع لكل رسول شريعة على حدة ثم نسخها أو بعضها برسالة الآخر الذي بعده حتى نسخ الجميع بما بعث به عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم الذي ابتعثه إلى أهل الأرض قاطبة وجعله خاتم الأنبياء كلهم. (تفسير ابن كثير ٦٨/٢).

(٣) قال النووي: الختان واجب عند الشافعي، وكثير من العلماء، وسنة عند مالك وأكثر العلماء، وهو عند الشافعي واجب على الرجال والنساء جميعاً، ثم إن الواجب في الرجل أن يقطع جميع الجلد التي تغطي الحشفة حتى ينكشف جميع الحشفة، وفي المرأة يجب قطع أدنى جزء من الجلد التي في أعلى الفرج، والصحيح من مذهبنا الذي عليه جمهور أصحابنا أن الختان جائز في حال الصغر ليس بواجب، ولنا وجه أنه يجب على الولي أن يختن الصغير قبل بلوغه، ووجه أنه يحرم ختانه قبل عشر سنين، وإذا قلنا بالصحيح استحب أن يختن في اليوم السابع من ولادته وهل يحسب يوم الولادة من السبع أم تكون سبعة سواه فيه وجهان أظهرهما يحسب. (النووي في شرح مسلم ١٢٦/٣) طبعة دار الكتب العلمية.

(٤) روى مسلم في صحيحه [١٦٨ - (٧٥٨)] كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٢٤ - باب

اليهود والنصارى أما عندنا فظاهر.

وأما عند اليهود فإنهم وإن قالوا بجواز تجسده سبحانه في بدن عيسى عليه السلام، لكنه عندهم إلى الآن لم يقع ذلك.

وأما عند النصارى^(١) فلاهم، وإن قالوا بتجسد الابن في بدن عيسى عند وجود البدن، فلا يقولون بتجسده قبل وجود عيسى، فضلاً عن تجسد الله تعالى^(٢).

وفي نسخة: فلما تم قوله مع إبراهيم ارتفع (مستعلان)^(٣) الرب عن إبراهيم (عوض)^(٤) فصعد الله عنه، وهذا كلام خال من الفائدة بالكلية، ولتقتصر من الآن على إيراد بعض ما تحتمله لفظ التوراة من الأسئلة حذراً من التطويل.

الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر» وقال النووي: هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء... وسبق نقلهما وملخصه أحدهما: الإيمان بأنها حق مع الاعتقاد بتنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات. والثاني: تناول على ما يليق بها بحسب مواظبتها وتأويلين فعن مالك بن أنس وغيره قال: معناه تنزل رحمته وأمره وملائكته كما يقال فعل السلطان كذا إذا فعله أتباعه بأمره، والثاني أنه على الاستعارة ومعناه الإقبال على الداعين بالإجابة واللفظ والله أعلم. (النووي في شرح مسلم ٣٣/٦)، طبعة دار الكتب العلمية.

(١) ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء وهذا كثير في النصارى فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه لها من دون الله يعبدونه بل غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه فادعوا فيهم العصمة واتبعوه في كل ما قالوه سواء كان حقاً أو باطلاً أو ضلالاً أو رشاداً، أو صحيحاً أو كذباً ولهذا قال تعالى: ﴿أَتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَيْبَتَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] (ابن كثير في تفسيره ٥٨٩/١).

(٢) قال تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١].

(٣) كذا بالأصل.

(٤) كذا بالأصل.

السؤال على القراءة الثامنة والعشرين

كيف يحسن أن يقال: وظهر الله لإبراهيم عند شجرة حمراء وهو جالس عند باب خبائه وقت الظهر وتطلع إبراهيم بعينه نظر فإذا ثلاثة رجال كانوا قياماً فوقاً منه، فإنه سبحانه وتعالى منزه عن ظهوره للناظر^(١) في صورة رجل من جملة ثلاثة رجال أتوا في ضيافة إبراهيم من غير أن يستدعيهم لضيافته. بل هذا أمر لا يرضاه لنفسه بعض البشر فضلاً عن إله العالم. ولا سيما وقد كلمه بقوله بعد ذلك فوضعوه لهم، فأكلوا فإنه لا أجهل ممن يعتقد أن إله العالم يأكل مع أن الملكين لا يأكلان باتفاق العقلاء.

السؤال على القراءة التاسعة والعشرين

كيف يحسن أن يقال: قال الرب إن صراخ سدوم وعمور^(٢) قد كثر عندي

(١) مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلاً، وأجمعوا أيضاً على وقوعها في الآخرة، وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين، وزعمت طائفة من أهل البدع المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه، وأن رؤيته مستحيلة عقلاً، وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين ورواها نحو من عشرين صحابياً عن رسول الله ﷺ وآيات القرآن فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها أجوبة مشهورة في كتب المتكلمين من أهل السنة، وأما رؤية الله تعالى في الدنيا فقط قدمنا أنها ممكنة ولكن الجمهور من السلف والخلف من المتكلمين وغيرهم أنها لا تقع في الدنيا، ونقل عن أبي الحسن الأشعري قولين أحدهما وقوعها، والثاني: لا تقع ثم مذهب أهل الحق أن الرؤية قوة، يجعلها الله تعالى في خلقه ولا يشترط فيها اتصال الأشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك لكن جرت العادة في رؤية بعضنا بعضاً بوجود ذلك على جهة الاتفاق لا على سبيل الاشتراط وقد قرر أئمتنا المتكلمون ذلك بدلائل الجلية ولا يلزم من رؤية الله تعالى إثبات جهة تعالى عن ذلك بل يراه المؤمنون لا في جهة كما يعلمونه والله أعلم. شرح مسلم للنووي (١٥/٣).

(٢) لما دعاهم لوط عليه السلام إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونهاهم عن تعاطي ما ذكر الله عنهم من الفواحش فلم يستجيبوا له ولم يؤمنوا به حتى ولا رجل واحد منهم ولم يتركوا ما عنه نهوا بل استمروا على حالهم ولم يرتدعوا عن غيهم وضلالهم وهوا بإخراج رسولهم من بين ظهرائهم وما كان حاصل جوابهم عن خطابهم إذ كانوا لا يعقلون إلا أن قالوا: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦]، فجعلوا غاية المدح ذمًا يقتضي الإخراج وما حملهم على مقاتلتهم هذه إلا العناد واللجاج فطهره الله وأهله إلا امرأته وأخرجهم منها أحسن إخراج وتركهم في مغللتهم خالدين لكن بعدما صيرها عليهم بحيرة

وخطاياهم عظيمة. انزل وانظر إن كان لصياحهم الآتي هل يفعلون، فاعلم ذلك أم لا. فإنه سبحانه منزه عن أن يستعلم شيئاً بل هو عالم بكل شيء من الزل قبل وجوده. وأيضاً فقوله بعد ذلك حاشا لك يا ديان كل الأرض أن تقضي بهذا القضاء. لا يحسن لأن مثل هذا الكلام لا يقال إلا لجاهل يفعل ما لا يليق، فيتلطف به بحسن عبارة ليرجع عن خطئه.

السؤال على القراءة الثلاثين

كيف يحسن أن يقال: فصنع لهما سرعاً^(١) وفطيراً، خبزه لهما فأكلا مع أن الملائكة^(٢) لا يأكلون باتفاق العقلاء لأنهم أرواح مجردة عن الأبدان المتفنية.

السؤال على القراءة الحادية والثلاثين

كيف يحسن أن يقال: وقالت الكبرى للصغرى^(٣) أبونا قد شاخ وليس أحد على وجه الأرض يدخل علينا كالرسوم لكل الأرض. فلنسق أبانا خمراً وتتضع معه، ونقيم نسلاً من أبنائنا، ثم عقبه بما معناه أن الكبرى سقته وضاجعته، فأحبلها بموآب. وفي الليلة التالية سقته الصغرى وضاجعته

منتنة ذات أمواج لكنها عليهم في الحقيقة نار تأجج وحر يتوهج وماؤها ملح أجاج وما كان هذا جوابهم إلا لما نهاهم عن الطامة العظمى والفاحشة الكبرى التي لم يسبقهم إليها أحد من أهل الدنيا ولهذا صاروا مثلة فيها وعبرة لمن عليها، وكانوا مع ذلك يقطعون الطريق ويخونون الرفيق ويأتون في ناديتهم وهو مجتمعهم ومحل حديثهم وسرهم المنكر من الأقوال والأفعال على اختلاف أصنافه حتى قيل إنهم كانوا يتضارطون في مجالسهم ولا يستحيون من مجالسهم، وربما وقع منهم الفعلة العظيمة في المحافل ولا يستنكفون ولا يرعون لوعظ واعظ ولا نصيحة من عاقل. (البداية والنهاية ١/٢٠٣).

(١) كذا بالأصل وفي التوراة التي بين أيدينا «ضيافة»

(٢) روى مسلم في صحيحه [٦٠- (٢٩٩٦)] كتاب الزهد والرفائق، ١٠- باب في أحاديث متفرقة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجن من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»

(٣) قال السدي: خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قوم لوط فأتوا نصف النهار، فلما بلغوا نهر سدوم فلقوا ابنة لوط تستقي الماء لأهلها وكانت له ابنتان اسم الكبرى ريتا، والصغرى ذعرتا، فقالوا لها: يا جارية هل من منزل؟ فقالت لهم: مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم فرقت عليهم من قومها فأتت أباهما فقالت: يا أبتاه أراذك فتیان على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم قط هي أحسن منهم لا يأخذهم قومك فيفضحهم.. إلى آخره. (البداية والنهاية ١/٢٠٤).

فأحبها بعمان، ولم يعلم بمضاجعتها. فإن هذا لا يظن بلوط عليه السلام، يسكر بحيث يغيب عقله إلى هذا الحد، وأن يزني بابتتيه ويحبهما بولدي زناً^(١). بل لو وقع هذا لبعض آحاد أناس لما وسعته الأرض بعد ذلك خزيًا وهماً، بل لو فعله غلامه لما أمكنه أن يراه بعد ذلك أصلاً. فضلاً أن يقيم عذره بعدم علمه.

السؤال على القراءة الثانية والثلاثين

كيف يحسن أن يقال: والتجأ في (الحلوص)^(٢)، انتقل إبراهيم من هناك إلى أرض غريبة وسكن بين راقيم وبين الجفار، وقال إبراهيم عن سارة امرأته إنها أختي^(٣) لأنه خاف أن يقول إنها امرأته لثلاث يقتله رجال المدينة من أجلها لأنه كذاب^(٤)، وإبراهيم

(١) قال تعالى: ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْقَوِرْهُنَّوَلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَحْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٦٦﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتِ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ﴾ [هود: ٧٨-٧٩] قال ابن كثير: أي يرشدهم إلى غشيان نسائهم وهن بناته شرعاً لأن النبي للأمة بمنزلة الوالد كما ورد في الحديث وكما قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٦] وفي قول بعض الصحابة والسلف وهو أب لهم. فقالوا: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتِ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ﴾ [هود: ٧٩] أي يقولون عليهم لعائن الله: لقد علمت يا لوط أنه لا أرب لنا في نسائنا وإنك لتعلم مرادنا وغرضنا. (البداية والنهاية ٢٠٥/١).

(٢) كذا بالأصل.

(٣) قال الإمام أحمد: حدثنا علي بن حفص عن ورقاء هو ابن عمر الشكري عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات قوله حين دعي إلى ألفتهم ﴿ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾، وقوله ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾، وقوله لسارة إنها أختي... الحديث بطوله. وقد تقدم في البخاري (٢٢٥٨)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ وَأَخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ وذكرناه بلفظه.

(٤) اختلفوا في الكذب المباح ما هو فقالت طائفة هو على إطلاقه وأجازوا قول ما لم يكن في هذه المواضع للمصلحة وقالوا الكذب المذموم ما فيه مضرة واحتجوا بقول إبراهيم عليه السلام، بل فعله كبيرهم وإني سقيم وقوله إنها أختي وقول منادي يوسف عليه السلام: ﴿ أَيُّهَا الْعَبْرُ إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ ﴾ [يوسف: ٧٠]، قالوا ولا خلاف أنه لو قصد ظالم قتل رجل هو عنده محتف وجب عليه الكذب في أنه لا يعلم أين هو، وقال آخرون منهم الطبري لا يجوز الكذب في شيء أصلاً قالوا: وما جاء من الإباحة في هذا المراد به التورية واستعمال المعارض لا صريح الكذب

نبي كما ذكره عقبيه، والأنبياء معصومون عن الكذب وأيضاً فهو كذب يسهل أخذها على ظالم يزني بها مجرد خوف وهمي لا مستند له. فإنه إذا كان هكذا يعطيها لمن يأخذها من غير مقابلة، لم يقتله أحد، وقد تقدم مثله. وأيضاً فإن أرض فلسطين قريبة من مسكنه التي هي أرض كنعان ليست بغريبة والخائف فيها يكون خائفاً بأرض كنعان أيضاً على أنها إذا كانت مخوفة إلى هذا الحد وحدها فلا وجه لانتقاله إليها.

وأيضاً فقولته عقبيه فجاء الله إلى أييمالاك في الحلم بالليل، وقال له: هو ذا أنت تموت من أجل المرأة التي أخذتها، لأنها ذات بعل^(١)، كلام لا يحسن فإن الله لا يجيء في النوم بل يريه في الحلم كما يرى سائر الناس المنامات، وفي نسخة: أتى الله. وأيضاً فقولته وهي بالحقيقة أختي من أبي ليست من أمي صارت لي امرأة. كلام عجيب، فإنها

مثل أن يعد زوجته أن يحسن إليها ويكسوها، كذا وينوي إن قدر الله ذلك وحاصله أن يأتي بكلمات محتملة يفهم المخاطب منها ما يطيب قلبه، وإذا سعى في الإصلاح نقل عن هؤلاء إلى هؤلاء كلاماً جميلاً ومن هؤلاء إلى هؤلاء كذلك وورى وكذا في الحرب بأن يقول لعدوه مات إمامكم الأعظم وينوي إمامهم في الأزمان الماضية أو غداً يأتينا مدد أي طعام ونحوه، هذا من المعارض المباحة فكل هذا جائز وناولوا قصة إبراهيم ويوسف وما جاء من هذا على المعارض والله أعلم، وأما كذبه لزوجته وكذبها له فالمراد به في إظهار الود والوعيد بما لا يلزم ونحو ذلك فأما المخادعة في منع ما عليه أو عليها أو أخذ ما ليس له أو لها فهو حرام بإجماع المسلمين والله أعلم. (التوروي في شرح مسلم ١٦/١٣٠)، طبعة دار الكتب العلمية.

(١) أراد إبراهيم أن يوجد عذراً يثني به هذا الملك المعتدي عن مرامه وخاف أن يجهر بأن سارة زوجته، لئلا يكون في ذلك خطر على حياته إذ تسول للملك نفسه الإقدام على قتله للتخلص منه، ولئن استعمل إبراهيم عليه السلام التورية فليس ما يعيبه قولاً ولا فكراً لأنه لم ينطق إلا بالحق، فالأخت تكون في الدين كما تكون في النسب، ولكن أئى لملك ظالم أن يعلم ما يظن إبراهيم، وأمره بالانصراف ورفع ناظره إلى الله بالدعاء: «اللهم هذه أمتك وزوجة خليلك فاصرف عنها السوء واحفظها برعايتك وارحمني وإياها يا أرحم الراحمين».

ودخل الملك مخدعها ولكنه ما أن قارب يده نحوها حتى أحس ألماً في قلبه واضطراباً في كيانه وهلع من فرط ما ألم به فارتقى على أريكة بجانبها، وحاول الكرة والدنو منها فعادوته حالة التمزق والتفسخ والانهار وتكررت المأساة مرات عديدة ولاذ بالفرار وهرب يلتجئ إلى فراشه وهو يغط في نوم عميق وتراءت له في المنام حقيقة سارة وبعلمها إبراهيم، فهبّ مذعوراً ونادى حراسه أتوني بتلك المرأة وقال لها: لا خوف عليك ولا حزن يا زوج إبراهيم أنت وزوجك في ديارنا على رحب وسعة، ووهبها هاجر زيادة في التكريم والتقدير. (مختصراً من قصص الأنبياء في القرآن الكريم المختار من مجمع البيان الحديث في قصه إبراهيم عليه السلام).

ليست بنت تاخ أبي إبراهيم فإن أراد أنها بنت آدم، فهي أيضاً بنت (حوى)^(١) وتكون أخته من أمه أيضاً.

وأيضاً فقولوه: فلما أبصرت سارة ابن هاجر المصرية يلعب مع إسحاق ابنها قالت لإبراهيم أخرج هذه العبدة وابنها^(٢)، لأن ابن هذه لا يرث مع إسحاق ابني. كيف يحسن وهو تحكم في حكم شرعي، وهو الإرث وليس لها ذلك، وقطيعة رحم، وهو طرد ابنه وزوجته وهو غير لائق بالعقلاء لا سيما وقد عقبه بقوله حكاية عن الله سبحانه اسمع منها، وهذا مما لا يليق بمحاسن الشريعة أن يأتي بمثله، بل يحث على عدمه.

السؤال على القراءة الثالثة والثلاثين

قوله فدعاه ملك من السماء، وقال: إبراهيم إبراهيم وهو قال: هو ذا أنا، قال: لا تضع يدك على الصبي، ولا تصنع به شيئاً من الشر^(٣)، لأنني قد علمت الآن أنك

(١) كذا بالأصل.

(٢) في قصة خروج إبراهيم بإسماعيل وأمه ووضعهما عند المسجد الحرام تأتي قريباً في التخريج، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٢١٧/١)، ذكر علماء النسب وأيام الناس أنه أول من ركب الخيل وكانت قبل ذلك وحوشاً فأنسها وركبها وأنه أول من تكلم بالعربية الفصيحة البليغة، وكان قد تعلمها من العارب العاربة الذين نزلوا عندهم بمكة من جرهم والعماليق وأهل اليمن من الأمم المتقدمين من العرب قبل الخليل. ودفن إسماعيل نبي الله بالحجر مع أمه هاجر، وكان عمره يوم مات مائة وسبعاً وثلاثين سنة.

(٣) من قال إن الذبيح هو إسحاق فإنما تلقاه من نقلة بني إسرائيل الذين بدلوا وحرفوا وأولوا التوراة والإنجيل وخالفوا ما بأيديهم في هذا من التنزيل فإن إبراهيم أمر بذبح ولده البكر، وفي رواية الوحيد وأياً ما كان فهو إسماعيل بنص الدليل ففي نص كتابهم أن إسماعيل ولد لإبراهيم من العمر ست وثمانون سنة، وإنما ولد إسحاق بعد مضي مائة سنة من عمر الخليل لإسماعيل هو البكر لا محالة وهو الوحيد صورة ومعنى على كل حالة، أما في الصورة فلأنه كان وحده ولده أزيد من ثلاثة عشر سنة وأما أنه وحيد في المعنى فإنه هو الذي هاجر به أبوه ومعه أمه هاجر وكان صغيراً رضيعاً فيما قيل فوضعها في وهاد جبال فاران وهي الجبال التي حول مكة لعلم المقيبل وتركهما هناك ليس معهما من الزاد والماء إلا القليل وذلك ثقة بالله وتوكلا عليه، فحاطهما الله تعالى بعنايته وكفايته فنعم الحسيب والكافي والوكيل والكفيل فهو هو الولد الوحيد في الصورة والمعنى ولكن أين من يتفطن لهذا السر؟ وأين من يحل هذا المحل؟ والمعنى لا يدركه ويحيط بعلمه إلا كل نبيه نبيل، وقد أننى الله تعالى عليه ووصفه بالحلم والصبر وصدق الوعد والمحافظة على الصلاة والأمر بها لأهله ليقهيم العذاب مع ما كان يدعو إليه من

خائف الله أنت، ولم تشفق على ابنك الحبيب من أجلي. كيف يحسن هذا الكلام وأوله وأوسطه يقتضيان أن المخاطب هو ملك، وآخره يقتضي أن المخاطب هو الله تعالى.

السؤال على القراءة الرابعة والثلاثين

كيف يحسن أن يقال: وأتى إبراهيم ليندب سارة وينوح عليها، فإن الندب والنياحة^(١) لا تليق بفحولة الرجال، فضلاً عن الأنبياء.

مع أن على ما فيها من التطويل والتكرار فحاصلها سار إبراهيم للقرية المكفيلة^(٢) التي قدام ممر القرية المسماة حبرون من أرض كنعان، ودفن سارة في قبرها المكفيلة حين كانت، وعمرها مائة وسبعة وعشرين سنة.

السؤال على القراءة الخامسة والثلاثين

كيف يحسن أن يقال: فقال إبراهيم لغلامه كبير بيته المستولى على ماله ضع يدك على وركي لأستحلفك بالرب إله السماء وإله الأرض إنك لا تزوج ابني^(٣) من بنات الكنعانيين الذي أنا مقيم بينهم، بل تمضي إلى أرضي ومولدي وقبيلتي وتأخذ

عبادة رب الأرباب قال تعالى ﴿فَبَشِّرْنَهُ بَعْلَمٍ حَلِيمٍ﴾ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤِي إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا بَتِ أَعْلَى مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠١﴾ [الصفوات: ١٠١-١٠٢]، البداية والنهاية (١/٢١٦، ٢١٧).

(١) روى مسلم في صحيحه [٢٩-٩٣٤] كتاب الجنائز، ١٠-باب التشديد في النياحة، عن أبي مالك الأشعري أن النبي ﷺ قال «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الأحساب، والظعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم، والنياحة» وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب.

(٢) بالأصل مصاعقة وأنتناه من النسخة التي بين أيدينا.

(٣) هو إسحاق عليه السلام والذي كان مولده بشارة من الله تعالى قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلْنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلِمًا فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ ﴿١١١﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿١١٠﴾ وَأَمْرُهُمْ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿١٠٩﴾ قَالَتْ يَبْئُوتَنِي أَعْدٌ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿١٠٨﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَّتْهُ عَلَيْهِمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿١٠٧﴾ [هود: ٦٩-٧٣].

لابني امرأة من هناك.

لأن التحليف لا يحسن: إما أولاً: فلأن يحلف مثل غلامه هذا على تزويج ابنه بامرأة من قبيلته وأرضه ليست من الكنعانيين، لا وجه له بل بامرأة فقط^(١).

وأما ثانياً: فلأنه مساعد على ذلك بالعناية الإلهية، كما ذكره عقيبه إذ أنه يعث ملاكه قدامه، ويأخذ لابنه امرأة^(٢) من هناك فلا وجه لتحليفه.

وأما ثالثاً: فلأن ابنه عنده، وبمعاشرته يحصل تزويجه، ولا يكاد يخفى عنه هذا الأمر فلا وجه لتحليفه.

وأما رابعاً: فلأن وضع يده على ورك إبراهيم في تحليفه لا وجه له.

وأما قوله: هو ذا أنا قائم على بئر الماء، وبنات سكان المدينة يخرجون ليسقين الماء، فتكون العذراء التي أقول لها أميلي جرتك لكي أشرب، فتقول: اشرب أنت، وأنا أسقي جمالك حتى يشربوا كلهم، هذه التي عينتها لغلامك إسحاق، فهذا عمل بطريق مستقل في طلب زوجة لإسحاق مخالف لوصية إبراهيم. ومن طريق متحير في أمره غير عارف بمن يطلبه من النساء، وإنما كان سيئه أن يسأل عن قبيلة إبراهيم ويخطب من يختارها منها.

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية (٢١٩/١)، ذكر أهل الكتاب أن إسحاق لما تزوج رفقا بنت بتوايل في حياة أبيه كان عمره أربعين سنة وأنها كانت عاقراً فدعا الله لها فحملت فولدت غلامين توأمين أولهما: سموه عيصو وهو الذي تسميه العرب العيص وهو والد الروم، والثاني: خرج وهو أخذ بعقب أخيه فسموه يعقوب وهو لإسرائيل الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل قالوا: وكان إسحاق يحب العيصو أكثر من يعقوب لأنه بكره وكانت أمهما رفقا تحب يعقوب أكثر لأنه الأصغر.

(٢) قال في البداية والنهاية (١٩٩/١): ذكر ابن جرير في تاريخه في سياق كلامه على خليل الله في مولده وحياته قال: فلما أهلك الله نمرود على يديه وهاجر إلى حران ثم إلى أرض الشام وأقام ببلاد إيليا كما ذكرنا وولد له إسماعيل وإسحاق وماتت سارة قبله بقرية حبرون التي في أرض كنعان ولها من العمر مائة وسبع وعشرون سنة فيما ذكر أهل الكتاب فحزن عليها إبراهيم عليه السلام ورثاها رحمها الله واشترى من رجل من بني حث حيث يقال له: عفرون بن صخر مغارة بأربع مائة مثقال، ودفن بها سارة هنالك. قالوا: ثم خطب إبراهيم على ابنه إسحاق فزوجه رفقا بنت بتوئيل بن ناحور بن تارخ، وبعث مولاه فحملها من بلادها ومعها مرضعتها وجواربها على الإبل قالوا: ثم تزوج إبراهيم عليه السلام قنطورا فولدت له زمران ويقشان ومادان ومدين وشياق وشوح وذكروا ما ولد كل واحد من هؤلاء أولاً قنطور.

السؤال على القراءة السادسة والثلاثين

أنه قال: ثم عاد إبراهيم واتخذ امرأة اسمها قطور^(١) فولد له زمران، ويقسان، ومادان، ومديان وسياق وشوح.

فأين هذا من قوله في القراءة السابعة والثلاثين وقال في قلبه هل يكون هذا من قد صار له مائة سنة، وسارة تسعين سنة أن يلد؟^(٢).

مع أنه إنما ولد هذه الجماعة بعد أربعين سنة أخرى، لأن إبراهيم إنما زوج إسحاق بعد أن صار عمره أربعين سنة، كما ذكره في أول القراءة السابعة والثلاثين. تزوج هو بعد إسحاق كما هو ظاهر هذه القراءة فدل على أن ذلك الاستبعاد إنما كان وهماً مجرداً لا أصل له أقامه في مقابلة وعد الله تعالى على أن الرجل وإن طعن في السن لا ينقطع نسله بالكبر^(٣). مع أنه هو لم يصل في السن إلى أواخر عمره لأنه عاش بعد ذلك خمسة وسبعين سنة لأن عمره مائة وخمسة وسبعون سنة كما ذكره هنا. ولم يكن في ذلك الوقت لحق نصف عمر أبيه تاريخ، لأن عمره مائتان وخمس

(١) أول من ولد لإبراهيم إسماعيل من هاجر القبطية المصرية، ثم ولد له إسحاق من سارة بنت عم الخليل، ثم تزوج بعدها قنطوراً بنت يقطن الكنعانية فولدت له ستة: مدين وزمران وسرج يقشان ونشق ولم يسم السادس، ثم تزوج بعدها حجون بنت أمين فولدت له خمسة: كيسان وسورج وأميم ولوطان، ونافس، هكذا ذكره أبو القاسم السهيلي في كتابه التعريف والإعلام. (البداية والنهاية ٢٠٠/١).

(٢) قال أبو حاتم بن حبان في صحيحه بسنده عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: اختن إبراهيم بالقدم وهو ابن عشرين ومائة سنة، وعاش بعد ذلك ثمانين سنة، وقد رواه الحافظ ابن عساكر من طريق عكرمة بن إبراهيم وذكر سنده إلى أبي هريرة موقوفاً. ثم قال ابن حبان: ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن رفع هذا الخبر وهم وذكر بسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «اختن إبراهيم حين بلغ مائة وعشرين سنة وعاش بعد ذلك ثمانين سنة». قلت -أي ابن كثير- الذي في الصحيح أنه اختن وقد أتت عليه ثمانون سنة وفي رواية: وهو ابن ثمانين سنة وليس فيهما تعارض لما عاش بعد ذلك والله أعلم. (البداية والنهاية ١٩٩/١).

(٣) قال مالك عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب قال: كان إبراهيم أول من أضاف الضيف وأول الناس اختن وأول الناس قص شاربه، وأول الناس رأى الشيب، فقال: يارب ما هذا؟ فقال الله: وقار فقال: يارب زدني وقاراً، وزاد غيرهما وأول من قص شاربه، وأول من استحد، وأول من لبس السراويل. فقبره وقبر ولده إسحاق وقبر ولده يعقوب في المربعة التي بناها سليمان بن داود عليهما السلام ببلد حبرون وهو البلد المعروف بالخليل اليوم. (البداية والنهاية ١/٢٠٠).

سنين، فبالنظر إلى ابنه هو شاب.

السؤال على القراءة السابعة والثلاثين

كيف يحسن أن يقال: ومضت لتستخير الرب فقال له الرب: إنك حبلى بأمتين^(١)، فإن رفقا زوجة إسحاق ليست أهلاً أن تخاطب الله سبحانه، ولا أن يخاطبها بالاتفاق.

لقد هزلت حتى بدى من هزالها كلاها وحتى استامها كل مقاس وأيضاً فإن قوله: ومضت أستخير الرب شعر مع ذلك أنه سبحانه في مكان تمضي إليه سبحانه وتعالى لتستخيره فيه.

وأيضاً: فكيف يحسن أن يقال: فسأله رجال ذلك الموضوع من أجل رفقا امرأته فقال: هي أختي لأنه خاف أن يقول إنها امرأتي لئلا يقتلوه، فإنه لا يليق به، وقد تقدم مثله لإبراهيم مع هذا الملك أنه الأخ، وبسطنا القول فيه^(٢).

السؤال على القراءة الثامنة والثلاثين

كيف يحسن أن يقال: قال يعقوب لأبيه^(٣) أنا عيسو بكرك، هو ذا قد عملت

(١) هما العيص ويعقوب، وكان العيص هو البكر قالوا: فلما كبر إسحاق وضعف بصره اشتبه على ابنه العيص طعاماً وأمره أن يذهب فيصطاد له صيداً ويطبخه له ليبارك عليه ويدعو له، وكان العيص صاحب صيد فذهب يتغني ذلك فأمرت رفقا ابنتها يعقوب أن يذبح جديين من خيار غنمه ويصنع منهما طعاماً كما اشتهاه أبوه ويأتي إليه به قبل أخيه ليدعو له قامت فألبسته ثياب أخيه وجعلت على ذراعه وعنقه من جلد الجديين لأن العيص كان أشعر الجسد ويعقوب ليس كذلك فلما جاء به وقربه إليه قال: من أنت؟ قال: ولدك فضمه إليه وجسه وجعل يقول: أما الصوت فصوت يعقوب، وأما الجسد والثياب فالعيص فلما أكل وفرغ دعا له أن يكون أكبر إخوته قدرًا وكلمته عليهم وعلى الشعوب بعده وأن يكثر رزقه وولده.

فلما خرج من عنده جاء أخوه العيص بما أمره به والده فقربه إليه فقال له: ما هذا يا بني قال: هذا الطعام الذي اشتبهته فقال: أما جئتني به قبل الساعة وأكلت منه ودعوت لك؟ فقال: لا والله وعرف أن أخاه قد سبقه إلى ذلك فوجد في نفسه عليه وجداً كثيراً. (انظر البداية والنهاية ٢١٩/١).

(٢) انظر ما تقدم في صحيح مسلم وشرح النووي وقد ذكرناه من قبل في تخريجاتنا.

(٣) قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]، جاء الملائكة فقالوا:

إنا نبشرك بغلام عليم وذهل إبراهيم عليه السلام قال: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ

الذين كلمتني به، قم اجلس كل من صيدي لكي تباركني نفسك، فإن هذا أمر لا ينطلي ولا تمشي على عاقل كيف يشبه على إسحاق أحد ابنه بآخر وأما ليس يعقوب خلفه عيسو، وربط جلود المعز على يديه وعنقه.

فهب أن هذا يخفى عليه لعمائه، ولكنه لا يخفى عليه صوته أصلاً. وهذا أمر معلوم بضرورة العقل. وأيضاً فالصلاح وولاية الله والنبوة لا تنال بالمحال. وأيضاً: فما له من الرتبة أن يظهر له الرب ويكلمه ويستجيب دعاءه، يخفى عليه هذا الأمر الظاهر، أين هذا من هذا.

السؤال على القراءة التاسعة والثلاثين

كيف يحسن أن يقال: قال عيسو في قلبه: قربت أيام موت أبي لكي أقتل أخي يعقوب^(١)، وبلغ رفقا كلام عيسو، لأن كلامه في قلبه لا يبلغ إليها، ولا يعلمه إلا الله

تُبَشِّرُونَ ﴿ الحجر: ٥٥-٥٦ ﴾، قالوا: ﴿ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقٰنِطِينَ ﴾ ﴿٥٦﴾ قَالَ وَمَنْ يَّقْتِطُ مِنْ رَّحْمَةِ رَبِّيَ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿ وكانت امرأته قائمة على عملها، فأقبلت في صرة فصكت وجهها- أي في حركة من الضجة والصباح، فضربت بيدها على جبينها من شدة التعجب وقالت: ﴿ يَتَوَلَّيْنِي ۗ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ [هود: ٧٢]، قالوا: ﴿ أَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْتُهُ عَلَيْهِمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ وحيال أمر ربه الحكيم العليم اقتنعت سارة وأسعلتها البشرية، فضحكت وقد غمر قلبها السرور، وكان فرح زوجها إبراهيم عليه السلام لا يقل عن فرحها فشكرا ربهما على هذه النعمة الكبيرة. (انظر قصص الأنبياء في القرآن الكريم المختار من مجمع البيان الحديث قصة إبراهيم عليه السلام).

(١) لما سمعت أمهما ما يتواعد به العيص أخاه يعقوب أمرت ابنها يعقوب أن يذهب إلى أخيها لابان الذي بأرض حران، وأن يكون عنده إلى حين يسكن غضب أخيه عليه، وأن يتزوج من بناته، وقالت لزوجها إسحاق: أن يأمره بذلك ويوصيه ويدعو له ففعل، فخرج يعقوب عليه السلام من عندهم من آخر ذلك اليوم، فأدركه المساء في موضع فنام فيه وأخذ حجراً فوضعه تحت رأسه ونام فرأى في نومه ذلك معراجاً منصوباً من السماء إلى الأرض وإذا الملائكة يصعدون فيه وينزلون والرب تبارك وتعالى يخاطبه ويقول له: إني سأبارك عليك وأكثر ذريتك وأجعل لك هذه الأرض ولعقبك من بعدك، فلما هب من نومه فرح بما رأى ونذر لله لئن رجع إلى أهله سالمًا ليينين في هذا الموضع معبدًا لله عز وجل وأن جميع ما يرزقه من شيء يكون لله عشره، ثم عمد إلى ذلك الحجر فجعل عليه دهنًا يتعرفه به وسمي ذلك الموضع بيت لئيل أي بيت الله وهو موضع بيت المقدس اليوم الذي بناه يعقوب بعد ذلك. (البداية والنهاية ١/٢١٩).

تعالى، أما لو قيل فقال عيسو لأحد، فرما بلغها وكيف يحسن أن يقال: فاستيقظ يعقوب من نومه، وقال الرب ههنا أنا، ولم أكن أعلم، فإن الرؤيا تحصل في كل موضع.

السؤال على القراءة الأربعين

كيف يحسن أن يقال: وقال يعقوب لابان أعطني امرأتي، لأن الأيام قد كملت لكي أدخل عليها، فجمع لابان رجال ذلك الموضع وصنع عرساً، ولما كان المساء أدخل لابان ابنته ليا^(١) على يعقوب، ودخل يعقوب إليها، فإن المحال في باب الزواج لا يقدم عليه العقلاء ولا من له دين ولا مروءة، فإنه يوقعه في المعصية والعار والفضيحة. لأن الأب يكون قد أعطى بنته الغير مزوجة لمن ينكحها زنا مع منعه للزواج من زوجته التي يستحقها، والزواج يكون قد أخذ غير زوجته ينكحها زنا بغير تزويج، واتفق العقلاء أرباب الشرائع أجمع على اشتراط التزويج في النكاح وإن اختلفوا في صورته وشروطه، ويفرقون بينه وبين الزنا.

وأيضاً فقلوه في آخر القراءة: وأحب راحيل^(٢) أكثر من ليا. مع قوله عقيبه: ولما

(١) لما قدم يعقوب على خاله لابان بأرض حران إذا له ابنتان اسم الكبرى: ليا، واسم الصغرى: راحيل، وكانت أحسنهما وأجملهما فأجابته إلى ذلك بشرط أن يرعى على غنمه سبع سنين فلما مضت المدة على خاله لابان صنع طعاماً وجمع الناس عليه وزف إليه لياً ابنته الكبرى ليا وكانت ضعيفة العينين قبيحة المنظر فلما أصبح يعقوب إذا هي ليا فقال لخاله: غدرت بي وأنت إنما خطبت إليك راحيل، فقال: إنه ليس من سنتنا أن تزوج الصغرى قبل الكبرى فإن أحببت أختها فاعمل سبع سنين أخرى وأزوجكها، فعمل سبع سنين وأدخلها عليه مع أختها وكان ذلك سائغاً في ملتهم ثم نسخ في شريعة التوراة، وهذا وحده دليل كاف على وقوع النسخ لأن فعل يعقوب الذي دليل على جواز هذا وإباحته لأنه معصوم وهوب لابان لكل واحدة من ابنتيه جارية، فوهب ليا جارية اسمها: زلقى، وهوب لراحيل جارية اسمها بلهى وجبر الله تعالى ضعف ليا بأن وهب لها أولاداً فكان أول من ولدت ليعقوب روبيل ثم شعون ثم لاوي ثم يهوذا فغارت عند ذلك راحيل وكانت لا تحبل فوهبت ليعقوب جاريتها بلهى فوطئها فحملت وولدت له غلاماً سمته دان وحملت وولدت غلاماً آخر سمته بنفتالي فعمدت عند ذلك ليا فوهبت جاريتها زلقى من يعقوب الذي فولدت له جاد وأشير غلامين ذكرين، ثم حملت ليا أيضاً فولدت غلاماً خامساً منها وسمته إيساخر، ثم حملت وولدت غلاماً سادساً سمته زابلون ثم حملت وولدت بنتاً سمها دينا فصار لها سبعة من يعقوب. (البداية والنهاية ١/٢٢٠).

(٢) دعت الله تعالى راحيل وسألته أن يهب لها غلاماً من يعقوب فسمع الله نداءها وأجاب دعاءها فحملت من نبي الله يعقوب فولدت له غلاماً عظيماً شريفاً حسناً جميلاً سمته يوسف كل هذا وهم مقيمون بحران وهو يرعى على خاله غنمه بعد دخوله على البنتين ست سنين أخرى،

نظر الله أنه يبغض ليا فتح رحمها، كلامان متناقضان، لأن قوله أنه يحب راحيل أكثر من ليا يقتضي مشاركتها في المحبة مع رجحان محبة راحيل، فيجتمع في حق ليا المحبة والبغض، وهما متنافيان، وأيضًا فقوله، فتح رحمها لا وجه له، لأن العاقر رحمها مفتوح لا مسدود.

السؤال على القراءة الحادية والأربعين

كيف يحسن أن يقال في آخر القراءة: وذكر الله راحيل وسمع لها وفتح رحمها فحملت وولدت ابنا ليعقوب اسمه يوسف^(١)، ولم يكن رحمها مسدودًا.

السؤال على القراءة الثانية والأربعين

كيف يحسن أن يقال وظهert العصى (المقفرة)^(٢) بلقاء وبيضاء، وترك العصى في أحواض الماء التي للغنم لكن إذا جاءت الغنم ليشرين يتوحن رسم العصى، فكانت الغنم تلد بلقاء ومجحلة ومنقطة^(٣)، فإن الأولاد يخلقون على ما يختاره الله سبحانه

فصارت مدة مقامه عشرين سنة فطلب يعقوب من خاله لابان أن يسرحه ليمر إلى أهله فقال له خاله إني قد بورك لي بسببك فسلمي من مالي ما شئت فقال تعطيني كل حمل يولد من غنمك هذه السنة. (البداية والنهاية ٢٢٠/١).

(١) روى البخاري في صحيحه (٣٣٩٠) كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّالِئِينَ﴾ [يوسف: ٧] عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم»، وقال ابن كثير: قال المفسرون وغيرهم: رأى يوسف عليه السلام وهو صغير قبل أن يحتلم كأن ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ وهم إشارة إلى بقية إخوته: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ [يوسف: ٧]، وهما عبارة عن أبويه قد سجدا له فهاله ذلك، فلما استيقظ قصها على أبيه فعرف أبوه أنه سينال منزلة عالية ورفعة عظيمة في الدنيا والآخرة بحيث يخضع له أبواه وإخوته فيها فأمره بكتمانها وأن لا يقصها على إخوته لكيلا يحسدوه ويغفوا له الغوائل ويكيدوه بأنواع الخيل والمكر. (البداية والنهاية ٢٢٤/١).

(٢) كذا بالأصل.

(٣) لما سأل يعقوب خاله أن يسمح له بالعودة إلى أهله قال له: سلمي من مالي ما شئت، قال ابن كثير، فقال: تعطيني كل حمل يولد من غنمك هذه السنة أبقع وكل حمل ملمع أبيض بسواد وكل أملح بيباض وكل أجلع أبيض من المعز، فقال: نعم، فعمد بنوه فأبرزوا من غنم أبيهم ما كان على هذه الصفات من التيوس لئلا يولد شيء من الحملان على هذه الصفات وساروا بها مسيرة ثلاثة أيام عن غنم أبيهم، قالوا: فعمد يعقوب عليه السلام إلى قضبان رطبة بيض من لوز

وتعالى من الألوان.

وإن كان قد أجرى الله عاداته غالباً أن يخلقهم على شبه ألوان أصولهم، فأما أن يخلقهم على شبه ما يرونه من العصي وغيرها. فهذا مما لا يتوهمه أحد من العقلاء أصلاً، وإلا لأتى الأولاد المتولدون في الربيع خضراً كلهم لأنهم يرون الأرض جميعها خضراً وهي أكثر ما يرونه^(١).

السؤال على القراءة الثالثة والأربعين

كيف يحسن أن يقال: وقال لي ملك الله في الحلم يعقوب يعقوب، فقلت: ها أنا ذا، فقال لي: انظر بعينك إلى فوق لترى التيوس والكباش صاعدة على النعاج والمعز رقطاع وبلقاء ورمادية ومنقطة، لأنني رأيت مافعله بك لابان، أنا هو الله الذي ظهرت لك في بيت الله (مسحت)^(٢) هناك قصبة، ونذرت لي هناك نذرًا. فإن أول الكلام يدل على أن القائل هو الملك وآخره يدل على أن القائل هو الله سبحانه وهما متناقضان.

السؤال على القراءة الرابعة والأربعين

كيف يحسن أن يقال: فجاء الله إلى لابان السرياني في الحلم وقال له: احذر أن

ولب فكان يقسرها بلقا وينصبها في مساقى الغنم من المياه لينظر الغنم إليها فتفرع وتحرك أولادها في بطونها فتصير ألوان حملاتها كذلك وهذا يكون من باب حوارق العادات وينتظم في سلك المعجزات فصار ليعقوب عليه السلام أغنام كثيرة ودواب وعبيد وتغير له وجه خاله وبنيه وكأتهم انحصروا منه، وأوحى الله تعالى إلى يعقوب أن يرجع إلى بلاد أبيه وقومه، ووعد به بأن يكون معه، فعرض ذلك على أهله فأجابوه مبادرين إلى طاعته فتحمل بأهله وماله. (انظر البداية والنهاية ١/٢٢٠).

(١) لما رأى العيص أخاه يعقوب تقدم إليه واحتضنه وقبله وبكى ورفع العيص عينيه ونظر إلى النساء والصبيان فقال: من أين لك هؤلاء؟ فقال: هؤلاء الذين وهب الله لعبدك، ورجع العيص فتقدم ولحقه يعقوب بأهله وما معه من الأنعام والمواشي والعبيد قاصدين جبال ساعير فلما مر بساحور ابنتي له بيتا لدوابه به ظلالاً، ثم مر على أورشليم قرية شخيم فنزل قبل القرية واشترى مزرعة شخيم بن جمور، وبني منبجاً سماه إيل إله إسرائيل، وأمره الله بيناته ليستعلن له فيه، وهو بيت المقدس اليوم الذي جده بعد ذلك سليمان بن داود عليهما السلام وهو مكان الصخرة التي أعلمها بوضع الدهن عليها قبل ذلك. (ابن كثير في البداية والنهاية ١/٢٢١، ٢٢٢).

(٢) هكذا بالأصل وأظنها نصبت.

تكلم يعقوب بردى^(١).

فإن الله لا يجيء في الحلم، بل يري النائم ما شاء من غير مجيء ولا ذهاب. وكيف يحسن أن يقال عقبيه لأن أباك أمس قال لي احذر أن تكلم يعقوب بردى. فإن القائل هو الله على ما قال أنفأ لا أبوه ثم اعلم أن هذا النص يبطل مذهب النصارى في التمسك على أن عيسى ابن الله بإطلاق لفظ الرب على الله تعالى بالنسبة إلى عيسى في الإنجيل^(٢)، فإنها قد أطلقت هنا على الله سبحانه بالنسبة إلى يعقوب، وليس هو ابنا لله بإجماع الطوائف كلها، بل هو مجاز على المرابي ونحوه. وكيف يحسن أن يقال: وقال له لابان: هذه الرابية شاهدة بيني وبينك اليوم. ثم قال عقبيه: هذه الرابية شاهدة بيني وبينك وقال^(٣) للابان هو ذا هذه الرابية وهذه

(١) أوحى الله تعالى إلى يعقوب أن يرجع إلى بلاد أبيه وقومه وعده بأن يكون معه، فعرض ذلك على أهله فأجابوه بمادرين على طاعته فتحمل بأهله وماله وسرقت راحيل أصنام أبيها، فلما جاوزوا وتحيزوا عن بلادهم لحقهم لابان وقومه، فلما اجتمع لابان بيعقوب عاتبه في خروجه بغير علمه وهلا أعلمه فيخرجهم في فرح ومزاهر وطبول وحتى يودع بناته وأولادهن ولما أخذوا أصنامهم معهم ولم يكن عند يعقوب علم من أصنامهم فأنكر أن يكونوا أخذوا له أصناماً فدخل بيوت بناته وإماتهن يفتش فلم يجد شيئاً وكانت راحيل قد جعلتهن في بردعة الحمل وهي تحتها فلم تقم واعتذرت بأنها طامت فلم يقدر عليهن فعند ذلك تواتقوا على رابية هناك يقال لها جلعاد على أنه لا يهين بناته ولا يتزوج عليهن ولا يجاوز هذه الرابية إلى بلاد الآخر لا لابان ولا يعقوب وعملاً طعماً وأكل القوم معهم وتودع كل منهما من الآخر وتفارقوا راجعين إلى بلادهم فلما اقترب يعقوب من أرض ساعير تلقته الملائكة يبشرونه بالقدوم. (البيداية والنهاية (١/٢٢١)).

(٢) قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ الْمُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا تَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧]. يقول تعالى مخبراً وحاكياً بكفر النصارى في إدعائهم في المسيح ابن مريم وهو عبد من عباد الله وخلق من خلقه أنه هو الله - تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً- ثم قال مخبراً عن قدرته على الأشياء وكونها تحت قهره وسلطانه: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ تفسير ابن كثير (٢/٣٥).

(٣) يعقوب أو إسرائيل ~~التعالى~~ قد سماه بني إسرائيل نسبة إليه وكلمة إسرائيل كلمة عبرانية مركبة من (إسرا) بمعنى: عبد أو صفوة، (إيل) وهو الله فيكون معنى كلمة إسرائيل عبد الله، أو صفوة الله.

النسبة التي نصبتها بيني وبينك هذه الراهية شاهدة وهذه النسبة شاهدة فإنه لا معنى لشهادة الحجارة، ولا فائدة فيها ولا يحسن ذلك من عاقل.

السؤال على القراءة الخامسة والأربعين

كيف يحسن أن يقال: بات وحده وصارعه إنسان إلى الفجر، فنظر أنه لا يقوى عليه فدنا من حق وركه فسل عرقاً من حق ورك يعقوب عندما صارعه. وقال له: اطلقني لأن الصبح قد أشرق، وهو قد قال له: لا أطلقك إذا لم تباركني^(١) قال له: ما اسمك؟ قال: يعقوب. قال: لا يدعى اسمك يعقوب بل إسرائيل^(٢) يكون اسمك لأنك قويت مع الله، ولك قوة في الناس، فسأله يعقوب عن اسمه. قال: عرفني ما سؤالك عن اسمي، وباركه هناك وسمى يعقوب اسم ذلك الموضع وجه الله قال: لأنني رأيت الإله وجهاً لوجه^(٣) وتخلصت نفسي أن فيه أشياء لا تليق، أما أولاً: فلأن ظاهره أنه يريد

وكان أولاد يعقوب الذكور اثني عشر ولداً، وذلك أنه أعقب من زوجته ليا ستة أولاد وهم: راوبين شمعون - لاوى - يهوذا - لساكر - زبولون، وأعقب من زوجته راحيل اثني هما: يوسف - بنيامين وأعقب من (زلفا) جارية ليا اثني هما جاد - أشير، وأعقب من (بلها) جارية راحيل اثني هما: دان . نفتالي. ومن أبناء يعقوب عليه السلام وذرياتهم من بعدهم تكونت أمة بني إسرائيل ونسبت إليه.

(١) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية (٢٢١/١)، في عودة يعقوب إلى بلاده فقال: وتأخر يعقوب بزوجه وأمته وبنيه الأحد عشر بعد الكل بليلتين، وجعل يسير فيهما ليلاً ويكمن نهاراً، فلما كان وقت الفجر من الليلة الثانية تبدى له ملك من الملائكة في صورة رجل فظنه يعقوب رجلاً من الناس فاتاه يعقوب ليصارعه ويغالبه فظهر عليه يعقوب فلما أضاء الفجر قال له الملك ما اسمك؟ قال يعقوب، قال: لا ينبغي أن تدعى بعد اليوم إلا إسرائيل فقال له يعقوب: ومن أنت وما اسمك؟ فذهب عنه، فعلم أنه ملك من الملائكة وأصبح يعقوب يعرج من رجله.

(٢) إسرائيل معناه: إسرا وهي بمعنى عبد أو صفوة، وإيل بمعنى: الله فيكون معنى الكلمة: عبد الله، أو صفوة الله.

(٣) مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلاً، وأجمعوا أيضاً على وقوعها في الآخرة وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين.

وزعمت طائفة من أهل البدع المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه وأن رؤيته مستحيلة عقلاً، وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجعل قبيح، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى

بالإنسان. الله تعالى كما ذكره في آخر الكلام، تعالى سبحانه وتعالى عن ذلك.

وأما ثانيًا: فلأنه ذكر فيه المصارعة بينهما.

وأما ثالثًا: فلأنه جعلها ممتدة إلى الفجر.

وأما رابعًا: فإن فيه أنه لم يقدر أحدهما على الآخر.

وأما خامسًا: فلأنه قال: اطلقني، ولم يقدر ينطق بذاته.

وأما سادسًا: فلأنه لم يطلقه كما قال إلا بعوض وهو أن يباركه. (١)

وأما سابعًا: فلأنه قال: ما اسمك، وفيه دليل على أنه لم يعلم اسمه.

وأما ثامنًا: فلأنه قال: لأنك قويت مع الله وفيه شبه من قول الشخص أن فلانًا

قوي مع المصارع الفلاني، القائم في الصراع بإدامة معه.

وأما قوله لأني رأيت الله وجهًا لوجه، فهو قد وصل على ما ذكره إلى ما هو

أعلى من ذلك، وهو المصارعة والمغالبة، سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا.

ثم كلمه بقوله وأشرقت الشمس عليه إذ عبر وجه الله (وهو يجمع على فخذة) (٢).

في الآخرة للمؤمنين ورواها نحو من عشرين صحابيًّا عن رسول الله ﷺ، وآيات القرآن فيها مشهورة. (النووي في شرح مسلم ١٤/٣، ١٥)، طبعة دار الكتب العلمية.

(١) في عودة يعقوب إلى بلاده قال في البداية والنهاية (٢٢١/١)، ورفع يعقوب عينيه فإذا أخوه عيصو قد أقبل في أربعمئة راجل فتقدم أمام أهله، فلما رأى يعقوب أخاه سجد له سبع مرات وكانت هذه تحيتهم في ذلك الزمان، وكان مشروعًا لهم كما سجدت الملائكة لآدم تحية له، وكما سجد لإخوة يوسف وأبوه له، فلما رآه العيص تقدم إليه واحتضنه وقبله وبكى ورفع العيص عينيه ونظر إلى النساء والصبيان فقال: من أين لك هؤلاء؟ فقال: هؤلاء الذين وهب الله لعبدك، فدنت الأمتان وبنوهما فسجدوا له، ودنت ليا وبنوها فسجدوا له، ودنت راحيل وابنها يوسف فخرا سجدوا له وعرض عليه أن يقبل هديته (التي أرسلها يعقوب أمامه إلى أخيه العيص) وألح عليه فقبلها ورجع العيص فتقدم أمامه ولحقه يعقوب بأهله وما معه من الأنعام والمواشي والعبيد قاصدين جبال ساعر فلما مر بساحور ابنتي له بيتًا ولدوا به ظلالًا ثم مر على أورشليم قرية شخيم بن حمور بمائة نعجة فضرب هنالك فسطاطه وابتنى ثم مذبحًا فسماه إيل إله إسرائيل، وأمره الله ببنائه ليستعلن له فيه وهو بيت المقدس اليوم الذي جدده بعد ذلك سليمان بن داود عليهما السلام.

(٢) غير موجود بالأصل واستكملناه بالأصل وسي وجه الله اسم المكان الذي صار فيه الملك على زعمهم أنه صارع الله ورآه وجهًا لوجه.

السؤال على القراءة السادسة والأربعين

كيف يحسن أن يقال: ولما كان في اليوم الثالث وهم متوجعون جداً، أخذ ابنا يعقوب شمعون ولاوي أخوا ديناً^(١) كل واحد سيفه وطلعا المدينة، ويدهاها قوية وقتلا جميع الذكور وحمور وشكيم ابنة بحد السيف فيها.

وأخذ ديناً أختها من شكام ومضيا، فطلع بنو يعقوب^(٢) على القتلى، ونهبوا المدينة التي غضبت فيها أختهم ديناً، وغنمهم وبقرهم وحميرهم وكل ما في المدينة، وسبوا نساءهم، فإن هذا لا يكاد العقل يقبله أن يقدر اثنان على قتل أهل المدينة.

وأيضاً فإن هذا فساد عظيم من الذي فعله شكام، وهو إهلاك أهل مدينة فيها من تعدى عليهم، ومن لم يتعد عليهم، فكيف يصدر عنهم قرب من الله تعالى، ما تقدم ذكره وما يأتي ذكره.

السؤال على القراءة السابعة والأربعين

كيف يحسن أن يقال: وقال الله ليعقوب قم اصعد إلى بيت ليل، وقم هناك واصنع هناك مذبحاً لله تعالى الذي ظهر لك وأنت هارب عن وجه عيسو أخيك^(٣).

قال يعقوب لبنيه، وكل من معه: انزعوا الآلهة الغرباء من بينكم وتطهروا إلى أن قال بعده فاعطوه الآلهة الغرباء التي كانت في أيديهم والأقراط التي كانت في آذانهم فدقها، فإن أول الكلام يدل على أعلى رتبة وهي خطاب الله تعالى^(٤). وآخره يدل

(١) ذكر أهل الكتاب هنا قصة ديناً بنت يعقوب بنت ليا، وما كان من أمرها مع شخيم بن حمور الذي قهرها على نفسها، وأدخلها منزله ثم خطبها من أبيها وإخوتها، فقال لإخوتها إلا أن تختتنوا كلكم فنصاهركم وتصاهرونا فإننا لا نصاهر قومًا غلفًا، فأجابوهم إلى ذلك واختتنوا كلهم، فلما كان اليوم الثالث واشتد وجعهم من ألم الحتان مال عليهم بنو يعقوب فقتلوهم عن آخرهم وقتلوا شخيما وأباه حمور لقبيح ما صنعوا إليهم مضاعفاً إلى كفرهم وما كانوا يعبدونه من أصنامهم، فلماذا قتلهم بنو يعقوب وأخذوا أموالهم غنيمة. البداية والنهاية (١/٢٢٢).

(٢) كان أولاد يعقوب الذكور اثني عشر رجلاً، فمن ليا، روبيل، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، وإسايخر، وزايلون. ومن راحيل: يوسف وبنيامين، ومن أمة راحيل: دان، ونفتالي، ومن أمة ليا: حاد وأشير.

(٣) انظر ما تقدم قريباً نقلاً من البداية والنهاية لابن كثير (١/٢٢١، ٢٢٢).

(٤) قال في كتاب بنو إسرائيل في القرآن والسنة (ص ٧٥): إذا نظرنا إلى التوراة الحالية من حيث المتن نجدها محشوة بالقصص والعبارات والمتناقضات التي تنتزه الكتب السماوية الصحيحة عن ذكرها وإليك بعض الأمثلة: (أ) في سفر التكوين: أن الله تعالى بعد خلق

على أنهم كانوا أهل أصنام، فأين هذا من هذا، مع ما تقدم لهم من الفساد، وإهلاك أهل مدينة فيهم من تعدى عليهم ومن لم يتعد.

السؤال على القراءة الثامنة والأربعين

كيف يحسن أن يقال: ولما سكن إسرائيل في تلك الأرض، مضى روبيل وضاجعها سرية أبيه^(١) فسمع إسرائيل مكان الفعل، سرى بين يديه. فإن الأنبياء يصانون عن أن يقع تحريم فعل وأبناء الأنبياء يصانون عن أن يقع منهم مثل ذلك. وأين هذا بما وعد الله تعالى يعقوب أن يباركه ويبارك زرعه ويحفظه ويكون معه باطنًا وظاهرًا للعين ومما وعد أباه وجدته.

السؤال على القراءة التاسعة والأربعين

كيف يحسن أن يقال: وقال يهوذا لأونان ادخل على امرأة أخيك وكن معها وقم زرعًا لأخيك ولما علم أونان أن الزرع لا يكون له صار إذا دخل على امرأة أخيه يسكب على الأرض أن لا يعطي زرعًا لأخيه، فكان الفعل ردًا قدام الله أنه فعل هذا فقتل الآخر^(٢) فإن الزرع لبأذره لا للأخ الميت، فكيف يقيم زرع أخيه.

السماوات والأرض في ستة أيام استراح في اليوم السابع وكان يوم سبت، وأن الله قد بارك هذا اليوم من أجل ذلك فحرم فيه العمل. وهذا الوصف تنزهه عنه الخالق تعالى كما تنزهه أي كتاب ساوي عن أن يشتمل على هذه العبارات الباطلة.

(١) تنسب التوراة الحالية لبعض الأنبياء عليهم السلام أعمالاً قبيحة تتنافى مع العصمة التي منحها الله تعالى لهم، ولا يتصور صدورها إلا من سفلة الناس من ذلك ما جاء في سفر التكوين عن لوط التيلا وابنتيه فهو يذكر أن لوطا التيلا وابنتيه هم الذين نجوا بعد هلاك قومه وأن ثلاثهم قد أقاموا عقب ذلك في غار، وحينئذ قالت كبراهما لصغراهما: إن أبانا قد أصبح شيخاً كبيراً وليس في هذا المكان القفر رجال يتصلون بنا على النحو الذي يفعله ذكور الناس مع إناثهم، وإذا بقي الأمر على تلك الحالة سينقرض نسل أبينا بعد وفاته ووفاتنا، وخير وسيلة أن نسقي أبانا خمرًا حتى يفقد وعيه ويتصل بنا فنأتي منه بذرية تخلد نسله، ثم أنفذنا ما اتفقتا عليه وجاءت الكبرى بغلام أمته مؤاب وجاءت الصغرى بغلام أمته عمون ومن هذين الغلامين تكون شعب المؤابيين والعمونيين، هذا وفي التوراة الحالية نصوص أخرى فيها تطاول على بعض الأنبياء كآدم ونوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون وداود وسليمان صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً وفيها وصف لهم بأعمال ذميمة تتعارض مع الخلق الكريم الذي طبعهم الله تعالى عليه. المرجع السابق (ص ٧٦).

(٢) اشتملت بعض الأسفار على غزل شهواني صريح ومن تعبير ماجن خليع يجعل العاقل يستبعد

وأيضًا فقلوه: يسكبه على الأرض أن لا يعطي زرعًا لأخيه، يقتضي أنه إذا رزق منها ولد يكون منسوبًا إلى الميت، وهذا لا يتوهمه أحد وأيضًا فكيف يحسن أن يأمره أن يدخل على امرأة أخيه.

وأيضًا: فروبيل ضاجع سرية أبيه يعقوب، وهو فعل أعظم من هذا وما قبله أبيه فكيف يحسن أن يقول هنا فقتل الآخر يعني لأجل فعله.

كيفية يحسن أن يقال بعد هذا ما معناه أن يهوذا^(١) زنا بكنته الأرملة ثامار، لأنه لم يعرف أنها كنته بل ظنّها زانية، وأعطى خاتمه وعمامته وعصاه رهنًا على جدي من غنمه.

وحبلت منه بتوأم وهما فراض وزارح، وأنه أمر بحرقها حتى قالت أتاني من هذه عمامته وخاتمه وعصاه. فإن هذا أقبح ما يحكى عن عاقل ما أنه فعله فضلًا عن أولاد

=

أن تكون هذه الأسفار منزلة من السماء وفي سفر نشيد الأنشاد مثلًا كثير من هذا اللون الماجن من الغزل، ففي بعض فقراته يقول: في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي طلبته فما وجدته، إني أقوم وأطوف المدينة في الأسواق والشوارع، وجدني الحرس الطائف في المدينة فقلت: أرايتم من تحبه نفسي فما جاوزتهم إلا قليلًا حتى وجدته فأمسكته ولم أتركه أدخلته بيت أمي وحجرة من حبلت بي. (انظر سفر نشيد الإنشاد نقلًا عن كتاب المسيح في القرآن لعبد الكريم الخطيب ص ٥٢).

(١) في أصل بني إسرائيل باليهود أن بعض العلماء رجح النسبة إلى يهوذا الابن الرابع ليعقوب عليه السلام فقد قال البيروني مؤيدًا هذا القول: وإنما سُموا باليهود نسبة إلى يهوذا أحد الأسباط، فإن الملك استقر في ذريته وأبدلت الذال المعجمة دالًا مهملة لأن العرب كانوا إذا نقلوا أسماء أعجمية إلى لغتهم غيروا بعض حروفها، وقد كان يهوذا هو الحاكم لسائر أبناء أبيه الأحد عشر بتقديم أبيه له، وظل كذلك حتى مات، وكان سبطه من بعده هو المقدم على سائر الأسباط الأخرى إلى أن انقسمت مملكتهم بعد وفاة سليمان عليه السلام إلى قسمين: مملكة يهوذا ومقرها أورشليم، وتتكون من سبطي يهوذا وبنيامين ومملكة إسرائيل ومقرها السامرة وتتكون من بقية الأسباط العشرة.

وبعد سقوط دولة إسرائيل على يد الآشوريين سنة (٧٢١) ق. م. دخل من بقي منهم تحت طاعة ملوك يهوذا، إلى أن سقطت مملكة يهوذا على يد بختنصر سنة (٥٨٦) ق. م. وساق الأحياء منهم أسارى إلى بابل، وعرفوا حينئذٍ ببني يهوذا، وقيل للواحد منهم يهودي ثم اتسعت هذه الكلمة فصارت تشمل جميع العبرانيين وبني إسرائيل ومن دخل في اليهودية من الأجناس الأخرى. (انظر بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ١٣).

الأنبياء. ﴿فَتَلَّهُمُ اللَّهُ أَنِّي يُؤْفِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠] (١).

السؤال على القراءة الخمسين

كيف يحسن أن يقال كان يوم هكذا دخل يوسف (٢) إلى البيت ليعمل أعماله، ولم يكن أحد داخل البيت، فعلقت بثيابه وعرته (إياهم) (٣) قائلة: ارقد معي، فخلف ثيابه في يدها وهرب وخرج وكان لما نظرت إنه خلف ثيابه في يدها وهرب وخرج، دعت الذين في البيت وقالت لهم نظرتم أنه دخل إلي غلاماً عبرانياً ليضحك بي دخل إلي قال: ارقدي معي، فصرخت بعظم صوت. ولما سمع أبي رفعت صوتي وصرخت خلف ثيابه بيدي وهرب ومضى إلى الخارج وترك الثياب بيدها (٤).

فإن أول هذا الكلام يقتضي أنه لم يكن أحداً داخل البيت، وآخره يقتضي أن فيه جماعة وهما متناقضان مع ما فيه من سوء تدبيرها وجهل سيده في استماع كلامها.

فإنه لو كان هو الطالب لها لما تعرى بثيابه، لأنه يبقى بثوبه أن يأتي سيده على

(١) وجدناها في الهامش بالمخطوط.

(٢) روى البخاري في صحيحه (٣٣٩٠)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّالِطِينَ﴾ [يوسف: ٧] عن ابن عمران أن رسول الله ﷺ: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم».

(٣) كذا بالأصل.

(٤) قال تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنُ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصَرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦﴾ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَْا سَيْدَهَا لِدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٩﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدٌّ مِّن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٠﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَن هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف: ٢٣-١٩].

غفلة^(١) فيراه عرياناً^(٢).

ولو كان هو الطالب لها لما هرب، فإن هربه بعد الذنب لا يسكتها ولا يكذبها، بل يوجد تكلمها وتصديقها، لكن كان سبيله أن يقف يترقق وينخضع لها ويعتذر لتسكت عن شكواه، ولو كان هو الطالب لها لما هرب عرياناً، لأن هربه عرياناً لا يستره بل يفضح، على أن سيده كان مخطئاً غير آخذ بالجرم والاحتراز في إدخاله عليها.

السؤال على القراءة الحادية والخمسين

كيف يحسن أن يقال فنظر الاثنان مناماً كل واحد نظر منامه في ليلة واحدة، فإن الاثنان لا يريا مناماً، بل منامين^(٣) وكيف يحسن أن يقال: وكل واحد نظر منامه في ليلة واحدة، فإن كل واحد لا يمكن أن يرى منامه إلا في ليلة واحدة لا في ليلتين بل

(١) ذكر الله في الآية المتقدمة ما كان من مرادة امرأة العزيز ليوسف عليه السلام عن نفسه وطلبها منه ما لا يليق بحاله ومقامه وهي في غاية الجمال والمال والمنصب والشباب وكيف غلقت الأبواب عليها وعليه وتبأت له وتصنعت وليست أحسن ثيابها وأفخر لباسها وهي مع هذا كله امرأة الوزير، قال ابن إسحاق: وبنت أخت الملك الريان بن الوليد صاحب مصر وهذا كله مع أن يوسف عليه السلام شاب بديع الجمال والبهاء إلا أنه نبي من سلالة الأنبياء فعصمه ربه عن الفحشاء وحماه عن مكر النساء. (البداية والنهاية ١/٢٢٩).

(٢) قالوا: كان الذي اشتراه من أهل مصر عزيزها وهو الوزير بها الذي الخزانة مسلمة إليه قال ابن إسحاق: واسمه أظفير بن روحيب، قال: وكان ملك مصر يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق، قال: واسم امرأة العزيز راعيل بنت رعايل وقال غيره: اسمها زليخا والظاهر أنه لقبها، وقيل: فكا بنت ينوس رواه الثعلبي عن أبي هشام الرفاعي، وقال محمد بن إسحاق بسنده عن ابن عباس: كان اسم الذي باعه بمصر يعني الذي جلبه إليها مالك بن ذعر بن نويب بن عفقا بن مديان بن إبراهيم فالله أعلم. (البداية والنهاية ١/٢٢٨).

(٣) قال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ ﴾ [يوسف: ٣٦] قيل: كان أحدهما ساقى الملك واسمه فيما قيل: بنو، والآخر خبازه يعني الذي يلي طعامه وهو الذي يقول له الترك «الجاشنكير» واسمه فيما قيل: «مجلت» كان الملك قد اتهمهما في بعض الأمور فسجنهما فلما رأى يوسف في السجن أعجبهما سمته وهديه ودله وطريقته وقوله وفعله وكثرة عبادته ربه وإحسانه إلى خلقه فرأى كل واحد منهما رؤيا تناسبه.

قال أهل التفسير: رأى في ليلة واحدة. أما الساقى فرأى: كأن ثلاثة قضبان من حيلة وقد أورقت وأينعت عناقيد العنب فأخذها فاعتصرها في كأس الملك وسقاه، ورأى الخباز على رأسه ثلاث سلال من خبز وضواري الطيور تأكل من السلة الأعلى فقصاها عليه وطلبها منه أن يعبرها لهما. (البداية والنهاية ١/٢٣٢).

الواجب أن يقال: ونظر الاثنين مناهما في ليلة واحدة^(١).

السؤال على القراءة الثانية والخمسين

لا كيف يحسن أن يقال: فقال يوسف لخادمه قم الآن واطلب القوم وأدركمهم، قل لهم جازيتم شراً مكان الخير، إن الصاع الذي يشرب به سيدي ويتفاعد به سرقتم، لقد أسأتم فيما فعلتم^(٢). فإن يوسف عليه السلام لا يليق به أن يعلم خادمه الكذب. وهذا الكلام الذي علمه فيه ثلاث كذبات:

أحدها: قوله: جازيتم شراً مكان الخير.

وثانيها: قوله سرقتم.

وثالثها: قوله: قد أسأتم فيما فعلتم^(٣)، وأيضاً فكيف يحسن أن يقال في حق

(١) في تأويل رؤيا الساقى والخباز قال تعالى: ﴿يَصْنَعِي اللَّسَجِينَ أَمَا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٤١]، قالوا: وهو الساقى، ﴿وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُضَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ قالوا: وهو الخباز: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ أي وقع هذا لا محالة ووجب كونه على حاله ولهذا جاء في الحديث: «الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت» انظر البداية والنهاية (٢٣٢/١، ٢٣٣).

(٢) قال تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۗ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِجْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيُّنْهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَّرِقُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلَمَن جَاءَ بِهِ جِمِلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٦٩﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتَنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧١﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رِحْلِهِ فهُوَ جَزَاؤُهُ ۗ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ ۗ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ شَاءٍ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ [يوسف: ٦٩-٧٦].

(٣) يذكر تعالى ما كان من أمرهم حين دخلوا بأخيهم بنيامين على شقيقه يوسف وإيوانه إليه وإخباره له سرّاً عنهم بأنه أخوه وأمره بكنتم ذلك عنهم وسلاه عما كان منهم الإساءة إليه ثم احتال على أخذه منهم وتركه إياه عنده دونهم فأمر فتياه بوضع سقايته، وهي التي كان يشرب بها ويكيل بها للناس الطعام، عن غرة في متاع بنيامين ثم أعلمهم بأنهم قد سرقوا صواع الملك، ووعدهم جمالة على رده، حمل بعير، وضمنه النادي لهم فأقبلوا على من اتهمهم بذلك فأبوه

بنيامين وحده الذي بقي لأمه وأبوه يحبه، معه أن راحيل ماتت بعد ولادته...^(١) كما تقدم ذكره في القراءة السابعة والأربعين بل صوابه هو وحده الذي بقي لأبيه من أولاد أمه راحيل.

السؤال على القراءة الثالثة والخمسين

كيف يحسن أن يقال: فقال إسرائيل: إن كان ابني حياً أم امضي لأراه قبل أن أموت. لأن هذا الكلام معكوس، وصوابه أن يقال: فقال إسرائيل^(٢): أمضي مطلقاً لأرى ابني قبل أن أموت إن كان حياً، لأن الرؤية الموقوفة على كونه حياً لا المعنى، فإنه ماض ولا بد مطلقاً عن كان حياً في نفس الأمر، أو لم يكن اعتماداً على حصول ظن حياته الآن.

السؤال على القراءة الرابعة والخمسين

كيف يحسن أن يقال: وقال يوسف لإخواته: امضي إلى فرعون، وأقول له قد جاء إليّ إخوتي^(٣) وبيت أبي الذين كانوا في أرض كنعان والرجال هم رعاة، لأنهم أناس

وهجنوه فيما قاله لهم: ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾ فلما عابنوا استخرجوا الصواع من جمل بنيامين، ﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنًا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ ﴿ أي إن أطلقنا المتهم واخذنا البريء وهذا ما لا نفعله ولا نسمح به ﴿ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنًا عِنْدَهُ ﴾ [يوسف: ٧٩]، البداية والنهاية (٢٣٩/١، ٢٤٠).

(١) بياض بالأصل.

(٢) قال عبد الرزاق بسنده عن ابن عباس قال: فلما فصلت العير قال: لما خرجت العير هاجت ريح فجاءت يعقوب بريح قميص يوسف ﴿ قَالِك أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ [يوسف: ٩٤] قال: فوجد ريحه من مسيرة شامية، وكذا رواه الثوري وشعبة وغيرهم عن أبي سنان به وقال الحسن البصري، وابن جريج المكي: كان بينهما مسيرة شانين فرسخا وكان له منذ فارقه شانون سنة. وقوله: ﴿ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ أي تقولون إنما قلت هذا من الفند وهو الخرف وكبير السن، قال ابن عباس وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة تفندون تسفهون. قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ [يوسف: ٩٦]، البداية والنهاية (٢٤٢/١).

(٣) قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوَابِهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾

يربون الدواب.

كان هذا كذب، ولا يليق بيوسف أن يقوله ولا أن يعلم إخوته أن يقولوه، وليس بعد هذا إلا القراءة السابعة والخمسون هكذا النسخة.

السؤال على القراءة السابعة والخمسين

كيف يحسن أن يقال: فقال لهم: لا تخافوا أنا أرزقكم وأعولكم، فإنه لا يرزق إلا الله سبحانه وتعالى. تم السفر الأول بأسئلته^(١).

وَرَفَعَ أَبُوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴿ [يوسف: ٩٨، ٩٩] هذا إخبار عن حال اجتماع المتحابين بعد الفرقة الطويلة التي قيل إنها شانون سنة وقيل ثلاث وثمانون سنة وهما روايتان عن الحسن وقيل خمس وثلاثون سنة قاله قتادة وقال محمد بن إسحاق ذكروا أنه غاب عنه شاني عشرة سنة قال: وأهل الكتاب يزعمون أنه غاب عنه أربعين سنة، وكان حمله من قدم مع يعقوب من بنيه وأولادهم فيما قاله أبو إسحاق السبيعي عن أبي عبيدة عن ابن مسعود ثلاثة وستين إنساناً، وقال موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب عن عبد الله بن شداد كانوا ثلاثة وثمانين إنساناً، وقال أبو إسحاق عن مسروق دخلوا وهم ثلاثمائة وتسعون إنساناً قالوا: وخرجوا مع موسى وهم أزيد من ستمائة ألف مقاتل وفي نص أهل الكتاب أنهم كانوا سبعين نفساً وسومهم، وفي قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبُوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ قيل كانت أمه قد ماتت كما هو عند علماء التوراة، وقال بعض المفسرين فأحيهاها الله تعالى وقال آخرون بل كانت خالته ليا والخاللة بمنزلة الأم، وقال ابن جرير وآخرون بل ظاهر القرآن يقتضي بقاء حياة أمه إلى يومئذ فلا يعول على نقل أهل الكتاب فيخالفه وهذا قوي والله أعلم. (انظر البداية والنهاية لابن كثير ١/٢٤٣، ٢٤٤).

(١) ذكر ابن إسحاق عن أهل الكتاب أن يعقوب أقام بديار مصر عند يوسف سبع عشرة سنة ثم توفي عليه السلام وكان قد أوصى إلى يوسف عليه السلام أن يدفن عند أبويه إبراهيم وإسحاق قال السدي، فصبر وسيره إلى بلاد الشام فدفنه بالمغارة عند أبيه إسحاق وجده الخليل عليهم السلام. وعند أهل الكتاب أن عمر يعقوب يوم دخل مصر مائة وثلاثون سنة وعندهم أنه أقام بأرض مصر سبع عشرة سنة ومع هذا قالوا: فكان جميع عمره مائة وأربعين سنة، هذا نص كتابهم وهو غلط إما في النسخة أو منهم أو قد أسقطوا الكسر وليس بعادتهم فيما هو أكثر من هذا فكيف يستعملون هذه الطريقة ههنا وقد قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٣]، المرجع السابق (١/٢٤٦).

السؤال على السفر الثاني من التوراة وهو سفر الخروج في القراءة الأولى

كيف يحسن أن يقال: وكلما كانوا يذلونهم كانوا يزدادون بكثرة، وكان المصريون يشفقون على بني إسرائيل، والمصريون يستعبدون بني إسرائيل جوراً،^(١) ويمررون عليهم حياتهم بأفعال الطين واللبن والحرث.
أما أولاً: فإن هذا لا يخفى على عاقل، أن الإذلال بأعمال المشقة، لا يقلل القبيلة^(٢).

فإن طريق الفناء على هذا الطريق من القتل والنفي ونحوهما.
وأما ثانياً: فإن الإخبار عن المصريين بأنهم كانوا يشفقون على بني إسرائيل، والإخبار عنهم بأنهم يستعبدونهم جوراً، إخباران متنافيان.

السؤال على القراءة الثانية

كيف يحسن أن يقال: فرأت تابوتاً في النهر مع أنه ذكر في القراءة الأولى أنها

(١) قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا﴾ [القصص: ٤]، أي تجبر وعتا وطفى وبغى وآثر الحياة الدنيا وأعرض عن طاعة الرب الأعلى وجعل أهلها شيعاً أي قسم رعيته إلى أقسام وفرق وأنواع يستضعف طائفة منهم وهم شعب بني إسرائيل الذين هم من سلالة نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله وكانوا إذ ذاك خيار أهل الأرض وقد سلط عليهم هذا الملك الظالم الغاشم الكافر الفاجر يستعبدهم ويستخدمهم في أحسن الصنائع والحرف وأرداها وأدناها ومع هذا ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (البداية والنهاية ١/٢٦٤).

(٢) قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥]، أي سنجعل الضعيف قوياً والمقهور قادراً والدليل عزيزاً، وقد جرى هذا كله لبني إسرائيل وقد احترز فرعون كل الاحتراز أن لا يوجد موسى حتى جعل رجالاً وقوابل يدورون على الحبالى ويعلمون ميقات وضعهن فلا تلد امرأة ذكراً إلا ذبحه أولئك الذباحون من ساعته، وعند أهل الكتاب أنه إما كان يأمر بقتل الغلمان لتضعف شوكة بني إسرائيل فلا يقاومونهم إذا غالبوهم أو قاتلوهم وهذا فيه نظر بل هو باطل وإنما هذا في الأمر بقتل الولدان بعد بعثة موسى كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾ [غافر: ٢٥]، (البداية والنهاية ١/٢٦٥).

تركه في البردى عند النهر^(١). فإن كونه عند النهر مغاير لكونه في النهر فتناقض الإخباران.

السؤال على القراءة الثالثة

كيف يحسن أن يقال: فالتفت إلى الجانبين فلم ير أحداً، فقتل المصري ودفنه في الرمل مع أنه قال عقيبه: إن العبراني الظالم قال له، أو يقول: تقتلني كما بالأمس قتلت المصري، فإنه يلزم أن يكون هناك هو، أو من أخبره وظاهر كلامه الأول أنه لم يكن ثم أحد وإلا لما قتل المصري^(٢)، فتناقضا.

السؤال على القراءة الرابعة

كيف يحسن أن يقال: وذكر الله عبده الذي قرره بينه وبين إبراهيم وإسحاق ويعقوب. فإن الله سبحانه لا ينسى قوله حتى يصح أن يقال: ذكر. وكيف يقال: فنزلت لأخلصهم من أيدي المصريين^(٣).

(١) كان الحامل لفرعون على قتل الذكور من بني إسرائيل كما ذكر ابن كثير فقال: ذكر السدي عن أبي صالح وأبي مالك عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من الصحابة أن فرعون رأى في منامه كأن ناراً قد أقبلت من نحو بيت المقدس فأحرقت دور مصر وجميع القبط ولم تضر بني إسرائيل فلما استيقظ هاله ذلك فجمع الكهنة والحذقة والسحرة وسألهم عن ذلك فقالوا: هذا غلام يولد من هؤلاء سبب هلاك أهل مصر على يديه فلهدأ أمر بقتل الغلمان وترك النسوان. فلما وضعت أم موسى ألفت أن اتخذت له تابوتاً فربطته في حبل وكانت دارها متاخمة للنيل فكانت ترضعه فإذا خشيت من أحد وضعت في ذلك التابوت فأرسلته في البحر وأمسكت طرف الحبل عندها فإذا ذهبوا استرجعته إليها به. (البداية والنهاية) (٢٦٥/١).

(٢) قال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ۖ أَيِ يَتَضَارِبَانِ وَيَتَهَاوِشَانِ ۖ هَٰذَا مِنْ شِيعَتَيْهِ ۖ أَيِ إِسْرَائِيلِي ۖ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ أَيِ قِبْطِي ۖ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ۖ فَاسْتَعْنَيْتُهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتَيْهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ۖ وَذَلِكَ أَنَّ مُوسَى الْكَاتِبَ كَانَتْ لَهُ بَدْيَارٌ مِصْرَ صَوْلَةَ بِسَبَبِ نَسَبِهِ إِلَىٰ تَبْنِي فِرْعَوْنَ لَهُ وَتَرْبِيَتُهُ فِي بَيْتِهِ وَكَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ قَدْ عَزَوْا وَصَارَتْ لَهُمْ وَجَاهًا وَارْتَفَعَتْ رِعْوَسُهُمْ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ أَرْضَعُوهُ وَهُمْ أَحْوَالُهُ أَيِ مِنَ الرِّضَاعَةِ فَلَمَّا اسْتَعَاثَ ذَلِكَ الْإِسْرَائِيلِي مُوسَى عَلَىٰ ذَلِكَ الْقِبْطِي أَقْبَلَ إِلَيْهِ مُوسَى ۖ فَوَكَرَهُ ۖ قَالَ مُجَاهِدٌ طَعَنَهُ بِجَمْعِ كَفِّهِ وَقَالَ قَتَادَةُ: بَعْضًا كَانَتْ مَعَهُ ۖ فَفَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ أَيِ فَمَاتَ مِنْهَا، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ الْقِبْطِي كَافِرًا مُشْرِكًا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَمْ يَرِدْ مُوسَى قَتْلَهُ بِالْكَلْبَةِ وَإِنَّمَا أَرَادَ زَجْرَهُ وَرَدْعَهُ. (البداية والنهاية) (٢٦٨/١).

(٣) قال صاحب تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم: والراجح أن حالة بني إسرائيل تبدلت بعد

وكذا عقبيه: وأدخلهم إلى أرض واسعة فإنه سبحانه منزه عن النزول وعن الدخول إلى الأرض.

وكيف يحسن أن يقال: وإذا (رتمتم) ^(١) الخروج لا تخرجوا فارغين، بل تسأل المرأة من جاريتها ورفيقتها أواني فضة، وأواني ذهب وثيابًا. تحملونهم لبيكم وبناتكم وتغنموا المصريين. فإنه لا يليق أن ينسب إلى الله سبحانه وتعالى أن يعلم الناس أن يستعبروا أمتة الناس ويخونوهم ويغدروا بهم، ويذهبوا بها. ^(٢)

السؤال على القراءة الخامسة

كيف يحسن أن يقال: وأنت قل لفرعون ^(٣): هذا ما يقوله الرب: ابني بكري

تقويض حكم الهكسوس في القرن السادس عشر ق.م، وقيام الإمبراطورية المصرية، ويستدل من أوراق البردي المذكورة: أن تسخيرهم واضطهادهم قد بلغ الذروة في عهد رمسيس الثاني أعظم ملوك الأسرة التاسعة التي حكمت حسب تقدير المؤرخ بريستيد من سنة (١٣٥٠) إلى سنة (١٢٥٠) ق.م، وحسب تقدير المؤرخ شالوييم من سنة (١٤٦٢)، إلى سنة (١٢٨٨) ق.م. وهناك قرائن تدل على أنه كان لبني إسرائيل أثر في الانقلاب الديني الذي قام به إخناتون أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة سنة (١٥٨٠)، إلى سنة (١٣٥) ق.م، فقد هدف إخناتون في انقلابه إلى عبادة ما وراء الشمس وسمى معبوده آتون الذي يظن أنه مقتبس من اسم (أدون) أو (أدوناي) العبراني الذي كانوا يسمون به الرب. [تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم (ص٤١)].

(١) كذا بالأصل وأظنها (أردتم).

(٢) يعلق أحد المؤرخين على قصة استلاب بني إسرائيل لحلي المصريين عند خروجهم من مصر فيقول: «ويلفت النظر خاصة ما جاء في التوراة من سلب رجال ونساء بني إسرائيل أمتة جيرانهم الذهبية والفضية بحيلة الاستعارة ونسبة ذلك إلى الله تعالى ومهما كان من أمر فإن تسجيل هذا الخبير بهذا الأسلوب يدل على ما كان وظل يتحكم في نفوس بني إسرائيل من فكرة استحلال أموال الغير وسلبها بأية وسيلة، ولو لم تكن حالة حرب ودفاع عن النفس، كما أنه كان ذا أثر شديد بدون ريب في رسوخ هذا الخلق العجيب في ذرايعهم ثم من دخل في دينهم من غير جنسهم» تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ٢٤.

(٣) حكى لنا القرآن الكريم في آيات كثيرة أن موسى عليه السلام طلب من فرعون أن يقلع عن إيذاء بني إسرائيل، وأن يترك الكفر والغرور ويعبد الله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يُنْفِرْعُونَ مِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾ [الأعراف: ١٠٤، ١٠٥].

أي قال موسى ملزمًا فرعون الحجة إني رسول من الله الذي هو خالق كل شيء وربّه ومليكه

إسرائيل. قلت لك أطلق (ابني)^(١)، وأنت أبيت أن تطلقه فانظر إني سأقتل ابنك بكرك. فإن هذا الكلام غير منتظم، لأن معناه أنه سبحانه أمر موسى أن يقول لفرعون هذا ما يقوله الرب: ابني بكري إسرائيل قلت لك أطلق جمعي، فالمأمور بقوله: قلت لك، وتوسط ابني بكري بين الأمر وبين المقول لا معنى له هنا، ولا تعلق له بالأمر، ولا بالمقول بل هو قاطع الارتباط الكلام بأوله.

وأيضًا فإن قتل ابنه بكره في مقابل تعويق أولاد بكره إسرائيل (...)^(٢) من العشران كبني يزيد وبني نمير، لا من أحكام الشريعة على أن هذا الكلام المتوسط مبطل لقول النصارى أن عيسى ابن الله، متمسكين بإطلاق لفظ النبوة على عيسى في الإنجيل.^(٣) فإنه إذا أطلق لفظ النبوة في التوراة على إسرائيل أيضًا، لم يبق لعيسى بها

وإني جدير بأني لا أقول على الله سوى القول الحق الذي أمرني به أو حريص على أني لا أقول على الله إلا القول الحق: ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ نَبِيًّا مِنْ إِسْرَائِيلَ﴾ أي: أطلقهم من أسرك وقهرك واتركهم يعبدون الله وهم وخل سبيلهم ليرجعوا معي إلى بلاد الشام، ثم حكى القرآن الكريم بعد ذلك أن أشرف قوم فرعون طلبوا منه أن يزيد في إيذاء بني إسرائيل وأن يحملهم على عبادة آلهته فقال تعالى: ﴿وَقَالَ أَلَكُلًا مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَاتِلُ أبنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] أي قال الأشرف من قوم فرعون له، أتترك موسى وقومه ليفسدوا رعيك بأن يحملوهم على عبادة رب موسى ويرغبون في ذلك وينهوهم عن عبادة آلهتك؟ فأجابه فرعون بقوله: سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون، أي غالبون مستعلون عاملون على قتل ذكورهم وإبقاء نساءهم. (بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ٢٢).

(١) بالأصل (جمعي).

(٢) بياض بالأصل.

(٣) حكى القرآن الكريم كثيرًا من العقائد الباطلة والأقاويل الفاسدة التي ردها أهل الكتاب، ومن ذلك ما ذكر عن اليهود بأنهم قالوا: ﴿عَزِيزٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، وعن النصارى بأنهم قالوا: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ وأن الفريقين قد اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، وأنهم أرادوا إطفاء نور الإسلام الذي عمّ الأفاق وهدى الضالين ولقد رد القرآن الكريم على ما حكاه عن أهل الكتاب من انحراف في العقيدة والقول بما يبطل مزاعمهم ويثبت جهلهم وضلالهم فقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْتَهُمُ اللَّهُ أَنَّى

اختصاص، وحينئذ فأخذ الأمرين لازم إما أن يكون اثنين لله سبحانه أو لا يكون واحد منهما ابناً له والأول منتف بإجماع العقلاء، فتعين الثاني بل في هذا الكلام لفظ بكري.

والبكر أول الأولاد فتكون بنوة إسرائيل قبل بنوة عيسى، مع أن عيسى عندهم ابن أزلي قبل وجود إسرائيل وغيره.

السؤال على القراءة السادسة

كيف يحسن أن يقال: سوف ترى ما أفعله بفرعون لأنه سيرسلهم بيد عزيزة وذراع رفيعة يخرجهم من أرضه^(١).

يُؤَفِّكُونَ ﴿ [التوبة: ١٠] المرجع السابق ص ٥٨١.

(١) قال محمد بن إسحاق: رجع عدو الله فرعون حين آمنت السحرة مغلوباً مغلولاً، ثم أبى لإقامة على الكفر والتمادي في الشر، فتابع الله عليه بالآيات فأخذ بالسنين فأرسل عليه الطوفان، ثم الجراد، ثم القمل، ثم الضفادع ثم الدم آيات مفصلات فأرسل الطوفان وهو الماء ففاض على وجه الأرض، ثم ركذ لا يقدر على أن يخرجوا ولا أن يعملوا شيئاً حتى جهدوا جوعاً، فلما بلغهم ذلك: ﴿ قَالُوا يَمْؤُوسَى آدَعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الأعراف: ١٣٤]، فدعا موسى ربه فكشفه عنهم فلما لم يفوا له بشيء فأرسل الله عليهم الجراد فأكل الشجر فيما بلغني حتى أن كان ليأكل مسامير الأبواب من الحديد حتى تقع دورهم ومسكنهم فقالوا مثل ما قالوا فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا، فأرسل الله عليهم القمل فذكر لي أن موسى عليه السلام أمر أن يمشي إلى كتيب حتى يضربه بعصاه فمشى إلى كتيب أهيل عظيم فضربه بها فانثال عليهم قملاً حتى غلب على البيوت والأطعمة ومنعهم النوم والقرار، فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا له فدعا ربه فكشف عنهم فلما لم يفوا له بشيء مما قالوا أرسل الله عليهم الضفادع، فملأت البيوت والأطعمة والآنية فلم يكشف أحد ثوباً ولا طعاماً إلا وجد فيه الضفادع قد غلب عليه، فما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا بشيء منه مما قالوا فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياه آل فرعون دماً لا يستقون من بئر ولا نهر ولا يغترفون من إناء إلا عاد دماً عيطاً وقال زيد بن أسلم المراد بالدم: الرعاف رواه ابن أبي حاتم، قال الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرَّجْزُ قَالُوا يَمْؤُوسَى آدَعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرَّجْزَ إِلَىٰ آجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴾ ﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِآيِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٤-١٣٦]. البداية والنهاية لابن كثير (٢٩٣/١).

مع أنه قال عقيبه: قل لبني إسرائيل إني أنا الرب وأنا أخرجكم من تجبر المصريين، وأخلصكم من العبودية، وأنقذكم بذرار رفيعة، وحكم عظيم وأبقيكم لي شعباً، وأكون لكم إلهاً، فإنهما كلامان ظاهرهما التناقض، لأن الأول مقتضاه أن فرعون هو المخرج لهم بذرار رفيعة. والثاني: مقتضاه أن الله سبحانه هو المخرج لهم بذرار رفيعة.

وأيضاً فإن قوله: وأكون لكم إلهاً بلفظ الفعل المستقبل المعطوف على أخرجكم المستقبل كيف يحسن مع أن الله سبحانه وتعالى هو إلههم في الحال وفي الماضي.

السؤال على القراءة السابعة

كيف يحسن أن يقال: فقال الرب لموسى: قد أعطيتك أن تكون إلهاً لفرعون، وهارون أخوك يكون لك نبياً^(١).

فإن موسى ليس بإله بإجماع العقلاء، لا لفرعون ولا لغيره، واليهود والنصارى يسلمون بذلك بل الإلهية ثبوتها للبشر ممتنع ببديهة العقل^(٢) وأيضاً فإن هارون يمتنع أن

(١) قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾ [مریم: ٥٣] أي وأجبنا سؤاله وشفاعه في أخيه فجعلناه نبياً كما قال في الآية الأخرى: ﴿ وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْنَاهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ [الفصص: ٣٤]، وقال: ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴾ [طه: ٣٦]، وقال: ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَى هَارُونَ ﴿ ١٣ ﴾ وَهَمَّ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ [الشعراء: ١٣-١٤] ولهذا قال بعض السلف ما شفع أحد في أخذ شفاعه في الدنيا أعظم من شفاعه موسى في هارون أن يكون نبياً قال الله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾ [مریم: ٥٣]، تفسير ابن كثير (١٢٩/٣).

(٢) قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَغِينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩]، قال ابن كثير: أي ما ينبغي لبشر آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة أن يقول للناس اعبدوني من دون الله أي مع الله، فإذا كان هذا لا يصلح لني ولا لمرسل فلأن لا يصلح لأحد من الناس غيرهم بطريق الأولى والأخرى، ولهذا قال الحسن البصري: لا ينبغي هذا لمؤمن أن يأمر الناس بعبادته قال: ذلك أن القوم كان يعبد بعضهم بعضاً يعني أهل الكتاب كانوا يعبدون أحبارهم ورهبانهم كما قال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٩]، وفي المسند والترمذي أن عدي بن حاتم قال: يا رسول الله ما عبدوهم؟ قال: «بلى إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم فذلك عبادتهم لإياهم».

يكون نبياً لموسى بل الممكن أن يكون نبياً لله سبحانه وتعالى.

السؤال على القراءة الثامنة

كيف يحسن أن يقال: وقال موسى لفرعون: هذا ما يقوله الرب إن في نصف هذه الليلة أنا أدخل في وسط مصر، ضرب كل بكر في أرض مصر من بكر فرعون الذي يجلس على الكرسي إلى بكر العبد التي تجلس عند الرحي. فإن الرب سبحانه وتعالى منزه عن الدخول في وسط مصر، فإن هذه صفة الأجساد، وهم والنصارى وإن قالوا بتجسد عيسى لا يمكنهم أن يقولوا بتجسد الرب سبحانه وتعالى.

وأيضاً فكيف يحسن أن يقال: والرب قسى قلب فرعون، فإن الله مراده هداية عباده لا ضلالهم. (١)

فإن قيل قسأه ليكثر الآيات فيراها الناس فيؤمنون، قلنا: وكيف يحسن أن يضل شخص ليهتدي غيره. إنهم بعد تقسيته رأوا الآيات وكفروا.

السؤال على القراءة التاسعة

كيف يحسن أن يقال: ويكون الدم علامة على البيوت التي أنتم تسكنونها، فأرى الدم وأعطي عليكم فلا يكون فيكم ضربة ولا كسر (٢).

فالجهلة من الأحبار والرهبان ومشايخ الضلال يدخلون في هذا الدم والتوبيخ بخلاف الرسل وأتباعهم من العلماء العاملين فإنهم إنما يأمرون بما يأمر الله به وبلغتهم إياه رسله الكرام، وإنما ينهونهم عما نهاهم الله عنه وبلغتهم إياه رسله الكرام. تفسير ابن كثير (١/١٣٧٧).

(١) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا مَخْشَىٰ ۚ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ فَجَنَدَهُ فَجَنَدَهُمْ فِرْعَوْنُ يَجُنُودُهُ فَعَشِيَهُمْ مِّنَ اللَّيْلِ مَا عَشَوْتُمْ ۖ وَأَصْلًا فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ۖ﴾ [طه: ٧٧-٧٩].

(٢) قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ۗ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۚ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ۚ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ۚ﴾ ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ۗ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۚ فَلَمَّا كَشَفْنَا

فإن الرب سبحانه عالم ببيوتهم لا يحتاج إلى علامة عليها. وأيضًا فقوله وأُعطي عليكم لا حاجة إليه. وأيضًا فقوله: وأنا أعبر في أرض مصر، قد تقدم السؤال على نظيره. وأيضًا فأكل الخروف على هذه الصفة من شدة (الحقوين)^(١)، ولبس الأحذية ومسك العصي بعجلة مشويًا، بفطائر (وسراير)^(٢) مما لا يكاد يظهر له معنى. وأيضًا فتعليمهم أن يستعبروا من رفاقهم وجيرانهم أواني الفضة والذهب، وثيابهم ويخونوا أماناتهم فيها مما لا يكاد يقبله قواعد الشرائع.

السؤال على القراءة العاشرة

كيف يحسن أن يقال كما حلف لأبائكم أنه يعطيكم أرضًا تقطر اللبن والعسل^(٣).

عَنَّهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٣٤﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ [الأعراف: ١٣٤-١٣٦].

يخبر تعالى عن كفرهم وعتوهم واستمرارهم على الضلال والجهل والاستكبار عن اتباع آيات الله وتصديق رسله مع ما أيد به من الآيات العظيمة الباهرة، والحجج البليغة القاهرة التي أراهم الله إياها عيانا وجعلها دليلاً وبرهاناً وكلما شهدوا آية وعابوها وجهدهم وأضنكهم حلفوا وعاهدوا موسى لئن كشف عنهم هذه ليؤمنن به وليرسلن معه من هو من حزبه، فكلما رفعت عنهم تلك الآية عادوا إلى شر مما كانوا عليه وأعرضوا عما جاءهم به من الحق ولم يلتفتوا مما كانت قبلها وأقوى فيقولون فيكذبون، ويعدون ولا يفون ﴿لَيْسَ كَشَفْتِ عَنَّا الرِّجْزَ لثَوْمِنَ لَكَ وَلَتُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]، البداية والنهاية (١/ ٢٩٣).

(١) الحقو: هو الخصر، يقال أخذ بحقوه.

(٢) كذا بالأصل وبالنسخة التي بين يدي على أعشاب مرة يأكلونه، وأظنها هنا ومرائر.

(٣) قال تعالى: ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰنَ وَالْأَسْلَوٰى كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُوْنَا وَلٰكِن كَانُوْا أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُوْنَ﴾ [البقرة: ٥٧].

اختلفت عبارات المفسرين في المنّ ما هو؟ فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، كان المن ينزل عليها على الأشجار فيغدون إليه فيأكلون منه ما شاءوا وقال قتادة: كان المن ينزل عليهم في ملهم سقوط الثلج أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل يسقط عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس يأخذ الرجل منهم قدر ما يكفيه يومه ذلك وإذا تعدى ذلك فسد ولم يبق حتى إذا كان يوم سادسه يوم جمعتهم أخذ ما يكفيه ليوم سادسه ويوم سابعه لأنه كان يوم عيد لا يشخص فيه لأمر معيشتهم ولا يطلبه لشيء وهذا كله في البرية، وقال الربيع بن

مع أنه ليس الأراضي المذكورة هنا هذه الصفة، أعني أراضي الكنعانيين وأصحابهم بل هي كغيرها من الأراضي. وأيضًا فلم يتقدم فيما مضى من الوعد بإعطائهم أرض الكنعانيين اشتراط أن يأكلوا فطيرًا حتى يحيل هنا عليه ويقول: ولا تأكلوا خميرًا حتى يدخلكم الله إلى أرض الكنعانيين كما حلف لأبائكم.

السؤال على القراءة الحادية عشر

كيف يحسن أن يقال: وكان الله يسير أمامهم بالنهار بعمود سحب يريهم الطريق، وبعمود نار في الليل، فإن الله سبحانه وتعالى منزه عن السير أمامهم^(١)، وأيضًا

أنس: المن شراب ينزل عليهم مثل العسل فيمزجونه بالماء ثم يشربونه. وأما السلوى فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: السلوى طائر يشبه بالسماي كانوا يأكلون منه، وقال السدي بسنده عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة السلوى طائر يشبه السماي.

وقال ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس قال: السلوى هو السماي، وكذا قال مجاهد والشعبي الضحاك والحسين وعكرمة والربيع بن أنس رحمهم الله، وعن عكرمة: أما السلوى فطير كطير يكون بالجنة أكبر من العصفور أو نحو ذلك. تفسير ابن كثير ٩٥/١، ٩٦.

(١) قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٰ إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ ﴿٦٠﴾ فَأَرْسَلْنَا فِي الْمَدْيَنَ حَشِيرِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٦٣﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّنْ جَنَّتِ وَعِثُونَ ﴿٦٥﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٦٦﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٦٧﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُّشْرِقِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الشعراء: ٥٣-٦٠]

قال علماء التفسير: لما ركب فرعون في جنوده طليًا بني إسرائيل يقفوا أثرهم كان في جيش كثيف عرمرم حتى قيل: كان في خيوله مائة ألف فحل أدهم وكان عدة جنوده تزيد على ألف ألف وستمائة ألف فالله أعلم.

وقيل: إن بني إسرائيل كانوا نحوًا من ستمائة ألف مقاتل غير الذرية وكان بين خروجهم من مصر صحبة موسى عليه السلام ودخولهم إليها صحبة أبيهم إسرائيل أربعمائة سنة وستة وعشرين سنة شمسية، والمقصود أن فرعون لحقهم بالجنود، فأدركهم عند شروق الشمس وتراءى الجمعان، ولم يبق ثم ريب ولا لبس وعان كل من الفريقين صاحبه وتحققه ورآه، ولم يبق إلا المقاتلة والمجادلة والحاماة فعندها قال أصحاب موسى وهم خائفون: ﴿ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ [الشعراء: ٦١] وذلك لأنهم اضطروا في طريقهم إلى البحر فليس لهم طريق ولا محيد إلا سلوكه وخوضه، وهذا ما لا يستطيعه أحد ولا يقدر عليه، وهم في غاية الخوف والذعر فقال لهم الرسول الصادق المصدوق: ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء: ٢٦].

فقد قال بعد ذلك: وارتحل الملك الذي كان يسير قدام بني إسرائيل ومشى خلفهم، وانتزع عمود الغمام من قدام وجههم، ووقف وراءهم. فإن ظاهره، السائر ملك وليس هو الله تعالى فقد تناقض الكلامان.

وأما التسيحة المذكورة أخيراً ففيها من الركافة الظاهرة ما يخيل أن تكون من كلام الله تعالى وأيضاً فإن التوراة نزلت على موسى مخبرة له ولبني إسرائيل فكان إخبار موسى بني إسرائيل بأنهم سبحوا هذه التسيحة كلاماً خالياً عن الفائدة، فإنهم عالمون بأنهم سبحوا بها فيمتنع أن يكون الله أنزل هذه التسيحة في التوراة.

السؤال على القراءة الثانية عشر

كيف يحسن أن يقال: ولقطوا فمنهم من استقل ومنهم من استكثر، فكالوا كيلاً فلم يفضل لمن استكثر، ولم ينقص عمن استقل. كل ما تعط واحد كفاف ما أكل^(١). ثم قال عقيبه: وقال لهم موسى لا تبقوا منه شيئاً إلى الغد. فلم يطيعوا موسى واستفضلوا منه فداد وتن فإنه إذا كان ما لقطه كل واحد كفاف ما أكل لم يفضل منه شيء. فكيف يصح أن يقال استفضلوا منه^(٢)، فهذا تناقض ظاهر.

ثم ذكر ابن كثير ما كان من أمر الله لموسى بضرب البحر بعصاه إلى آخر كلامه. انظر البداية والنهاية لابن كثير (٢٩٨/١).

(١) قال السدي: قالوا يا موسى كيف لنا بما ههنا أين الطعام؟ فأنزل الله عليهم المن، فكان يسقط على شجرة الزنجبيل، وقال قتادة: كان المن ينزل عليهم في محلهم سقوط الثلج أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل يسقط عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس يأخذ الرجل منهم قدر ما يكفيه يومه ذلك فإذا تعدى ذلك فسد، ولم يبق حتى إذا كان يوم سادسه يوم جمعه أخذ ما يكفيه ليوم سادسه ويوم سابعه لأنه كان يوم عيد لا يشخص فيه لأمر معيشته ولا يطلبه لشيء وهذا كله في البرية. تفسير ابن كثير (٩٥/١).

(٢) قال ابن كثير في تفسيره (٩٧/١)، قال وهب بن منبه سألت بنو إسرائيل موسى عليه السلام لحمًا فقال الله لأطعمنهم من أفل لحم يعلم في الأرض فأرسل عليهم ريحاً فأذرت عند مساكنهم السلوى وهو السماني مثل ميل في ميل قيد رمح في السماء فخبثوا للغد فتن اللحم وخنز الخيز، وقال السدي: أنزل عليهم المن فكان ينزل على شجر الزنجبيل والسلوى هو طائر يشبه السماني أكبر منه فكان يأتي أدهم فينظر إلى الطير فإن كان سمياً ذبحه وإلا أرسله، فإذا سن أنه قالوا هذا الطعام فأين الشراب؟ فأمر موسى بضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا فشرب كل سبط من عين فقالوا: هذا الشراب فأين الظل؟ فظل عليهم الغمام، فقالوا: هذا الظل، فأين اللباس؟ فكانت ثيابهم تطول معهم كما تطول الصبيان ولا يتحرق لهم

وأيضًا فقوله: ودعا بنو إسرائيل اسمه المن وكان لونه أبيض مثل حب الكزبرة، وكان طعمه مثل الشهد. وكان تشبيه لونه بحب الكزبرة من أعجب التشبيهات بل صوابه ما تقدم أنه مثل الجليد، وأيضًا فقوله: وكان إذا رفع موسى يديه تغلب بنو إسرائيل، وإذا خفض يديه تغلب العمالقة، فتعبت يدا موسى، فأخذ حجارة ووضعها وجلس عليها، وهارون وخور يدعمان يديه واحد من ههنا وواحد من ههنا، وكانت يدها مرتفعتين إلى أن غربت الشمس وأهلك يشوع عماليق وقومه بحد السلاح. فإن رفع يدي موسى هكذا إلى أن تعبت ودعمها برجلين حتى يبقى كأنه مصلوب^(١).

هذا مما تكاد لا تقبله العقول، فإن النصر من عند الله. فإن كان ثم دعاء إلى الله تعالى أوهمه، فنعم وأما هذه الصورة المنكرة، فلا، وكان الشعب يقومون عند رأس موسى من حين يصبحون إلى حين يمسون مما لا وجه له كما أنكره حمو موسى^(٢).

ثوب فذلك قوله تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَى ﴾ [البقرة: ٥٧]، وقوله: ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [البقرة: ٦٠].

(١) قال ابن كثير: ذكرنا نكول بني إسرائيل عن قتال الجبارين، وأن الله تعالى عاقبهم بالتيه وحكم بأنهم لا يخرجون منه إلى أربعين سنة، ولم أر في كتاب أهل الكتاب قصة نكولهم عن قتال الجبارين، ولكن فيها أن يوشع جهزه موسى لقتال طائفة من الكفار، وأن موسى وهارون وخور جلسوا على رأس أكمة، ورفع موسى عصاه فكلما رفعها انتصر يوشع عليهم. وكلما مالت يدها من تعب أو نحوه غلبهم أولئك وجعل هارون وخور يدعمان يديه عن يمينه وشماله ذلك اليوم إلى غروب الشمس فانتصر حزب يوشع عليه السلام. البداية والنهاية (٣٠٧/١).

(٢) هو يثرون كاهن مدين بلغه ما كان من أمر موسى وكيف أظفره الله ببعده فرعون فقدم على موسى مسلمًا ومعه ابنته صفورا زوجة موسى وابناها منه جرشون وعازر، فتلقاه موسى وأكرمه واجتمع به شيوخ بني إسرائيل وعظموه وأجلوه، وذكروا أنه رأى كثرة اجتماع بني إسرائيل على موسى في الخصومات التي تقع بينهم فأشار على موسى أن يجعل على الناس رجالًا أمناء أتقياء أعفاء يبعضون الرشاء والخيانة فيجعلهم على الناس رعوس ألوف، ورعوس ماتين ورعوس خمسين ورعوس عشرة فيفضوا بين الناس، فإذا أشكل عليهم جاءك ففصلت بينهم ما أشكل عليهم ففعل ذلك موسى عليه السلام، قالوا: ودخل بنو إسرائيل البرية عند سيناء في

وأما عذره بأنه إذا كان لهم مسألة يأتوني فأقضي بين الرجل وبين صاحبه، فمسلم ولكنه لا يقع، فالمسألة والنزاع بين كل رجل منهم وبين صاحبه هذا مما لا يكون أصلاً.

وأما رأي حمو موسى في مشورته عليه أن يقيم رعوس الآلاف، ورعوس مائتين، ورعوس عشرات من بني إسرائيل للتحاكم في الأمور السهلة، فصواب ولا نظن أنه يخفى على موسى.

السؤال على القراءة الثالثة عشر

كيف يحسن أن يقال موسى يتكلم مع الله، والله يجيبه بالصوت (١).

وهبط الله في الغمام على طور سيناء إلى رأس الجبل، ودعا الله موسى إلى أعلى الجبل يصعد إليه، فإن الله منزه عن الصوت، وعن الهبوط فإنهما من صفات الأجساد

الشهر الثالث من خروجهم من مصر وكان خروجهم في أول السنة التي شرعت لهم وهي أول فصل الربيع فكأنهم دخلوا التيه في أول فصل الصيف والله أعلم (البداية والنهاية ٣٠٨/١).

(١) عندهم في كتاب التوراة أن بني إسرائيل سمعوا كلام الله ولم يفهموه حتى فهمهم موسى وجعلوا يقولون لموسى: بلغنا أنت عن الرب عز وجل، فإننا نخاف أن نموت فبلغهم عنه فقال: هذه العشر الكلمات وهي الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له والنهي عن الخلف بالله كاذباً، والأمر بالمحافظة على السبت ومعناه تفرغ يوم من الأسبوع للعبادة وهذا حاصل بيوم الجمعة الذي نسخ الله به السبت أكرم أبائكم وأممكم ليطول عمركم في الأرض الذي يعطيك الله ربك لا تقتل، لا تزني، لا تسرق لا تشهد على صاحبك شهادة زور، لا تمد عينيك إلى بيت صاحبك ولا تشته امرأة صاحبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً من الذي لصاحبك، ومعناه النهي عن الحسد، وقد قال كثير من علماء السلف وغيرهم مضمون هذه العشر الكلمات في آيتين من القرآن وهما قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ رَبِّ إِمْلَأْنِي نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَنَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالْيَقِينِ هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلِفْ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَنَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَنَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣] المرجع السابق (١/٣٠٨-٣٠٩).

عندنا. والله عند اليهود (وقت)^(١)، إذ ليس بمتجسد، وعند النصارى ليس بمتجسد، بل المتجسد الابن عندهم.

وأيضاً فقوله في الكلمة الأولى من العشر كلمات لا يتخذ صورة ولا تماثيل، ما في السماء من فوق وما في الأرض من أسفل، وما في الماء من تحت الأرض. ولا تسجد لمن ولا تعبدن، إني أنا ربك الغيور تصريح بتحريم اتخاذ الصورة^(٢) والسجود لها.

وأيضاً فقوله في الكلمة الثالثة: فاستراح في اليوم السابع مشكل، فإن الله سبحانه وقت إذ منزّه عن الاستراحة لعدم تجسده حينئذ باتفاق الشرائع.

(وجد في هذا الموضع حاشية مخرجة عليها (جلا)^(٣) وهي حاشية لطيفة، ولم يوجد لها موضع تخريج وفيها شيء مطموس منع ارتباطها بالأصل)^(٤).

وأيضاً فقوله بعد الكلمة العاشرة، وكان جميع الشعب يسمعون الصوت، متناقض. مع قوله عقيبه، وقالوا لموسى: كلمنا لنسمع، ولا يكلمنا الله فنموت، لأنهم

(١) كذا بالأصل.

(٢) قال النووي: قال أصحابنا وغيرهم من العلماء تصوير صورة الحيوان حرام شديد التحريم وهو من الكبائر لأنه متوعد عليه بهذا الوعيد الشديد المذكور في الأحاديث وسواء صنعه بما يمتن أو غيره فصنعه حرام بكل حال لأن فيه مضادها لخلق الله تعالى وسواء ما كان في ثوب أو بساط أو درهم أو دينار أو فلس أو إناء أو حائط أو غيرها وأما تصوير صورة الشجر ورحال الإبل وغير ذلك مما ليس فيه صورة حيوان فليس يحرام، هذا حكم نفس التصوير، وأما اتخاذ المصور فيه صورة حيوان فإن كان معلقاً على حائط أو ثوباً ملبوساً أو عمامة ونحو ذلك مما لا يعد ممتناً فهو حرام، وإن كان في بساط يداس ومخدة ووسادة ونحوها مما يمتن فليس بحرام، ولكن هل يمنع دخول ملائكة الرحمة ذلك البيت فيه كلام، ولا فرق في هذا كله بين ما له ظل وما لا ظل له هذا تلخيص مذهبنا في المسألة وبمعناه قال جماهير العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وهو مذهب الثوري ومالك وأبي حنيفة وغيرهم، وقال بعض السلف، إنما يُنهى عما كان له ظل ولا بأس بالصورة التي ليس لها ظل وهذا مذهب باطل فإن الستر الذي أنكر النبي ﷺ الصورة فيه لا يشك أحد أنه مذموم وليس لصورته ظل مع باقي الأحاديث المطلقة في كل صورة. (النووي في شرح مسلم ٧٠/١٤)، طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) كلمة غير واضحة بالأصل.

(٤) وجدناها بالهامش.

إذا سمعوا جميعهم صوته سبحانه ولم يموتوا. فكيف يقولون ولا يكلمنا الله فنموت، فحاصله أن سماع كلام الله يوجب الموت ولا يوجبه. وأيضًا فقولته عقيبه: ودنا موسى من الضباب الذي فيه الله مشكل، فإنه سبحانه منزه عن ذلك كما تقدم.

السؤال على القراءة الرابعة عشر

كيف يحسن أن يقال: وقال الله لموسى هكذا قل لبني إسرائيل إنكم قد رأيتم أئني كلمتكم من السماء^(١).

فإن هذا متناقض كما تقدم من وجوه:

أحدها: أنه تقدم أنه سبحانه وتعالى لم يكلمهم بل كلم موسى فقالوا لموسى كلمنا لنسمع ولا يكلمنا الله فنموت.

وثانيها: أنه سبحانه لم يكلمهم ولا كلم موسى من السماء. بل تقدم أنه هبط على طور سيناء، وتكلم منه لا من السماء.

(١) قال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأعراف: ١٤٢، ١٤٣]

قال ابن كثير، فلما عزم على الذهاب استخلف على شعب بني إسرائيل أخاه هارون المحب المبجل الجليل وهو ابن أمه وأبيه ووزيره في الدعوة إلى مصطفية فوصاه وأمره وليس في هذا لعلو منزلته في ثبوته منافاة قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، أي في الوقت الذي أمر بالحيء فيه: ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ أي كلمه الله من وراء حجاب إلا أنه أسعه الخطاب فناداه وناجاه وقربه وأدناه، وهذا مقام رفيع ومعقل منيع ومنصب شريف ومنزل منيف فصلوات الله عليه تترى وسلامه عليه في الدنيا والأخرى، ولما أعطي هذه المنزلة العلية والمرتبة السنية وسمع الخطاب سأل رفع الحجاب فقال للعظيم الذي لا تدركه الأبصار القوي البرهان ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قَالَ لَنْ تَرِنِي ﴿ثم بين تعالى أنه لا يستطيع أن يثبت عند تجليه تبارك وتعالى لأن الجبل الذي هو أقوى وأكبر ذاتًا وأشد ثباتًا من الإنسان لا يثبت عند التجلي من الرحمن ولهذا قال ﴿وَلَنْ كِنِ أَنْظُرَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي﴾ .

البداية والنهاية (١/٣١١).

وثالثها: أنه كونه يكلمهم أو يكلم موسى يسمع بالأذن لا يرى بالعين وأيضاً فقوله: وإن ارتهنت ثوب صاحبك فردّه إليه قبل أن تغيب الشمس، مشكل، لأنه إن أريد بالثوب مع بقاء الدين ضاعت مصلحة المرتهن، وإن أريد ردّه مع وفاء الدين قبل الغروب عجز عنه الراهن، إن كان تصرف في الدين وفاتت المصلحة.

السؤال على القراءة الخامسة عشر

الأمر أن يعمل هذه القبة^(١) على هذه الهيئة، يعني قبة الزمان، مما يتنزّه عنه الإله سبحانه وتعالى ولا سيما وقد قال وأكلمك من فوق الغشاء من بين الكاروبيين الذين فوق تابوت الشهادة فقال: وكلم الرب موسى وقال له: قل لبني إسرائيل فليختصروا لي من كل رجل ما نوى في قلبه، فلأتمها خاصة لله، وهذه الخاصة التي يأخذون منهم ذهباً وفضة وصبغاً أخضر وأرجواناً وغزل كتان وشعر الغنم وجلود الكباش، وخشب الشمشار، ودهن السرج وطيب المسح، وبخورة الدخنة، وحجارة البلور والحجارة الجياد المدرعة والرداء.

(١) قال ابن كثير بعد أن ذكر ما قاله أهل الكتاب في كتبهم بمثل ما ذكره المصنف وقد بسط هذا الفصل في كتابهم مطولاً جداً وفيه شرائع لهم وأحكام وصفة قربانهم وكيفيته وفيه أن قبة الزمان كانت موجودة قبل عبادتهم العجل الذي هو متقدم على مجيئهم بيت المقدس وأنها كانت لهم كالكعبة يصلون فيها وإليها ويتقربون عندها وأن موسى ﷺ كان إذا دخلها يقفون عندها وينزل عمود الغمام على بابها فيخرون عند ذلك سجداً لله عز وجل ويكلم الله موسى ﷺ من ذلك العمود الغمام الذي هو نور ويخطبه ويناجيه ويأمره وينهاه وهو واقف عند التابوت صامداً إلى ما بين الكروبيين، فإذا فصل الخطاب يخبر بني إسرائيل بما أوحاه الله عز وجل إليه من الأوامر والنواهي، وإذا تحاكموا إليه في شيء ليس عنده من الله فيه شيء يجرى إلى قبة الزمان ويقف عند التابوت ويصمد لما بين ذينك الكروبيين فيأتيه الخطاب بما فيه فصل تلك الحكومة وقد كان هذا مشروعاً لهم في زمانهم أعني استعمال الذهب والحرير المصبغ واللاكي في معبدهم وعند مصلاهم، فأما ما في شريعتنا فلا، بل قد نهينا عن زخرفة المساجد وتزيينها لثلاث تشغل المصلين كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما وسع في مسجد رسول الله ﷺ الذي وكله على عمارته: «ابن للناس ما يكنهم وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس» وقال ابن عباس لا تزخرفها كما زخرفت اليهود والنصارى كئناسهم، وهذا من باب التشريف والتكريم والتنزيه فهذه الأمة غير مشابهة من كان قبلهم من الأمم إذ جمع الله هبهم في صلاتهم على التوجه إليه والإقبال عليه، وصان أبصارهم وخواطهم عن الاشتغال والتفكر في غير ما هم بصدده من العبادة العظيمة فلله الحمد والمنة. البداية والنهاية (١/٣٣٦، ٣٣٧).

وليصنعوا لي مقدساً وأحل بينهم، وأنظر إلى كل شيء أريتك من مثال القبة وأبنتها، فليصنعوا كذلك وليصنعوا تابوتاً من خشب الشمشار طول ذراعين ونصف. وفي نسخة ذراعان ونصف، واطله بذهب خالص من خارجه ومن داخله، واصنع له إكليلاً من ذهب يحوط به. واصنع له أربع حلق من ذهب في أربعة جوانبه من هذا الجانب حلقتين، ومن الجانب الآخر حلقتين^(١).

واصنع عمودين شبه الرمان من خشب الشمشار واطلهم بالذهب، وادخل الرمان في الحلق على جانبي التابوت، وحمل مهم التابوت، وليكن الرمان في حلق التابوت لا يبارحها، وتجعل في التابوت الشهادة التي أعطيتك.

ويصنع موضع غفران من ذهب نقي طوله ذراعين ونصف، وعرضه ذراع ونصف.. واصنع كاروبين من ذهب سبك وتحملهما على كلا جانبي موضع الغفران الغشاء واصنع الكاروبين، أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله، ولتكن أجنحة الكاروبين مبسوطة من فوق، ويسترون على موضع الغفران الذي هو الغشاء بأجنحتها، ووجهاها متقابلين بعضها إلى بعض.

وضع الغشاء على التابوت^(٢)، من فوق وضع التابوت الشهادة، كما أوصيتك

(١) كانت قبة الزمان هذه مع بني إسرائيل في التيه يصلون إليه وهي قبلتهم وكعبتهم وإمامهم كليم الله موسى ﷺ، ومقدم القربان أخوه هارون الكهنة، فلما مات هارون ثم موسى عليهما السلام استمر بنو هارون في الذي كان يليه أبوهم من أمر القربان وهو فيهم إلى الآن وقام بأعباء النبوة بعد موسى وتديبير الأمر بعده فتاه يوشع بن نون الكهنة وهو الذي دخل بيت المقدس، ولما استقرت يده على بيت المقدس نصب هذه القبة على صخرة بيت المقدس، فكانوا يصلون إليها فلما بادت صلوا إلى محلها وهي الصخرة، فلماذا كانت قبلة الأنبياء بعده إلى زمان رسول الله ﷺ وقد صلى إليها رسول الله ﷺ قبل الهجرة، وكان يجعل الكعبة بين يديه، فلما هاجر أمر بالصلاة إلى بيت المقدس، فصلى إليها ستة عشر، وقيل سبعة عشر شهراً، ثم حولت القبلة إلى الكعبة وهي قبلة إبراهيم في شعبان سنة ثنتين في وقت صلاة العصر، وقبل الظهر. البداية والنهاية (١/٣٣٧).

(٢) هو والله أعلم المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ إِنَّ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٨] عن ابن عباس: جاءت الملائكة تحمل التابوت بين السماء والأرض حتى وضعته بين يدي طالوت والناس ينظرون، وقال

على بني إسرائيل، وأهل الشهادة التي أعطيتك في التابوت، وأترأى لك، وأكلمك من فوق الغشاء من بين الكاروبيين الذين فوق تابوت الشهادة.

وكل شيء أوصيك يعملوا بني إسرائيل، واصنع مائدة من خشب الشمشار، طولها ذراعين وعرضها ذراع، وارتفاعها ذراع ونصف واجعل ضباطها من ذهب خالص. واصنع لها إكليلاً من ذهب إلى غير ذلك من التطويلات في السرقة والاشتغال بزخارف الدنيا الفانية الشاغلة عن الله تعالى^(١).

السؤال على القراءة السادسة عشر

إن تكليف موسى أن يتخذ لهارون لباس القدس على الهيئة المذكورة، ينزه عنه

السدي: أصبح التابوت في دار طالوت فأمنوا بنبوة شعون وأطاعوا طالوت. انظر تفسير ابن كثير (٣٠١/١).

(١) كان خروج بني إسرائيل من مصر حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وبعد أن رأوا غرق فرعون بأعينهم سار بهم موسى ﷺ إلى أرض فلسطين بالشام، مؤملاً أن يصبحوا أمة قوية بإيمانها، وصالح أعمالها، فقد ترتب على خروجهم من مصر وهلاك فرعون أمام أعينهم أن أصبحوا أحراراً في شعوبهم وأحوالهم بعد أن كانوا يذوقون في مصر سوء العذاب على أيدي فرعون وجنده، يقول صاحب تاريخ الإسرائيليين وقد كان تاريخهم إلى وقت خروجهم من مصر، تاريخ أسرة صغيرة أخذت تنمو وتزداد حتى صارت قبيلة كبيرة لا كيان لها ولا حكومة منها، ولا شارع أو وازع فيها ينظر في أمورها، ويرد قوتها عن ضعيفها، متفرقة في أرض مصر عرضة للعبودية والسخرة والاستبداد والإهانة، أما بعد الخروج فإنهم تألفوا شعباً واحداً وأمة واحدة لها قائدها من بنيها، وجيش يقوم على حمايتها وحاكم يتولى أمورها وشؤونها وأخذت تبدو فيها صفات الأمة المستقلة فإنها لم تكذب تغادر مصر حتى بدأ الشارع في سن النواميس والقوانين، والشرائع الدينية والأدبية والمدنية، كما تكون في الأمة المستقلة القائمة بنفسها وعليه فتاريخ الإسرائيليين لا يتبدئ إلا بعد خروجهم من مصر، وتاريخهم هذا يستغرق قرناً عديدة، اتفق لهم من خلالها كثير من الحوادث العادية من حروب وتقدم وانحطاط.

ولكن بني إسرائيل لم يقدروا نعمة الحرية ولم يشكروا الله على إنجائهم لهم من عدوهم ولم يطيعوا نبيهم موسى ﷺ الذي جاء لهدايتهم وإصلاحهم والدفاع عنهم، بل آذوه إيذاء شديداً، وهذه بعض القبائح التي صدرت عنهم وهم في طريقهم معه إلى أرض الشام، ثم ذكر ما حدث منهم من سردهم على موسى وهارون عليهما السلام، وطلبهم عبادة العجل وما فعلوه بعد ذهاب موسى إلى الطور فانتهزوا لين جانب هارون عليه السلام فعبدوا عجلاً جسداً له خوار صنعه لهم السامري. انظر بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ٢٧، ٢٨، وتاريخ الإسرائيليين لشاهين مكاريوس (ص ١٥).

الإله سبحانه وتعالى فقال: واتخذ هارون أخيك لباس القدس للكرامة والمجد. وأنت فأمر جميع حكماء القلوب الذين ملأهم روح الحكمة والفهم فعملوا هارون لباس القدس والتقديس وليكهن لي. وهذا اللباس الذي يعملونه سراويل وجبة ورداء وسربال من كتان وعمامة ومنطقة، فعملوا لباس القدس لأخيك هارون وبنيه ليكهنوا لي وليأخذوا من الذهب والخز والأرجوان وصبغ القرمز وغزل الكتان، فعملوا ذراعه الدمقسي^(١) من ذهب وخز وأرجوان وصبغ قرمز، وغزل كتان، عمل صانع حاذق. وليكن أكمامها ملتصقين من جانبيها، ولتصف منطقة الجبة عليها، ولتكن المنطقة منسوجة منها على عملها من ذهب وخز وأرجوان وصبغ القرمز وغزل الكتان.

وخذ حجرين (بلوزا)^(٢) انقش عليهما أسماء بني إسرائيل^(٣)، وانقش على فص واحد ستة أسماء، والستة الأسماء الباقية انقشها على الفص الآخر، كنسبهم وأفخاذهم،

(١) الدمقس: الحرير، دمقس الثوب: نسجه بالدمقس فهو مدمقس.

(٢) كذا بالأصل والنسخة التي بين أيدينا من حشب اللوز.

(٣) خلال سير موسى بقومه في صحراء سيناء إلى بلاد الشام واعد الله موسى أن يعطيه التوراة لتكون هدى لبني إسرائيل بعد أربعين يوماً يصومها، فلما حل الموعد ترك موسى بني إسرائيل مستخلفاً عليهم أخاه هارون وذهب إلى الطور لتلقي التوراة، وقد حكى القرآن الكريم عنهم ذلك فقال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢] قال الإمام ابن كثير: يقول تعالى ممثلاً على بني إسرائيل بما حصل لهم من الهداية بتكليمه موسى ﷺ وإعطائه التوراة وفيها أحكامهم وتفصيل شرعهم فذكر تعالى أنه واعد موسى ثلاثين ليلة، قال المفسرون: فصامها موسى ﷺ فلما تم الميقات استاك إذا دخلوا إلى قبة الشهادة فيغسلوا أيديهم وأقدامهم أربعين.

وقد اختلف المفسرون في هذه العشر ما هي؟ فالأكثر على أن الثلاثين هي ذو القعدة والعشر: عشر ذي الحجة، قاله مجاهد ومسروق وابن جريج.

وروي عن ابن عباس وغيره، فعلى هذا يكون قد كمل ميقات يوم النحر وحصل فيه التكليم لموسى ﷺ، فلما تم الميقات وعزم موسى على الذهاب إلى الطور كما قال تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَجِيتُكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدَنَّاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى﴾ [طه: ٨٠]، فحينئذ استخلف موسى على بني إسرائيل أخاه هارون ووصاه بالإصلاح وعدم الإفساد، وهذا تنبيه وتذكير، وإلا فهارون ﷺ نبي شريف كريم على الله له وجاهة وصلوات الله عليه وعلى سائر الأنبياء. تفسير ابن كثير (٢/٢٤٣).

عمل نقاش حاذق، فيكونا منقوشين كنقش الخاتم وانقش على الفصين أسماء بني إسرائيل فيكونا مغلفين بحلق من ذهب، وصير الفصين على مناكب الجبة. إلى غير ذلك من السرف وأنواع الزخرفة الشاغلة عن الحق سبحانه إلى أن قال: وصب فيها ماء فيغسل منها هارون وبنيه أيديهم وأقدامهم بلحاء شجرة فأمره الله تعالى أن يكمل بعشر لكيلا يموتوا مع أن الغسل لا يمنع عنهم الموت.

السؤال على القراءة السابعة عشر

كيف يحسن أن يقال: وأعطى لموسى لما فرغ من كلامه لهم من طور سيناء لוחي الشهادة لوحين من حجارة مكتوب عليها بأصبع الله، مع أن الله سبحانه وتعالى عند اليهود والمحققين من المسلمين منزّه عن الأصبع وسائر الجوارح وسيذكر بعده أن اللوحين من عمل الله، وخط الله مكتوب عليها، وأيضاً فإن الحجارة لا تنزل من السماء، بل الأنبياء تتلقى الوحي من الله سبحانه أو من الملك أو في المنام أو بالإلهام^(١) وأيضاً فإنه قال عقيبه: فنزع الشعب الأقرطة التي في آذانهم، فأتوا بها إلى هارون فأخذ هارون ذلك فصور منه تمثالاً، وعمل منه عاجلاً مفرغاً مصبوباً. وكيف يليق بهارون عليه السلام أن يصور عاجلاً من ذهب تتخذه بنو إسرائيل إلهاً فإن هذا كفر^(٢)، وأن الأنبياء

(١) قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥١].

هذه هي مقدمات الوحي بالنسبة إلى جناب الله عز وجل وهو أنه تبارك وتعالى تارة يقذف في روع النبي ﷺ شيئاً لا يتماهى فيه أنه من الله عز وجل ﴿ أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ ﴾ [الشورى: ٥١]، كما كلم موسى عليه السلام فإنه سأل الرؤية بعد التكلم فحجب عنها، ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ [الشورى: ٥١] كما ينزل جبريل عليه السلام وغيره من الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. تفسير ابن كثير (٤/١٢٢).

(٢) لقد حصل منهم أنهم انتهزوا لين جانب هارون عليه السلام معهم فعبدوا عاجلاً جسداً له حوار، صنعه لهم السامري من حلي نسائهم التي استعاروها من قبط مصر، وحاول هارون أن يصددهم عما تردوا فيه من ضلال وكفر، ولكنهم أعرضوا عنه قائلين كما حكى القرآن الكريم عنهم في سورة طه: ﴿ لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ [طه: ٩١] فلما اشتد عليهم في النهي عن عبادة العجل تطاولوا عليه وكادوا يقتلونه.

وأعلم الله تعالى موسى عليه السلام أن قومه قد فتنهم السامري بعبادة العجل فعاد إليهم مغضباً حزيناً وأخذ يوبخهم بقوارص الكلم وينذرهم بسوء المصير فاعتذروا إليه بأن السامري هو

معصومون عنه وأيضًا فإنه قال: فقال لهم موسى: هكذا يقول الرب إله إسرائيل: ليتقلد المرء منكم سيفه وجوزوا من باب إلى باب، وحرفوا العسكر وليقتل المرء منكم أخاه وصاحبه وقريبه. فصنع بنو لاوي كما أمرهم موسى فقتل من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل.

وأين هذا من قوله فيما تقدم لا يشتد غضبك يارب على شعبك الذي أخرجتهم من مصر بقوتك العظيمة وبذراعك العالية الرفيعة ولا يقول أهل مصر إنك إنما أخرجتهم لهلاكهم لتقتلهم بين الجبال، ولتستأصل ساعتهم. وأين هذا أيضًا من قوله فيما يأتي: إن أنت غفرت لهم خطاياهم، وإلا محاني من سفرك الذي كتبت. ما أراد إلا يناقض ما تقدم وما يأتي.

السؤال على القراءة الثامنة عشر

كيف يحسن أن يقال: قال الرب لموسى اصعد فانطلق من ههنا أنت وشعبك الذي أخرجتهم من أرض مصر^(١) إلى الأرض التي أقسمت لها لإبراهيم وإسحاق

الذي أضلهم، وظن موسى عليه السلام أن أخاه هارون قد قصر معهم فعاتبه ولامه على ذلك فأخبره عن عبادة غير الله، ولكنهم لم يستجيبوا له بل آذوه وكادوا يقتلونه، ثم صب موسى الطين على العجل وأحرق العجل وألقى تراه في البحر وأثبت للجميع أن المستحق للعبادة إنما هو الله تعالى، وأوحى الله تعالى إلى موسى بعد ذلك أن توبة عابدي العجل من قومه لن تكون مقبولة منهم، إلا بقتلهم لأنفسهم قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِلَهُكُمْ أَنْظَرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ يَأْتِيَكُمْ الْعِجْلُ فَتُؤْتُونَ إِلِيَّ بَارِيكُمْ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٧]، (انظر بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ٢٩، ٣٠).

(١) قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِلَهُكُمْ أَنْظَرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ يَأْتِيَكُمْ الْعِجْلُ فَتُؤْتُونَ إِلِيَّ بَارِيكُمْ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٧]، (انظر بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ٢٩، ٣٠).

(١) قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِلَهُكُمْ أَنْظَرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ يَأْتِيَكُمْ الْعِجْلُ فَتُؤْتُونَ إِلِيَّ بَارِيكُمْ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٧]، (انظر بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ٢٩، ٣٠).

(١) قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِلَهُكُمْ أَنْظَرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ يَأْتِيَكُمْ الْعِجْلُ فَتُؤْتُونَ إِلِيَّ بَارِيكُمْ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٧]، (انظر بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ٢٩، ٣٠).

ويعقوب، ووعدهم أن أعطيها نسلهم من بعدهم، فأرسل ملكي بين يديك، فيقتل ويبيد الكنعانيين.

ثم قال: لأني أصعد معكم لأنكم شعب قاسية قلوبكم، فلعل غضبي أن يشتد عليكم فأقتلكم في الطريق.

ثم قال عقيبه: فقال الرب لموسى: قل لبني إسرائيل إنكم قوم قاسية قلوبكم، فإن صعدت معكم ساعة واحدة استأصلتكم وأيدتكم^(١).

فإن هذا مشكل من وجوه: أما أولاً: فلأنه يقتضي صحة الصعود، ومعهم إلى أرض كنعان، وهي من خواص الأجسام، والله سبحانه منزه عن ذلك. واليهود يسلمون تنزهه عنه.

وأما ثانياً: فلأنه يوهم إذا صعدهم معهم (...) (٢) على خطاياهم الناتجة عن قساوة قلوبهم فيعاقبهم بقساوتهم، فترك الصعود كيلا يطلع عليها فلا يعاقبهم، والله سبحانه وتعالى

وَيَبِّئُ الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿ [المائدة: ٢٠-٢٥].

(١) في نكول بني إسرائيل عن الجهاد، قال في البداية والنهاية (٣٠٥/١) يذكرهم نبي الله نعمة الله عليهم وإحسانه عليهم بالنعم الدينية والدنيوية ويأمرهم بالجهاد في سبيل الله ومقاتلة أعدائه فقال: ﴿ يَنْقُورِمْ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ ﴾ [المائدة: ٢١]، أي تنكصوا على أعقابكم وتاكلوا على قتال أعدائكم ﴿ فَتَنْقَلِبُوا خَسِرِينَ ﴾ أي فتحسروا بعد الربح وتنقصوا بعد الكمال: ﴿ قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾ خافوا من هؤلاء الجبارين وقد عاينوا هلاك فرعون، وهو أجبر من هؤلاء وأشد بأساً وأكثر جمعاً وأعظم جنداً ثم قال ابن كثير. قال تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾ أي بالإسلام والإيمان والشجاعة: ﴿ أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غُلَبُونَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ أي إذا توكلتم على الله واستعتم به ولجأتم إليه نصركم على عدوكم وأيدكم عليهم وأظفركم بهم: ﴿ قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ فصمم ملاؤهم على النكول عن الجهاد ووقع أمر عظيم ووهن كبير: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ قال ابن عباس: اقض بيني وبينهم، ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا حُرْمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾

(٢) يياض بالأصل.

منزه عن ذلك فإنه سبحانه مطلع عليهم وعلى أحوالهم مطلقاً لا يخفى عن علمه شيء. وأما ثالثاً: فإنه قوله: فإن صعدت معكم ساعة واحدة استأصلتكم يوحى بأنه لا يملك غضبه، ويقع إهلاكهم ضرورة وذلك باطل، لأنه سبحانه حكيم فعال لما يريد. فإنه قد صدر منهم قبل هذا أشياء قبيحة كعبادة العجل^(١) وغيرها، ولم يهلكهم. وأيضاً فقوله وإذا دخل موسى القبة، كان ينزل عمود السحاب، فيقف على القبة ويكلم موسى.

إن أريد أن عمود السحاب يكلم موسى فهذا ظاهر البطلان، وإن أريد أن الله سبحانه ينزل في العمود فيكلمه، فإنه سبحانه منزه عن النزول إلى خدمة موسى. وأيضاً قوله: وكلم الرب موسى مواجهة كما يكلم الرجل أخاه وصاحبه. يوهم الجهة والتحيز والجسمية، والله سبحانه منزه عن ذلك. وأيضاً فقوله: وقال الرب لموسى: انطلق إلى ذلك الموضع من الجبل، إن هذا الموضع بين يدي، فقف على الصخرة، فإذا جاز مجدي أسكنك مغارة الصخرة، وأستر يدي عليك حتى أجوز، وأجير يدي فترى خلفي، لأن وجهي لا يرى^(٢).

(١) ذكر الله تعالى ما كان من أمر بني إسرائيل حين ذهب موسى عليه السلام إلى ميقات ربه فمكث على الطور يناجيه ربه ويسأله موسى عليه السلام عن أشياء كثيرة وهو تعالى عنها، فعمد رجل منهم يقال له: هارون السامري فأخذ ما كان استعاره من الحلبي فصاغ منه عجلاً وألقى فيه قبضة من التراب كان أخذها من أثر فرس جبريل حين رآه يوم أغرق الله فرعون على يديه، فلما ألقاها فيه خار كما يخور العجل الحقيقي، ويقال: إنه استحال عجلاً جسداً أي لحمًا ودماً حياً يخور، قال قتادة وغيره: وقيل: بل كانت الريح إذا دخلت من دبره خرجت من فمه فيخور كما تخور البقرة فيرقصوا حوله ويفرحوا: ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ [طه: ٨٨]، أي فنسى موسى ربه عندنا وذهب يتطلبه وهو ههنا تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وتقدس أَسَاؤُهُ وصفاته وتضاعفت آلاؤه وهياته. البداية والنهاية لابن كثير (١/٣١٤).

(٢) قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِنِي وَلَكِنِ أَنْظُرَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، بين الله تعالى أن موسى لن يستطيع أن يثبت عند تجليه تبارك وتعالى لأن الجبل الذي هو أقوى وأكبر ذاتاً وأشد ثباتاً من الإنسان لا يثبت عند التجلي من الرحمن ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَكِنِ أَنْظُرَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي﴾، وفي الكتب المتقدمة أن الله

فإن هذا تجسيم يتنزه الرب سبحانه عنه، وأيضاً فمتى كان له وجه وخلف، وأمکن أن يرى خلفه، ضرورة إذ وجهه لا يكون شنيعاً بالإجماع أحسن من خلفه.

السؤال على القراءة التاسعة عشر

إن هذه القراءة على طولها وهي سبع ورقات ليس فيها سوى تكرار صفة قبة الزمان ولباس القدس، وقد عرف حاصلها فيما تقدم.

السؤال على القراءة العشرين

إن حاصلها تكرار هيئة قبة الزمان وقد عرف. تم السفر الثاني.

السؤال على القراءة الأولى من السفر الثالث

وهو سفر اللاويين^(١)

كيف يحسن أن يقال: وإن كان قربانه ذبيحة تامة للرب، وقرب فليقرب قرباناً لا عيب فيه ذكراً كان أو أنثى، ويضع صاحب القربان يده على رأس قربانه، ثم يذبحه على باب قبة الزمان.

فقال هنا ذكراً كان أو أنثى مع أنه قد ذكر في أول القراءة أن القربان لا يكون إلا ذكراً لأنه قال: وقل لهم كل إنسان منكم إذا قرب للرب قرباناً من البهائم فلتكن

تعالى قال له: يا موسى إنه لا يراني حي إلا مات ولا يابس إلا تدهده، وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «حجابه نور» وفي رواية «النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ذاك نوره الذي هو نوره إذا تجلى لشيء لا يقوم له شيء، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾، قال مجاهد: ﴿وَلَكِنْ أَنْظَرَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوَّفَ تَرْلِي﴾ فإنه أكبر منك وأشد خلقاً، فلما تجلى ربه للجبل فنظر إلى الجبل لا يتمالك وأقبل الجبل فدك على أوله ورأى موسى ما يصنع الجبل فخر صعقا. البداية والنهاية (٣١١/١، ٣١٢).

(١) سفر اللاويين معظمه يدور حول شؤون العبادات والوصايا والأحكام والطقوس والأعياد والندور، واللاويون هم نسل لاوي أحد أبناء يعقوب ﷺ، ومنهم موسى وهارون عليهما السلام، ونسب هذا السفر إليهم لأنهم كانوا سدنة الهيكل وحفظة الشريعة، ومعظمه يدور حول ما يشرفون عليه من عبادات ومعاملات. بنو إسرائيل في القرآن والسنة (ص ٧٢).

قرايينكم من الثيران والغنم، فإن كان قربانه من الثيران، فليكن ذكراً لا عيب فيه. (١)
ثم قال بعده: وإن كان قربان من الغنم فليكن من الحملان، أو من المعز،
وليقربه ذكراً نقياً لا عيب فيه، ويذبحه عند حافة المذبح. فقد تناقض الكلامان.

السؤال على القراءة الثانية

كيف يحسن أن يقال: وإن أخطأت نفس من الشعب، وغلطت وعملت شيئاً
مما حرم عليها فعله، (وامتحت) (٢) إذا عرفت جرمها الذي أجرمته تأتي بقربانها شاة من
المعز أثنى لا عيب فيها. مع أنه قد تقدم في أول القراءة الأولى أن القربان لا يكون إلا
ذكراً.

وأيضاً فقد ذكر قبيل هذا في هذه القراءة قوله: وإن أجرم عظيم من عظماء آل
إسرائيل وارتكب شيئاً من الوصايا التي (حرب) (٣) فيها، ويفعل ذلك غلطاً أو نسياناً
ويستحي فإن عرف الجرم الذي أجرم، يقرب قرباناً تيسراً من ذكر لا عيب فيه، فقد
تناقض الكلامان.

السؤال على القراءة الثالثة

كيف يحسن أن يقال: ثم قال موسى لهارون (٤): ادن من المذبح فقرب خطيئتك

(١) قال الحنفية: لا تصح الأضحية بالعمياء ولا بالعوراء، ولا بالعجفاء وهي المهزولة التي لا مخ في
عظامها، ولا بالعرجاء التي لا تستطيع المشي إلى المذبح، أما العرجاء التي تمشي بثلاث قوائم
وتضع الرابعة على الأرض لتستعين بها على المشي، فإنها تجزئ وكذا لا تصح بمقطوعة الأذن
أو الذنب أو الإلية إذا ذهب أكثر من ثلثها، ولا تصح بالهتماء إلا إذا بقي أكثر أسنانها، ولا
تصح بالسكاء التي لا أذن لها ولا بمقطوعة رءوس الضرع ولا بالتي انقطع لبنها.
وقال المالكية: لا تصح بالعمياء ولا بالعوراء والمعتبر في العمى والعور ذهاب ضوء العين وإن
بقيت صورتها ولا تصح بالمريضة التي لا تستطيع أن تتصرف كتصرف السليمة، ولا تصح
بالجرباء، ولا بالخنونة ولا بالمهزولة ولا بالعرجاء عرجاً بيئاً يمنعها من مسaire أمثالها. الفقه
على المذاهب الأربعة (١/٦٢٠).

(٢) كذا بالأصل.

(٣) كذا بالأصل.

(٤) يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وكليمه موسى ﷺ في جوابه لربه عز وجل حين أمره
بالذهاب إلى عدوه الذي خرج من ديار مصر فراراً من سطوته وظلمه حين كان من أمره ما
كان في قتل ذلك القبطي ولهذا: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ وَأَخَى
هَرُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿

بالذبيحة التي تحرق كلها.

فإنه إنما يقرب الذبيحة بخطيئة أو سبب خطيئة أو لخطيئة، ولا يقرب خطيئة بالذبيحة فإن الصواب عكسه، كما قال عقيبه: ثم قرب قربان الشعب، ولم يقل خطيئة الشعب.

وأيضاً فقلوه: وأخذ ابنا هارون ناداب، وأيهو كل امرئ منهما مجمرته وجعل فيها ناراً، وجعل فيها بخوراً، وبخرا أمام الرب بنار غريبة في غير وقت البخور، وفعلا

[القصص: ٣٣-٣٤]، أي اجعله معي معيناً وردءاً ووزيراً يساعديني ويعينني على أداء رسالتك إليهم فإنه أفصح مني لساناً وأبلغ بياناً، قال الله تعالى مجيباً إلى سؤاله: ﴿ قَالَ سَنَسُدُّ عَضْدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ أي برهانا ﴿ وَنَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطَنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ﴾ أي فلا ينالون منكما مكروهاً بسبب قيامكما بآياتنا، وقيل ببركة آياتنا: ﴿ بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ أَغْلِبُونَ ﴾ وقال في سورة طه: ﴿ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ ﴿ وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ ﴿ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴾ ﴿ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ [طه: ٢٤-٢٨] قيل: إنه أصابه في لسانه لثغة بسبب تلك الجمرة التي وضعها على لسانه التي كان فرعون أراد اختبار عقله حين أخذ بلحيته وهو صغير فهم بقتله، فخافت عليه آسية وقالت: إنه طفل فاختبره بوضع ثمرة وجمرة بين يديه فهم بأخذ الثمرة فصرف الملك يده على الجمرة، فأخذها فوضعها على لسانه فأصابه لثغة بسببها فسأل زوال بعضها بمقدار ما يفهمون قوله ولم يسأل زوالها بالكلية، قال الحسن البصري، والرسول إنما يسألون بحسب الحاجة ولهذا بقيت في لسانه بقية ولهذا قال فرعون قبحه الله فيما زعم أنه يعيب به الكليم: ﴿ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ [الزخرف: ٥٢] أي يفصح عن مراده ويعبر عما في ضميره وفؤاده، ثم قال موسى عليه السلام: ﴿ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴾ ﴿ هَنُرُونَ أَخِي ﴾ ﴿ أَشَدُّ بِهِمْ أَرْزِي ﴾ ﴿ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴾ ﴿ كَيْ تُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴾ ﴿ وَتَذَكَّرَ كَثِيرًا ﴾ ﴿ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ [طه: ٢٩-٣٦] أي قد أجبتك إلى جميع ما سألت وأعطيتك الذي طلبت وهذا من وجاهته عند ربه عز وجل حين شفع أن يوحي الله إلى أخيه فأوحي إليه وهذا جاه عظيم قال الله تعالى: ﴿ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ﴾ [الأحزاب: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَنُرُونَ نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٣]، وقد سمعت أم المؤمنين عائشة رجلاً يقول لأناس وهم ساترون طريق الحج: أي أخ أمن على أخيه؟ فسكت القوم فقالت عائشة لمن حول هودجها: هو موسى بن عمران حين شفع في أخيه هارون فأوحي إليه قال الله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَنُرُونَ نَبِيًّا ﴾ . البداية والنهاية لابن كثير (١/٢٧٥، ٢٧٦).

ما لم يؤمرا به فنزلت نار من الله فأحرقتهما، وماتا أمام الرب مشكل جدًّا، فإنهما إذا جعلتا ما لم يؤمرا به لاستحقاق العقاب، وإلا لاستحقاق العباد العقاب على فعل المناجاة كلها لأنهم لم يؤمروا بها، صار المباح محرماً، وبطلت القواعد وإنما يستحقانه لو فعلا ما نهي عنه، أو تركا ما أمروا به. وهذه قاعدة ظاهرة معروفة.

وأيضاً فقوله عقيبه: ودعا موسى ميشايل والصفان بن (عزيريل)^(١) عم هارون وقال لهما: تقدما واحملا أخويكما من قدام القدس مشكل لأنه حقيقة أن يقال: واحملا ابني وابن أخي أيكما، أو يقول لليعازر، وإيثامار ابني هارون اللذين بقيا احملا أخويكما.

السؤال على القراءة الخامسة

ولم أجد في هذه النسخة ترجمة للرابعة، أنه قال: والخنزير الذي له أظلاف، ولا يجتر محرّم عليكم فلا تأكلوا من لحوم هذه البهائم، ولا تمسوا لحومها، لأنها نجسة محرمة عليكم فهذا صريح في تحريم الخنزير^(٢) وتنجيته كالجمل، مع أن النصارى يحللونه ويحكمون بطهارته ويأكلونه وليس في الإنجيل ما ينسخ هذا النص، فقد خالفوا كتابهم بلا دليل.

وأيضاً فقوله بعده: وكل حي في الماء ليس له أجنحة وقشور، هو نجس محرّم عليكم، هو صريح في تحريم ثعبان الماء وتنجيته^(٣) مع أن النصارى يحكمون بحله

(١) بالأصل والنصفي ابني قوريل ونقلناه من النسخة التي بين يديك.

(٢) قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٧٣] وقال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ [المائدة: ٣].

قال ابن كثير: قال ابن أبي حاتم بسنده عن أبي الطفيل قال: نزل آدم بتحريم أربع: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ وإن هذه الأربعة أشياء لم تحل قط ولم تنزل حراماً منذ خلق الله السموات والأرض فلما كانت بنو إسرائيل حرم الله عليهم طيبات أحلت لهم بذنوبهم فلما بعث الله عيسى ابن مريم عليه السلام نزل بالأمر الأول الذي جاء به آدم وأحل لهم ما سوى ذلك فكذبوه وعصوه.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٨٣)، كتاب الطهارة، باب الوضوء بماء البحر، عن أبي هريرة يقول سأل رجل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضعنا به عطشنا أفنتوضأ بماء البحر؟ فقال رسول الله ﷺ: « هو الطهور ماؤه الحل ميتته »

وطهارته، ويأكلونه بلا دليل، فقد خالفوا صريح كتابهم.
وأيضاً فقوله: وما لم يكن له أظلاف من البهائم ولم يجتر فهو نجس محرم عليكم، ومن مسها منكم يكون نجساً إلى العشاء.
فإن مقتضاه أن الفرس محرمة نجسة، وليست عندهم كذلك، فقد خالفوا نص كتابهم.

السؤال على القراءة السادسة من السفر الثالث

كيف يحسن أن يقال: فإذا كملت أيام تطهيرها^(١) ابناً ولدت أو ابنة، تأتي بخروف حولي لا عيب فيه للذبيحة الكاملة وبماتين وفرخي حمام من أجل الخطيئة، وتأتي بها إلى باب قبة الشهادة.

فإن الولادة ليست بخطيئة، بل هي من سنن الشرائع، وإذا ولدت المرأة مولوداً يعبد الله تعالى، كان لها نصيب من الأجر بإجماع أرباب الشرائع، والمناسب له أن يكون هذا شكراً على النعمة لا تكفيراً للخطيئة.

السؤال على القراءة السابعة من السفر الثالث

أنه قال: من كان به برص^(٢) تكن ثيابه مخرقة، وتكن رأسه مغطاة، ويغطي شفثيه بيده أو يمسك أنفه ويستر شفثيه بيده التي يمسك بها أنفه ويدعو نفسه نجساً، لأنه نجس ما دامت ضربة البرص فيه.
ويجلس لا يختلط مع الناس^(٣) لمكان نجسه، ويكون مسكنه خارجاً من محلة بني

والترمذي في سننه (٦٩)، والنسائي (٥٠/١، ١٧٦ - المحتسب)، وابن ماجه (٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨)، وأحمد في مسنده (٢٣٧/٢، ٣٦١، ٣٧٣/٣).

(١) روى أبو داود في سننه (٣٨٣٤، ٣٨٣٦) كتاب الضحايا، باب في العقيقة، عن أم كرز قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « عن الغلام شاتان مكافتتان وعن الجارية شاة » والترمذي (١٥١٦)، كتاب الأضاحي، باب الأذان في أذن المولود، والنسائي (١٦٥/٧) المحتسب في العقيقة، باب كم يعق عن الجارية، وابن ماجه (٣١٦٢)، وفي الذبائح، باب العقيقة.

(٢) برص: برص: ظهر في جسمه البرص، فهو أبرص، وجمعها بُرُصٌ، والبرص بياض يقع في الجسد لعلة.

(٣) في حماية المجتمع من الأمراض المعدية روى مسلم في صحيحه [٩٢ - (٢٢١٨)] كتاب السلام، باب الطاعون والطيبة والكهانة ونحوها، عن أسامة بن زيد قال رسول الله ﷺ: «الطاعون رجراً وعذاب أرسل على بني إسرائيل أو على من كان قبلكم فإذا سمعتم به بأرض

إسرائيل.

ثم قال عقبيه: وإن كان في رداء، أو في شبه رداء، أو في ثوب شبه البرص من الصوف كان الثوب أو من الكتان، أو يظهر شبه البرص في السدى^(١)، أو في كتان ملفوف أو صوف ملفوف أو يظهر شبه البرص في جلد يستعمل وفي كل ما يستعمل من الجلود، ويكون الذي يظهر في الثوب حمرة أو صفرة، أو في الجلد أو السدى أو في الكتان الملفوف، أو في كل نوع من الجلود فتلك ضربة برص يقدم إلى الكاهن وينظر إليها الكاهن، ويحجز الكاهن على الضربة سبعة أيام^(٢)، ثم ينظر إليها الكاهن في اليوم السابع، فإن مشت الضربة واتسعت في الرداء أو في السدى، أو في الكتاب أو في الجلد أو في كل جلد يستعمل، فتلك ضربة برص مفسد، وهي نجسة، ويحرق الكاهن الرداء أو السدى أو الصوف أو الكتان أو كل وعاء جلد تكون فيه الضربة تحرق بالنار، لأنه برص مفسد.

فإن هذا لا يفهم له معنى، ولا يحصل منه فائدة وكل ما لا يحصل منه فائدة

فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه».

(١) السدى من الثوب: خلاف اللحمية، وهو ما يُمدُّ طولاً في النسيج، الواحدة سداة، وجمعها أسداء، وأسدية.

(٢) روى مسلم في صحيحه [٦٩] كتاب السلام، ٢٦- باب لكل داء دواء واستحباب التداوي، عن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل».

قال النووي: في هذا الحديث استحباب الدواء وهو مذهب أصحابنا وجمهور السلف وعمامة الخلف قال القاضي: في هذه الأحاديث جمل من علوم الدين والدنيا وصحة علم الطب وجواز التطيب في الجملة واستحبابه بالأمور المذكورة في هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم، وفيها رد على من أنكر التداوي من غلاة الصوفية، وقال: كل شيء بقضاء وقدر فلا حاجة إلى التداوي، وحجة العلماء هذه الأحاديث يعتقدون أن الله تعالى هو الفاعل وأن التداوي هو أيضاً من قدر الله، وهذا كالأمر بالدعاء وكالأمر بقتال الكفار وبالتحصن ومجانبة الإلقاء باليد إلى التهلكة مع أن الأجل لا يتغير والمقادير لا تتأخر ولا تتقدم عن أوقاتها، ولا بد من وقوع المقدرات والله أعلم.

وقال الإمام أبو عبد الله المازري: ذكر مسلم هذه الأحاديث الكثيرة في الطب والعلاج وقد اعترض في بعضها من في قلبه مرض. النووي في شرح مسلم (١٦٠/١٤) طبعة دار الكتب العلمية.

فليس بكلام، والله سبحانه منزه عن مثل هذا.

وأعجب منه قوله بعده وتطهر ضربة البرص في أرض ميراثكم إلى آخر القراءة.
فإن البرص إنما يكون في الحيوان، لا في الأراضي والبيوت، ولا يلقى الأمر بهدم البيوت بهذا التوهم.

السؤال على القراءة الثامنة

من السفر الثالث

كيف يحسن أن يقال: وإن مسَّ من زراعه (الذي)^(١) يقطر وعاء فخار فليكسر ذلك الوعاء، مع أن إضاعة المال قبيحة شرعاً وعقلاً.

وهلاً اكتفى بغسله بالماء كوعاء الخشب والنحاس وأيضاً فقوله: أيما رجل أجنب^(٢) أو جرت منه جنابة يغسل جسده كله بالماء، ويكون نجساً إلى الليل، إن كان المراد به يكون نجساً قبل غسله، فهو حسن، لكن ينبغي على هذا أن يكون نجساً إلى حين غسله، لا إلى الليل وإن كان المراد أن يكون نجساً بعد غسله لم يبق في غسله فائدة. أما لو قيل أنه يكون نجساً إلى أن يغتسل بالماء لم يرد عليه شيء.

السؤال على القراءة التاسعة

من السفر الثالث

كيف يحسن أن يقال: ويأخذ جديين أيضاً وقيمهما أمام الرب حين في قبة

(١) ليست بالأصل وأضفناها لسياق الكلام.

(٢) قال النووي: قال أصحابنا: كمال غسل الجنابة أن يبدأ المغتسل فيغسل كفيه ثلاثاً قبل إدخالهما في الإناء ثم يغسل ما على فرجه وسائر بدنه من الأذى، ثم يتوضأ وضوءه للصلاة بكمال، ثم يدخل أصابعه كلها في الماء فيغرف غرفة يخلل بها أصول شعره من رأسه ولحيته، ثم يحثي على رأسه ثلاث حثيات، ويتعاهد معاطف بدنه كالإبطين وداخل الأذنين والسرة وما بين الإليتين وأصابع الرجلين وعكن البطن وغير ذلك، فيوصل الماء إلى جميع ذلك ثم يفيض على رأسه ثلاث حثيات، ثم يفيض الماء على سائر جسده ثلاث مرات بذلك في كل مرة ما تصل إليه يده من بدنه، وإن كان يغتسل في نهر أو بركة انغمس فيها ثلاث مرات، ويوصل الماء إلى جميع بشرته، والشعور الكثيفة والخفيفة، ويعم بالغسل ظاهر الشعر وباطنه وأصول منابته والمستحب أن يبدأ بميامنه وأعالي بدنه، وأن يكون مستقبل القبلة، وأن يقول بعد الفراغ أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ويستصحب النية إلى أن يفرغ من غسله، فهذا كمال الغسل. (النووي في شرح مسلم ٣/١٩٥، ١٩٦)، طبعة دار الكتب العلمية.

الزمان^(١) ويقترع عليهما قرعتين، قرعة واحدة للرب، وقرعة أخرى لعزازيل، ويقرب هارون الجدي الذي أصابته قرعة الرب ويصير قرباناً بدل الخطيئة، والجدي الذي وقعت عليه قرعة عزازيل يقوم حياً أمام الرب ليستغفر عليه لأصحاب الذنوب، ثم (يسرجه)^(٢) إلى عزازيل إلى القفر، فإن القربان لا يكون إلا لله تعالى، أما لعزازيل أو غيره فلا.

السؤال على القراءة العاشرة من السفر الثالث

كيف يحسن أن يقال: ولا تفضح أختك من أبيك كانت، أو من أمك ولا امرأة أبيك، لا تكشف عورتها^(٣) وكذلك ابنة أبيك أو ابنة أمك لا تكشف عورتها، مع أن ابنة أبيك أو ابنة أمك هي أختك من أبيك أو من أمك، وعطفها عليها بواو العطف يقتضي تغايرهما ولا سيما قوله كذلك فإنه يقتضي التشبيه والمشبه به.

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية (٣٣٧/١) كانت قبة الزمان هذه مع بني إسرائيل في التيه يصلون إليها وهي قبلتهم وكعبتهم وإمامهم كليم الله موسى ﷺ، ومقدم القربان أخوه هارون ﷺ، فلما مات هارون ثم موسى عليهما السلام، استمر بنو هارون في الذي كان يليه أبوه من أمر القربان، وهو فيهم إلى الآن وقام بأعباء النبوة بعد موسى وتدبير الأمر بعده فتاه يوشع بن نون وهو الذي دخل بيت المقدس، فكانوا يصلون إليها فلما بادت صلوا إلى محلتها وهي الصخرة فلماذا كانت قبلة الأنبياء بعده إلى زمان رسول الله ﷺ وقد صلى إليها رسول الله ﷺ قبل الهجرة وكان يجعل الكعبة بين يديه، فلما هاجر أمر بالصلاة إلى بيت المقدس فصلى إليها ستة عشر، وقيل سبعة عشر شهراً، ثم حولت القبلة إلى الكعبة وهي قبلة إبراهيم في شعبان سنة ثنتين في وقت صلاة العصر وقيل الظهر.

(٢) كذا بالأصل وأظنها يرسله.

(٣) قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ يَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ ۖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۖ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ۖ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ ۗ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَفَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرْضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٣-٢٤﴾.]

وكذلك قوله عقيهه ولا تكشف عورة امرأة أبيك التي ولدت من أبيك لأنها أختك، لا تكشف عورتها^(١).

مشكل من ثلاثة أوجه:

أحدها أنه معطوف على ما تقدم ينبغي تغييرها مع أنه قد تقدم هذا بعينه قبل أختك في قوله ولا تفضح امرأة أبيك ولا عورتها.

وثانيها: أنه قال: التي ولدت من أبيك مع أن امرأة أبيك لم تولد من أبيك، فإن الرجل لا يتزوج بابنته. فإن قيل: المراد التي ولدت من أبيك آدم، لا من أبيك الأقرب. قلت: هذا لا يمكن أن يراد، لأن التي ولدت من أبيك آدم يجوز كشف عورتها والتزوج بها فلو أريد هذا لم ينع عنه.

وثالثها: أنه قال: إنها أختك مع أن امرأة أبيك لا تكون أختك، فإن أباك لا يتزوج أختك لا من أبيك ولا من أمك. فإن قيل: المراد أختك من أبيك آدم. قلت: لا يمكن أن يراد هذا، لأن أختك من آدم يجوز أن تكشف عورتها وتتزوج بها، فلو أريد هذا لم ينع عنه.

(١) قال ابن كثير في معنى الآيات المتقدمة: هذه الآية الكريمة هي آية تحريم المحارم من النسب وما يتبعه من الرضاع والمحارم بالصهر كما قال ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس قال: حرمت عليكم سبع نسبا وسبع صهرا وقرأ: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبنَاتُ الْأَخِ وَبنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ ﴾ الآية. وقد استدلل جمهور العلماء على تحريم المخلوقة من ماء الزاني عليه بعموم قوله تعالى: ﴿ وَبنَاتُكُمْ ﴾ فإنها بنت فتدخل في العموم كما هو مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل وقد حكى عن الشافعي شيء في إباحتها لأنها ليست بنتا شرعية فكما لم تدخل في قوله: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ﴾ فإنها لا تراث بالإجماع لا تدخل في هذه الآية والله أعلم وقوله تعالى: ﴿ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِمَّنْ أَرْضَعْنَ ﴾ أي كما يحرم عليك أمك التي ولدتك كذلك يحرم عليك أمك التي أرضعتك. تفسير ابن كثير (١/٤٦٩).

السؤال على القراءة الحادية عشر من السفر الثالث

كيف يحسن أن يقال: لا تتزوج إلا جارية عذراء، فأما الأرملة أو المطلقة^(١) فقد تنجست بالزنا، فلا يتزوج من أشباه هؤلاء ألبة بل يتزوج عذراء من قومه. مع أن الأرملة أو المطلقة لا يلزم أن تكون متنجسة بالزنا، ولا بد فإنه ليس غير كل عذراء زانية.

السؤال على القراءة الثانية عشر من السفر الثالث

كيف يحسن أن يقال يقرب كبشًا لا عيب فيه من الثيران كان أو من الحملان، أو من الماعز، ولا تقربوا قربانًا فيه عيب، لأن ذلك لا يكون قربانًا يقر به، لأن الكبش لا يكون من الثيران ولا الماعز بل من الحملان فقط.

السؤال على القراءة الثالثة عشر من السفر الثالث

كيف يحسن أن يقال: وإن قلتم من أين نأكل في السنة السابعة التي نزرع فيها ولا نحصد ولا ندخل الغلات^(٢) لا تهتموا أنا منزل لكن بركاتي في السنة السادسة فتغل

(١) قال تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ [البقرة: ٢٢٨]، هذا أمر من الله سبحانه وتعالى للمطلقات المدخول بهن من ذوات الأقرء بأن يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء أي بأن تمكث إحداهن بعد طلاق زوجها لها ثلاثة قروء ثم تزوج إن شاءت.

وقد أخرج الأئمة الأربعة من هذا العموم الأمة إذا طلقت فإنها تعتد عندهم بقراءين لأنها على النصف من الحرة، والقرء لا يتبعض فأكمل لها قرءان، ثم قال: وقال بعض السلف بل عدتها كعدة الحرة لعموم الآية ولأن هذا أمر جبلي فكان الحرائر والإماء في هذا سواء، وقد اختلف السلف والخلف والأئمة في المراد بالأقرء ما هو على قولين: أحدهما: أن المراد بها الأطهار وقال مالك في الموطأ بسنده عن عائشة أن حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر انتقلت حين دخلت في الدم من الحيضة الثالثة.. الحديث. تفسير ابن كثير (١/٢٦٩).

(٢) قال تعالى: ﴿يَدْبِي إِسْرَاءِيلَ قَدْ أَجْبَيْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ﴿٥٠﴾ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي

لكم أرضكم في تلك السنة غلة ثلاث سنين حتى إذا زرعتم في السنة الثامنة لم تحتاجوا إلى غلتها لأنكم تأكلون من غلة السنة السادسة إلى السنة التاسعة، تأكلون العتيق إلى أن يدخل الحديث ويكثر.

فأما الأرض فلا تبع بحق الدهر، ولا يجب بيعها، فإن الأرض لي، وأنتم لي سكان عليها ومجتازين. فإن قوله التي تزرع فيها ولا يحصد، مشكل لأنهم لم يؤمروا فيها بالزرع، بل أمروا فيها بعدم الزرع، وبعدم الحصاد^(١).

وَمَنْ مَحَلَّلَ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٣٠٩﴾ وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٣١٠﴾ [طه: ٨٠-٨٢] قال في البداية والنهاية (٣٠٩/١)، يذكر تعالى منته وإحسانه إلى بني إسرائيل بما أنجاهم من أعدائهم وخلصهم من الضيق والحرج وأنه وعدهم صحبة نبيهم إلى جانب الطور الأيمن أي منهم لينزل عليه أحكاما عظيمة فيها مصلحة لهم في دنياهم وأخراهم وأنه تعالى أنزل عليهم في حال شدتهم وضرورتهم في سفرهم في الأرض التي ليس منها زرع ولا ضرع من السماء يصبحون فيجدونه خلال بيوتهم فيأخذون منه قدر حاجتهم في ذلك اليوم إلى مثله من الغد، ومن ادخر منه لأكثر من ذلك فسد.

ومن أخذ منه قليلاً كفاه أو كثيراً لم يفضل عنه فيصنعون منه مثل الخبز، وهو في غاية البياض والحلاوة فإذا كان من آخر النهار غشيبهم طير السلوى فيقتنصون منه بلا كلفة ما يحتاجون إليه حسب كفايتهم لعشائهم، وإذا كان فصل الصيف ظلل الله عليهم الغمام وهو السحاب الذي يستر عنهم حر الشمس وضوئها الباهر. البداية والنهاية (٣٠٩/١).

(١) أنعم الله تعالى على بني إسرائيل بما يسر لهم من المن والسلوى طعامين شهيئين بلا كلفة ولا سعي لهم فيه بل ينزل الله المن باكراً ويرسل عليهم طير السلوى عشيّاً وأنبع الماء لهم بضرب موسى عليه السلام حجراً كانوا يحملونه معهم بالعصا فتفجر منه اثنتا عشرة لكل سبط عين منه تنبجس ثم تفجر ماء زلالاً فيستقون ويسقون دوابهم ويدخرون كفايتهم، وظلل عليهم الغمام من الحر، وهذه نعم من الله عظيمة وعطيات جسيمة فما رعوها حق رعايتها ولا قاموا بشكرها وحق عبادتها ثم ضجر كثير منها وتبرموا بها وسألوا أن يستبدلوا منها يديها مما تبت الأرض من بقلها وفنائها وفومها وعدسها وبصلها، فقرعهم الكليم ووبخهم وأنبههم على هذه المقالة وعنفهم قائلاً: ﴿الَّذِي أَكْتَسَبُوا لَوْ هُوَ أَذَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٦١]، أي هذا الذي تطلبونه وتريدونه بدل هذه النعم التي أنتم فيها حاصل لأهل الأمصار الصغار والكبار موجود بها وإذا هبطتم إليها أي ونزلتم عن هذه المرتبة التي لا تصلحون لمنصبتها تجدوا بها ما تشتبهون وما ترومون مما ذكرتم من المآكل الدنية والأغذية الرديئة، ولكني لست أجيبكم إلى سؤال ذلك ههنا ولا أبلغكم ما تعتتم به من المنى وكل هذه الصفات المذكورة عنهم الصادرة منهم تدل على أنهم لم ينتهوا عما نهوا عنه.

فإنه قال فيما تقدم: فأما السنة السابعة فلتكن سبت، سبت الراحة للأرض، واجعلوها سبتاً للرب، لا تزرعوا مزارعكم، ولا تكسحوا أكرومكم ولا تحصدوا ما ينبت في أرضكم في تلك السنة من غير أن يزرع في تلك السنة ولا تقطفوا عنب كرومكم. فقد تناقض الكلامان.

وأيضاً فقوله: وتطردون أعداءكم وتصرعونهم قتلاً إذا ما حاربتموهم، فخمسة منكم يهزمون مائة والمائة منكم يهزمون عشرة آلاف، غير جار على نسبة واحدة^(١). فإنه إذا هزمت الخمسة مائة هزمت المائة ألفين، لا عشرة آلاف. لأن الخمسة نصف عشر المائة، والمائة نصف عشر الألفين. وأما المائة من العشرة آلاف، فإنه عشر عشر لا نصف عشر، فلم يتناسب الكلامان.

وأيضاً فقوله: وإن لم تتوبوا هذه الأشياء ولم تسمعوا قولي وعاملتموني باللحاجة عاملتكم أنا أيضاً بالغضب واللحاجة، وأوذيتكم وأعاقبكم سبعة أضعاف على خطاياكم وتصيرون إلى ضيق حتى تأكلوا لحم أبنائكم، وتأكلون لحوم بناتكم أيضاً وأحرب بيوتكم، وأحرب بيوت أهلتكم وألقي أجسادكم ميتة على أصنامكم، وأنصرف عنكم وأبغضكم، وأجعل قراكم خراباً.

البداية والنهاية (١/٣١٠).

(١) قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ حَرَضُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبْرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۗ﴾ [الأنفال: ٦٥-٦٦]، كل واحد بعشرة ثم نسخ هذا الأمر وبقيت البشارة وروى عبد الله بن المبارك بسنده عن ابن عباس قال لما نزلت: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبْرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ شق ذلك على المسلمين حتى فرض الله عليهم أن لا يفر واحد من عشرة ثم جاء التخفيف فقال: ﴿أَلَنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ قال: خفف الله عنهم من العدة ونقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم.

وقال سعيد بن منصور بسنده عن ابن عباس قال في هذه الآية قال كتب عليهم أن لا يفر عشرون من مائتين ثم خفف الله عنهم فقال: ﴿أَلَنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ فلا ينبغي لمائة أن يفر من مائتين وروى البخاري عن علي بن عبد الله عن سفيان به نحوه. تفسير ابن كثير (٢/٣٣٢).

مشكل لأنهم ليس لهم آلهة ولا أصنام حتى يقول: واخرب بيوت آهتكم، وأجعل أجسادكم ميتة على أصنامكم، ولم يكن لهم آلهة أخرى سوى قضية اتخاذ العدل، وقد حرقه موسى^(١) كما تقدم ومضى ذلك، ولم يكن لهم آلهة، ولا أصنام. وأيضاً فظاهر الكلام أنهم إذا سمعوا قوله ولم يعاملوه باللجاجة لا يخرب بيوت آهتهم ويتركها على حالها، وهو مشكل.

السؤال على الفصل الأول من السفر الرابع^(٢) من التوراة

كيف يحسن أن يقال: ثم عد موسى وهارون هؤلاء القوم المسمين بأسمائهم، فجمعوا الجماعة كلها في أول يوم الشهر الثاني، فعدوا بيوت آبائهم وقبائلهم بأسمائهم من بين عشرين سنة فما فوق، ذلك برعوسهم كما أمر الله تعالى، إلى أن قال: ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين رجلاً^(٣).

(١) قال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٦٦﴾ قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ يُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٦٧﴾ إِنَّمَا إِلْهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿ طه: ٩٥-٩٨ ﴾، في قوله تعالى: ﴿ وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ ﴾ أي معبودك ﴿ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾ أي أقمت على عبادته يعني العجل ﴿ لَّنُحَرِّقَنَّهُ ﴾ قال الضحاك عن ابن عباس والسدي استحلّه بالمبارد وألقاه على النار، وقال قتادة استحال العجل من الذهب لحماً ودماً فحرقه بالنار، ثم ألقى رماده في البحر، ولهذا قال: ﴿ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ وقال ابن أبي حاتم بسنده عن علي ؑ قال: إن موسى لما تعجل إلى ربه عمد السامري فجمع ما قدر عليه من حلي نساء بني إسرائيل ثم صوره عجلاً قال: فعمد موسى إلى العجل فوضع عليه المبارد فبرده بها وهو على شط نهر فلم يشرب أحد من ذلك الماء ممن كان يعبد العجل إلا اصفر وجهه مثل الذهب فقالوا لموسى ما توبتنا؟ قال: يقتل بعضكم بعضاً، وهكذا قال السدي.

(٢) هو سفر العدد وهو سفر معظمه يدور حول تقسيم بني إسرائيل، وبيان تعداد أسباطهم وجيوشهم وأموالهم وذكرهم وإنائهم، ويجانب هذا به بعض الأحكام التي تتعلق بالعبادات والمعاملات. (بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ٧٢).

(٣) كان خروج بني إسرائيل من مصر حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وبعد أن رأوا غرق

مع أن موسى كما تقدم أمره الله بذلك في اليوم الأول من الشهر الثاني من السنة الثانية فكيف يكون موسى أمر في اليوم الأول من الشهر الثاني وجمع الجماعة كلها، وعدوا بيوت آبائهم وقبائلهم، وبأسمائهم على هذه المدة في أول اليوم الثاني بعينه هذا، كما لا يأتي ولا يمكن أصلاً إلا في أيام كثيرة جداً، والله أعلم وفي النسخة الأخرى أن عددهم ستمائة ألف وسبعمائة وثلاثين. وهذا تفاوت فاحش من المفسرين لمفسر واحد.

السؤال على الفصل الثاني من السفر الرابع من التوراة

أنه قال: وكلم الله موسى وهارون وقال لهما ليحل بنو إسرائيل لتلقائي^(١)،

فرعون بأعينهم سار بهم موسى عليه السلام إلى أرض فلسطين مؤملاً أن يصبحوا أمة قوية بإيمانها وصالح أعمالها، فقد ترتب على خروجهم من مصر وهلاك فرعون أمام أعينهم أن أصبحوا أحراراً في شعوبهم وأحوالهم بعد أن كانوا يذوقون في مصر سوء العذاب على أيدي فرعون وجنده. يقول صاحب تاريخ الإسرائيليين: « وقد كان تاريخهم إلى وقت خروجهم من مصر، تاريخ أسرة صغيرة أخذت تنمو وتزداد حتى صارت قبيلة كبيرة لا كيان لها ولا حكومة منها، ولا شارع أو وازع فيها ينظر في أمورها ويرد قوبها عن ضعيفها متفرقة في أرض مصر عرضة للعبودية والسخرة والاستياد والإهانة، أما بعد الخروج فإنهم تألفوا شعباً واحداً وأمة واحدة لها قائدها من بنينا، وجيش يقوم على حمايتها وحاكم يتولى أمورها وشؤونها وأخذت تبدو فيها صفات الأمة المستقلة، فإنها لم تكد تغادر مصر حتى بدأ الشارع في سن النواميس والقوانين والشرايع الدينية والأدبية والمدنية، كما تكون في الأمة المستقلة القائمة بنفسها، وعليه فتاريخ الإسرائيليين لا يبتدئ إلا بعد خروجهم من مصر وتاريخهم هذا يستغرق قروناً عديدة، اتفق لهم في خلالها كثير من الحوادث العادية من حروب وتقدم وانحطاط. انظر تاريخ الإسرائيليين لشاهين مكاريوس (ص ١٥).

(١) قال محمد بن إسحاق: اختار موسى من بني إسرائيل سبعين رجلاً الخير فالخير، وقال: انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقته له ربه وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم فطلب منه السبعون أن يسمعوا كلام الله، فقال: أفعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى فدخل في الغمام وقال للقوم: ادنوا وكان موسى إذا كلمه الله وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجوداً فسمعوه وهو يكلم موسى ويأمره وينهاه ففعل ولا تفعل فلما فرغ الله من أمره وانكشف موسى الغمام أقبل إليهم

وليحل كل رجل منهم في الأرض كلها في بني أبيه، وليحلوا حول القبة، فحل بنو يهوذا: بخشون بن عمينا داب وعدد قوته أربعة وسبعون ألف وستمئة رجل. ويليهم سبط إيساخر. فكيف يحسن أن يقال: وليحل كل رجل منهم في الأرض كلها، وليس من الممكن أن يحل كل رجل في الأرض كلها، بل في مكان واحد منها.

فإن قلت: يمكن أن يكون قوله في الأرض كلها صفة لرجل لا مفعولاً فيه ليحل ويكون في بني أبيه هو المفعول ليحل، أي كل رجل من الرجال الكاتبين في الأرض كلها ليحل في بني أبيه.

قلت: لا يمكن هذا هنا لأن بني إسرائيل ليسوا في الأرض كلها حتى يوصفوا أو بعضهم بهذه الصفة، وإنما هي في برية سيناء^(١)، كما ذكره مراراً.

السؤال على الإصحاح الثالث

من السفر الرابع من التوراة

أنه قال: فكان جميع اللاويين^(٢) إذ عددهم موسى يكلمه فم الله كل ذكر لقبيلته من ابن شهر فما فوق ذلك اثنان وعشرون ألفاً.

كيف يحسن وقد تقدم في تفصيل ذلك ما يقتضي أن عددهم اثنان وعشرون

فقالوا: ﴿يَمُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى آلَهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] فأخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فالتقت أرواحهم فماتوا جميعاً فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه ويقول: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِنِّي أَتُكَلِّمُكُمْ بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنِّي﴾ أي لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء الذين عبدوا العجل منا، فإننا برآء مما عملوا. البداية والنهاية (٣١٧/١).

(١) لم يخرج أحد من التيه ممن كان مع موسى سوى يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وهو زوج مريم أخت موسى وهارون وهما الرجلان المذكوران فيما تقدم اللذان أشار على ملا بني إسرائيل بالدخول عليهم، وذكر وهب بن منبه أن موسى عليه السلام مر بملاً من الملائكة يحفرون قبراً فلم ير أحسن منه ولا أنضر ولا أبهج، فقال يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا: لعبد من عباد الله كريم، فإن كنت تحب أن تكون هذا العبد فادخل هذا القبر وتمدد فيه وتوجه إلى ربك وتنفس أسهل تنفس، ففعل ذلك فمات صلوات الله وسلامه عليه فصلت عليه الملائكة ودفنوه. البداية والنهاية (٣٤٨/١).

(٢) اللاويين نسبة إلى لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام وهم نسله ومنهم موسى وهارون عليهما السلام ونسب إليهم سفر اللاويين وذلك لأنهم كانوا سدنة الهيكل وحفظه الشريعة.

ألفاً وثلاثمائة، لأن بني جرشون سبعة آلاف وخمسمائة، وبني قاهت ثمانية آلاف وستمائة، وبني موري ستة آلاف ومائتين.

وأيضاً فإنه قال عقيبه: وكلم الله موسى وقال له: اعدد كل أبكار ذكور بني إسرائيل من ابن شهر فما فوقه، فخذ عددهم بأسمائهم واجعلهم مناصف لي، إني أنا الله. وليكن اللاويون لي، بدلاً من كل بكور بني إسرائيل ودواب اللاويين بدل كل ذكور دواب بني إسرائيل فكان جميع بكورهم بعدد الأسماء من ابن شهر فما فوقه اثنان وعشرين ألفاً ومائتين يدل كل بكور بني إسرائيل، ودواب اللاويين بدل دواهم ليكونا لي مناصفة إني أنا الله، وفدية المائتين والثلاثة والسبعين التي فضلها بنو إسرائيل على اللاويين أن يأخذ بكل رأس خمسة مثاقيل بمثقال القدس فضة، ومثقال القدس عشرون دانقاً. (١) ثم اعطى هارون الفضة وبنيه (٢).

وأخذ موسى منهم الفضة، فدية الذين زادوا من اللاويين من بكور بني إسرائيل، فكان ما أخذ من الفضة ألف وثلاثمائة وخمسة وستين مثقالاً بمثقال القدس.

(١) الدانق: سدس الدرهم، جمعها: دوانق ودوانيق.

(٢) حكى القرآن الكريم بأسلوبه البليغ قصة نكول بني إسرائيل عن القتال فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ يَذُكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَا لَمْ يَأْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَنْقُومِ آذْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا حَتَّىٰ نَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَتَعْمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا آذْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُم غَلِيظُونَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَآذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِيلًا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [المائدة: ٢٠-٢٥].

هذا وبعد وفاة موسى وهارون عليهما السلام تولى يوشع بن نون رئاسة بني إسرائيل وكانوا في ذلك الوقت قد هلك منهم ذلك الجيل الذي تربى على الذل والعبودية، والذي قال لموسى: ﴿فَآذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِيلًا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ ونشأ منهم جيل آخر تربى خلال مدة التيه على الخشونة وحرية البداوة فقاده يوشع بن نون لدخول الأرض المقدسة. (بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ٣١).

فكيف يحسن أن يقال: وفدية المائتين والثلاثة والسبعين التي فضل بها بني إسرائيل على اللاويين مع أن بني إسرائيل لم يفضلوا على اللاويين بمائتين وثلاثة وسبعين، لا على ما ذكره من عدد اللاويين ولا على ما ذكره من جملة عددهم أما على الجملة فيفضلوا عليهم بثلاثمائة، وأما على التفصيل فينقصوا عنهم بمائة، فلم يصح هذا الكلام على شيء من التقديرين أصلاً.

السؤال على الفصل الرابع من السفر الرابع من التوراة

أنه قال ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى ﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال له أوص بني إسرائيل أن يخرجوا من المحلة كل أبرص وكل أجزم وكل جنب بنفسه من ذكر أو أنثى خارجاً من المحلة ولا تبخسوا منازلكم التي أنا حالاً فيها بينكم والله سبحانه وتعالى منزّه عن الحلول بينهم في منازلهم^(١).

فإن قيل لعله أطلق لفظ حلوله فيها مجازاً وكناية عن إحاطة علمه بها. قلنا: فعلة محيط خارج المحلة أيضاً، ولا يختص بمنزلهم فلا تنجسوه بهم أيضاً، كما لا تنجسوا منازلكم.

السؤال على الفصل الخامس من السفر الرابع من التوراة

أنه قال: فلما دخل موسى قبة الزمان سمع صوتاً يكلمه من الغشاء الذي على

(١) لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين: أحدهما وهو مذهب معظم السلف أو كلهم أن لا يتكلم في معناها بل يقولون يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته مع اعتقادنا الجازم أن الله تعالى ليس كمثله شيء وأنه منزّه عن التجسم والانتقال والتحيز في جهة وعن سائر صفات المخلوق، وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين واختاره جماعة من محققيهم وهو أسلم.

والقول الثاني: وهو مذهب معظم المتكلمين أنها تتأول على ما يليق بها على حسب مواقعها وإنما يسوغ تأويلها لمن كان من أهله بأن يكون عارفاً بلسان العرب وقواعد الأصول والفروع والرياضة في العلم. فعلى هذا المذهب يقال في قوله ﷺ فيأتيهم الله أن الإتيان عبارة عن رؤيتهم إياه لأن العادة أن من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته إلا بالإتيان فعبّر بالإتيان والحيء هنا عن الرؤية مجازاً وقيل: الإتيان فعل من أفعال الله تعالى ساه إتياناً، وقيل المراد بيأتيهم الله أي يأتيهم بعض ملائكة الله. (النووي في شرح مسلم ١٨/٣)، طبعة دار الكتب العلمية.

التابوت، تابوت الشهادة من بين الكاروبيين^(١).

فكيف يحسن أن يقال سمع صوتاً يكلمه، والصوت لا يكلمه لأنه لو كلمه مع أنه هو كلام لكان الكلام كلام آخر وتسلسل، بل صاحب الصوت هو الذي يكلمه، فصوابه أنه سمع صوت مكلم له لا صوتاً يكلمه.

السؤال على الفصل السادس من السفر الرابع من التوراة

أنه قال: فقال الله لموسى وهارون ومريم أخته: اخرجوا ثلاثكم إلى قبة الزمان، فخرجوا ثلاثهم إلى قبة الزمان، ونزل الله في عمود من الغمام، وقام على باب القبة، ودعا هارون ومريم^(٢) فخرجوا إليه، فقال لهما انصتا لكلامي، إني أنا الله، وإنما نبوتكما

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية (٣٣٦/١)، قال أهل الكتاب: وقد أمر الله موسى ﷺ بعمل قبة من خشب الشمشار وجلود الأنعام وشعر الأغنام وأمر بزینتها بالحرير المصبغ والذهب والفضة على كيفيات مفصلة عند أهل الكتاب ولها عشر سرادقات طول كل واحد ثمانية وعشرون ذراعاً وعرضه أربعة أذرع ولها أربعة أبواب وأطواب من حرير ودمقس مصبغ، وفيها رفوف وصفائح من ذهب وفضة ولكل زاوية بابان وأبواب أخرى كبيرة وستور من حرير مصبغ وغير ذلك مما يطول ذكره، ويعمل تابوتاً من خشب الشمشار يكون طوله ذراعين ونصف وعرضه ذراعين وارتفاعه ذراعاً ونصفاً ويكون مضبباً بذهب خالص من داخله وخارجة وله أربع حلق في أربع زوايا ويكون على حافته كرويان من ذهب يعنون صفة ملكين بأجنحة وهما متقابلان صفة رجل اسمه بصليال وأمره أن يعمل مائدة من خشب الشمشار طولها ذراعاً وعرضها ذراع ونصف لها ضباب ذهب وإكليل ذهب ... إلى آخر وصفهم. ثم قال ابن كثير، وقد بسط هذا الفصل في كتابهم مطولاً جداً. البداية والنهاية (١/٣٣٦).

(٢) قال ابن كثير: قالوا: يقصد أهل الكتاب - لما أغرق الله فرعون وجنوده حينئذٍ سيح موسى وبنو إسرائيل هذا التسبيح للرب وذكروا تسبيح طويل وقالوا: وأخذت مريم النبوة أخت هارون دفناً بيدها وخرج النساء في أثرها كلهن بدفوف وطبول وجعلت مريم ترتل لهن وتقول: سبحان الرب القهار الذي قهر الخيول وركبناها إلقاء في البحر هكذا رأيته في كتابهم. ولعل هذا هو الذي حمل محمد بن كعب القرظي على زعمه أن مريم بنت عمران أم عيسى هي أخت هارون وموسى مع قوله: ﴿يَتَأَخَّتْ هَارُونَ﴾ [مريم: ٢٨] وقد بينا غلظه في ذلك وأن هذا لا يمكن أن يقال، ولم يتابعه أحد عليه بل كل واحد خالفه فيه ولو قدر أن هذا محفوظ فهذه مريم بنت عمران أخت موسى وهارون عليهما السلام، وأم عيسى عليها السلام، وافقتها في الاسم، واسم الأب واسم الأخ لأنهم كما قال رسول الله ﷺ للمغيرة بن شعبه لما

أني أترأى لكما بالرؤيا، وأكلمكما بالحلم وأما عبدي موسى فليس كذلك، ولكنه أميني في بيتي، وأكلمه مفاوهة وبالنظر معاينة وهذا مشكل من وجوه: أما الأول: أنه قال: ونزل الله في عمود من الغمام، وقام على باب القبة، والله تعالى منزه عن النزول، وعن الحلول في الغمام، وعن القيام على باب القبة فإن هذه كلها من صفات الأجسام، وكذا قوله فخرجا إليه.

وأما ثانيًا: فإنه قال: وإنما نبوتكما أتي أترأى لكما بالرؤيا، وأكلمكما بالحلم، وهذا ترائي باليقظة، وكلام باليقظة لا بالرؤيا والحلم، فقد تناقض الكلام.

وأما ثالثًا: فإنه قال: وأما عبدي موسى فليس كذلك، ولكنه أميني في بيتي وأكلمه مفاوهة بالنظر معاينة. وإنما يصح أنه ليس كذلك إذا كان لا يترأى لهما الله إلا بالرؤيا، ولا يكلمهما إلا بالحلم. ولما بينا أنه تراءى لهما باليقظة، وكلمهما باليقظة كموسى، لم يكن موسى ليس كذلك، بل هو مثلهما في ذلك.

السؤال على الفصل الثامن

من السفر الرابع من التوراة

ولم أجد السابع في النسخة. أنه قال: وكلم الله موسى وقال له أرسل رجالاً^(١) ليتجسسوا أرض كنعان التي أهبها لبني إسرائيل من كل سبط رجل، فأرسل رؤساءهم كلهم، وهذا مشكل من وجوه: أما أولاً: فإنه أمر بإرسال رجال يجسسون

سأله أهل نجران عن قوله: ﴿يَتَأَخَذَ هَنُورُونَ﴾ فلم يدر ما يقول لهم حتى سأل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «أما علمت أنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم».

وقولهم النبوة كما يقال للمرأة من بيت الملك ملكة ومن بيت الإمارة أميرة وإن لم تكن مباشرة شيئاً من ذلك، فكذا هذه استعارة لها لا لأنها نبوة حقيقة يوحى إليها، وضربها بالدف في مثل هذا اليوم الذي هو أعظم الأعياد عندهم دليل على أنه قد كان شرع لمن قبلنا ضرب الدف في العيد. (البداية والنهاية ٣٠٣/١).

(١) لما انفصل موسى ﷺ من بلاد مصر وواجه بلاد بيت المقدس وجد فيها قومًا من الجبارين من الحيثانيين والفزاريين والكنعانيين وغيرهم فأمرهم موسى ﷺ بالدخول عليهم ومقاتلتهم وإجلالهم عن بيت المقدس، فإن الله كتبه لهم ووعدهم إياه على لسان إبراهيم الخليل وموسى الكليم الجليل فأبوا واكلوا عن الجهاد فسلط الله عليهم الخوف وألقاهم في التيه يسيرون ويحلون ويرتحلون ويذهبون ويجيئون في مدة من السنين طويلة هي من العدد أربعون. (البداية والنهاية ٣٠٥/١).

الأرض، مع أنه عالم بمن فيها من الجبابرة وأبناء الجبابرة الأقوياء كما ذكرها الجواسيس بعد هذا^(١)، فكان إرسا لهم مضرًا لهم وليس نافع، لأنه مانع لهم من دخولهم إلى الأرض، فلم يكن للأمر به فائدة، بل تركه أولى.

وأما ثانيًا: فإنه قال أرض كنعان التي أهبها لبني إسرائيل مع أنه قال في آخر هذا الفصل: فلا يدخلن واحد منكم الأرض التي رفعت يدي إليها أن يسكنكم فيها إلا كالب بن يوقينا ويوشع بن نون. وظاهر هذا الكلام أنه لا يدخلها إلا هذان الشخصان، فقد تناقض الكلامان.

وأما ثالثًا: فإنه قال فأرسل رؤساء هم كلهم وليس هذه عادة من يعث الجواسيس أن يعث رؤساء القوم كلهم، بل يعث بعضًا من غير الرؤساء، خوفًا على

(١) ذكر كثير من المفسرين ههنا آثارًا فيها مجازفات كثيرة باطلة يدل العقل والنقل على خلافها من أنهم كانوا أشكالا هائلة ضخامًا جدًّا حتى إنهم ذكروا: أن رسل بني إسرائيل لما قدموا عليهم تلقاهم رجل من رسل الجبارين فجعل يأخذهم واحدًا واحدًا ويلفهم في أكمامه وحجرة سراويله وهم اثنا عشر رجلاً فجاءهم فنثرهم بين يدي ملك الجبارين فقال: ما هؤلاء؟ ولم يعرف أنهم من بني آدم حتى عرفوه.

وكل هذه هذيانات وخرافات لا حقيقة لها وأن الملك بعث معهم عنبًا كل عنبة تكفي الرجل وشيئًا من ثمارهم ليعلموا ضخامة أشكالهم، وهذا ليس بصحيح.

وذكروا ههنا أن عوج بن عنق خرج من عند الجبارين إلى بني إسرائيل ليهلكهم وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة ذراع وثلاثة وثلاثين ذراعًا وثلاث ذراع، هكذا ذكره البغوي وغيره وليس بصحيح كما قدمنا بيانه عند قوله ﷺ: «إن الله خلق آدم طوله ستون ذراعًا ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن» قالوا: فعمد عود إلى قمة جبل فاقتلعها، ثم أخذها بيديه ليلقيها على جيش موسى فجاء طائر فنقر تلك الصخرة فحرقها فصارت طوقًا في عنق عوج بن عنق، ثم عمد موسى إليه فوثب في الهواء عشرة أذرع وطوله عشرة أذرع وبيده عصاه وطولها عشرة أذرع، فوصل إلى كعب قدمه فقتله، ويروى هذا عن عوف البكالي ونقله ابن جرير عن ابن عباس وفي إسناده إليه نظر، ثم هو مع هذا كله من الإسرائيليات وكل هذه من وضع جهال بني إسرائيل، فإن الأخبار الكذبة قد كثرت عندهم ولا يتميز لهم بين صحتها وباطلها، ثم لو كان هذا صحيحًا لكان بنو إسرائيل معذورين في النكول عن قتالهم، وقد ذمهم الله على نكولهم وعاقبهم بالتية على ترك جهادهم ومخالفتهم رسوله.

وقد أشار عليهم رجلان صالحان منهم بالإقدام ونهبهم عن الإحجام، ويقال: إنهما يوشع بن نون وكالب بن يوقنا، قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطية والسدي والربيع بن أنس وغير واحد. (البداية والنهاية ٣٠٥/١، ٣٠٦).

الرؤساء وغيرهم.

السؤال على الفصل التاسع

من السفر الرابع من التوراة

أنه قال: ويتيهون بنوكم في هذه البرية أربعين سنة^(١) ويقتلون زناكم حتى تلتف جثثكم في هذه القفار على حساب الأيام التي اجتستستم الأرض أربعين يوماً، مكان كل يوم سنة وهذا مشكل، فإنهم إنما حبسوا بأمر الله تعالى كما تقدم.

فكيف يحسن أن يعاقبوا على فعل ما أمروا به فإن قيل لعله تعالى إنما عاقبهم على تطويل مدة الجس أربعين يوماً.

قلت هذا إنما يمكن أن يقال إذا عين لهم حد في المدة فزادوا عليه.

أما إذا أطلق فلا حصر عليهم وأيضاً فقله: وأما الرهط الذين كان موسى بعثهم ليتجسسوا الأرض ثم رجعوا ورتبوا الجماعة، وأشاعوا خبر السوء عن الأرض فماتوا كلهم بغتة قدام الله. ظاهر هذا الكلام يقتضي أن الله تعالى أماتهم كلهم بغتة عقوبة على أنهم أشاعوا خبر الأرض ومن فيها من الجبابرة حتى خاف الباقون من دونها.

وظاهر هذا الكلام مقتضي أن الله تعالى أمر بإرسالهم ليجسوا الأرض ويكتبوا ما علموا من خبرها ويظهروا غير ما علموه، وهذه خيانة في الجس.

لا يحسن أن الله تعالى يأمر بها ويعاقب على عدمها، والله سبحانه وتعالى منزه

(١) في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٦]، عوقبوا على نكولهم بالتيهان في الأرض يسرون إلى غير مقصد ليلاً ونهاراً وصباحاً ومساءً.

ويقال: إنه لم يخرج أحد من التيه ممن دخله بل ماتوا كلهم في مدة أربعين سنة، ولم يبق إلا ذراريهم سوى يوشع وكالب عليهما السلام لكن أصحاب محمد ﷺ يوم بدر لم يقولوا له كما قال قوم موسى لموسى، بل لما استشارهم في الذهاب إلى النفيير تكلم الصديق فأحسن وغيره من المهاجرين ثم جعل يقول أشيروا علي حتى قال سعد بن معاذ كأنك تعرض بنا يا رسول الله فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن يلقي بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، فسر رسول الله ﷺ بقول سعد وبسطه ذلك. (البداية والنهاية ٣٠٦/١-٣٠٧).

عن ذلك كله^(١).

السؤال على الفصل العاشر

من السفر الرابع

أنه قال في آخره: إنني أنا الله ربكم الذي أخرجتكم من أرض مصر لأكون لكم إلهًا، أنا الله ربكم فكيف يحسن أن يقال: أخرجتكم من أرض مصر لأكون لكم إلهًا مع أن الله سبحانه وتعالى إلههم، وإله غيرهم، أخرجهم من مصر أو لم يخرجهم^(٢) أما أنه أخرجهم ليكون حتى أنه لو لم يخرجهم لم يكن فلا.

السؤال على الفصل الحادي عشر

من السفر الرابع

من وجوه:

أحدها: أنه قال ثم كلم الله الجماعة كلها، وقال لهم: (اعتن) لواعن مساكن هؤلاء البقر الخطاه^(٣) مع أنه ذكر فيما تقدم من التوراة، ولا يكلمنا الله لئلا نموت، فقد

(١) روى البخاري في صحيحه (٣٩٥٢)، كتاب المغازي ٤ - باب قول الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبُّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩] قال: حدثنا أبو نعيم حدثنا إسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال: سمعت ابن مسعود يقول: شهدت من المقداد بن الأسود مشهدًا لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به أي النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال: لا نقول كما قال قوم موسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِيلًا﴾ ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك، فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره يعني قوله.

(٢) قال ابن كثير في البداية والنهاية وفي معرض سؤال بني إسرائيل لموسى أن يجعل لهم إلهًا من الأصنام كما لهؤلاء القوم الذين مروا عليهم: ثم ذكرهم نعمة الله عليهم في تفضيله إياهم على عالمي زمانهم بالعلم والشرع والرسول الذي بين أظهرهم وما أحسن به إليهم وما امتن به عليهم من إنجائهم من قبضة فرعون الجبار العنيد وإهلاكه إياه وهم ينظرون وتوريته إياهم ما كان فرعون وملؤه يجمعونه من الأموال والسعادة وما كانوا يعرشون وبين لهم أنه لا تصلح العبادة إلا لله وحده لا شريك له لأنه الخالق الرازق القهار وليس كل بني إسرائيل سأل هذا السؤال، بل هذا الضمير عائد على الجنس في قوله تعالى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامِهِمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، (البداية والنهاية ١/٣٠٤).

(٣) كذا بالأصل.

ذكر أنه كلمهم. ولم يموتوا، ولقد عظمت مرتبة بني إسرائيل مع ما هم عليه من الطغيان والعصيان^(١)، وعبادة العجل، حتى وصلوا إلى أن كلمهم الله تعالى أيضاً فإنه قال: ثم خرجت نار من قدام الله وأكلت المائتين والخمسين، الرجال الذين كانوا يدخنون. فكيف يحسن أن يقال: وأكلت المائتين والخمسين ثم ذكر قبيله أن الأرض انشقت وابتلعتهم مع جميع ما كان مع قورح، وهبطوا إلى الهاوية واستوت الأرض عليهم وبادوا.

(١) قال تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَآرْهُونَ﴾ [البقرة: ٤٠].

يقول تعالى: أمرأ بني إسرائيل بالدخول في الإسلام ومتابعة محمد عليه من الله أفضل الصلاة والسلام، ومهيجاً لهم بذكر أبيهم إسرائيل وهو نبي الله يعقوب عليه السلام، وتقديره يا بني العبد الصالح المطيع لله كونوا مثل أبيكم في متابعة الحق كما تقول: يا بن الكريم اعمل كذا يا بن الشجاع بارز الأبطال. وقوله تعالى ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ قال مجاهد نعمة الله التي أنعم بها عليهم فيما سى وفيما سوى ذلك أن فجر لهم الحجر وأنزل عليهم المن والسلوى ونجاهم من عبودية آل فرعون، وقال أبو العالية نعمته أن جعل منهم الأنبياء أو نزل عليهم الكتب قلت: وهذا كقول موسى عليه السلام لهم: ﴿يَقَوْمُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ يعني في زمانهم وقال محمد بن إسحاق بسنده عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي بلائي عندكم وعند آبائكم لما كان نجاهم من فرعون وقومه: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ﴾ قال بعهدي الذي أخذت في أعناقكم للنبي ﷺ إذا جاءكم أنجز لكم ما وعدتكم عليه من تصديقه واتباعه بوضع ما كان عليكم من الأصار والأغلال التي كانت في أعناقكم بذنوبكم التي كانت من لإحداثكم.

وقال الحسن البصري هو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: ١٢] وقال الله إني معكم: ﴿لَئِن أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الآية.

وقال آخرون: هو الذي أخذ الله عليهم في التوراة أنه سيبعث من بني إسماعيل نبياً عظيماً يطيعه جميع الشعوب والمراد به محمد ﷺ فمن اتبعه غفر الله له ذنبه وأدخله الجنة وجعل له أجرين. تفسير ابن كثير (١/٨٢، ٨٣).

والمدخنون هم الذين كانوا مع قورح، بدليل قوله قبل ذلك: وقال موسى: يا قورح اغد أنت وجماعتك قدام الله، وهارون معكم، ثم ليأخذ كل رجل بجممرته ويجعل ناراً وبخوراً، ثم يقرب كل رجل بجممرته قدام الله، مائتين وخمسين بجمرة. فأخذ كل رجل بجممرته وجعل فيها ناراً ودخنه، قدام موسى وهارون قبة الزمان، إلى آخر هذا الكلام.

وأيضاً فإنه قال: فلما كان من الغد، دخل موسى إلى قبة الشهادة، فإذا عصا هارون عصا بيت آل لاوي قد نضرت، فطلع ورقها وأثمرت لوزاً، فهذا نظير إحياء عيسى الموتى، ولم يعتقد النصارى في موسى أنه ابن الله كما اعتقدوه في عيسى مع استوائهما في صدور القدرة الإلهية على يديهما.

السؤال على الفصل الثالث عشر

مع السفر الرابع

لم أجد الثاني عشر في النسخة. أنه قال: ثم كلم الله موسى وهارون وقال لهما: من أجل أنكما لم تصدقاني وتقديساني قدام بني إسرائيل، فمن أجل ذلك لا تدخلان اتم ولا هذه الجماعة إلى الأرض التي وهبت لكم^(١).

فكيف يحسن أن يقول سبحانه عن موسى وهارون أنهما لم يصدقاها، وأنهما مصدقاها، وإنما المكذب غيرهما. وكيف يحسن أن يعاقبهما بألا يدخلهما الأرض ولم يذنباً^(٢). وكيف يحسن منه سبحانه الرجوع في الأرض الموهوبة لهم، لا سيما وقد

(١) إنما حرم عليهم دخول الأرض المقدسة بسبب نكولهم عن قتال الجبارين وقد عوقبوا بالتبيان في الأرض يسيرون إلى غير مقصد ليلاً ونهاراً وصباحاً ومساءً ويقال إن لم يخرج أحد من التيه ممن دخله بل ماتوا كلهم في مدة أربعين سنة ولم يبق إلا ذراريهم سوى يوشع وكالب عليهما السلام.

(٢) قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿ [المائدة: ٢٥، ٢٦]

يعني لما نكل بنو إسرائيل عن القتال غضب عليهم موسى عليه السلام، وقال داعياً عليهم: ﴿ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ﴾ أي ليس أحد يطعني منهم فيتمثل أمر الله ويوجب إلى ما دعوت إليه إلا أنا وأخي هارون: ﴿ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ قال العوفي عن ابن عباس يعني اقض بيني وبينهم. تفسير ابن كثير (٤١/٢).

تقدم أنه أقسم بإعطائها لهم.

السؤال على الفصل الرابع عشر

من السفر الرابع

أنه قال: فنزع موسى ثياب هارون وألبسها أليعازر ابنه، ومات هارون^(١) في هورة الطور فكيف يحسن من موسى أن ينزع ثياب هارون قبل موته لا شيء أقبح من هذا، والله سبحانه لا يأمر بالقبيح، وما المُلجى إلى هذه العجلة. وهلاً صبر عليه حتى يموت ثم ينزعها.

السؤال على الفصل الخامس عشر

من السفر الرابع

أنه قال: فقال الله لموسى اصنع حية جرداء من نحاس، واجعلها آية لمن تلدغه حية، ينظر إليها فيحيا. فصنع موسى حية من نحاس وجعلها علامة، فكل رجل كانت تلدغه حية، كان ينظر إلى حية النحاس فيعيش.

فكيف يحسن ذلك، وهذه أحوال أرباب الخواص من الحكماء، لا أرباب الشرائع، أبلغ من إحالته على دواء من الأدوية الطبية، فضلاً عن إحالته على صورة من نحاس كعادة الخارجين عن الشرائع أرباب الخواص والطلاسم لا شيء أبعد من هذا عن نفس الشرائع المقتضى لجميع القلوب على توحيد الله تعالى، وإضافة التأثيرات جميعها إليه سبحانه. لاسيما شريعة اليهود الموافقين على التوحيد وهذا كتابهم^(٢).

(١) قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٣] أي وأجبنا سؤاله وشفاعته في أخيه فجعلناه نبياً كما قال في الآية الأخرى: ﴿ وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْتُهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۗ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ [القصص: ٣٤] وقال: ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَىٰ ﴾ [طه: ٣٦] وقال فأرسل إلى هارون، وهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون".

ولهذا قال بعض السلف ما شفع أحد في أحد شفاعته في الدنيا أعظم من شفاعته موسى في هارون أن يكون نبياً قال الله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾ .

قال ابن جرير بسنده عن عكرمة قال: قال ابن عباس قوله ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾ قال: كان هارون أكبر من موسى ولكن أراد أن يهب له نبوته، وقد ذكره ابن أبي حاتم معلقاً عن يعقوب وهو ابن إبراهيم الدورقي به. تفسير ابن كثير (٣/١٢٩).

(٢) قال قتادة: قال موسى عليه السلام: يارب إني أجد في الألواح أمة هي خير أمة أخرجت للناس

السؤال على الفصل السادس عشر من السفر الرابع

أنه قال: ثم ارتحل بني إسرائيل يرد إلى سيحون ملك الأموريين، فقالوا له: نجوز من أرضك ولا نميل إلى مزرعة ولا كرم، ولا نشرب الماء من جبابكم نلزم الجادة حتى نخرج من حدود أرضك.

فأبى سيحون يتركهم يجوزون في أرضه، وجمع سيحون جيشه كله تلقاء بني إسرائيل إلى القفار.

فكيف يقدر سيحون أن يجمع جيشاً يمنع بني إسرائيل أن يجوزوا أرضه مع أن بني إسرائيل ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسون رجلاً، كما تقدم وأي جيش يقف قبالتهم أو يقضي عليهم إلا أن يكون أكثر منهم وإن الشام جميعه ليضيق عن هاتين الطائفتين، ولا يحملهما أصلاً.

فكيف وظاهر كلامه أنهما في بقعة واحدة منه، وأن فيه ملوكاً آخر، وجيوشاً

يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، رب اجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد.

قال: رب إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون في الخلق، السابقون في دخول الجنة، رب اجعلها أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: رب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرأونها، وكان من قبلهم يقرأون كتابهم نظراً، حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئاً ولم يعرفوه، وإن الله أعطاكم أيتها الأمة من الحفظ شيئاً لم يعطه أحداً من الأمم، قال: رب اجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد.

قال رب إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر، ويقاتلون فضول الضلالة حتى يقاتلوا الأعداء الكذاب فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد.

قال: رب إني أجد في الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم، ويؤجرون عليها وكان من قبلهم من الأمم إذا تصدق بصدقة فقبلت منه بعث الله عليها ناراً فأكلتها، وإن ردت عليه تركت فتأكلها السباع والطيور.

وإن الله أخذ صدقاتهم من غيبهم لفقيرهم، قال: رب فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد قال: رب فإني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال: رب اجعلهم أمتي قال: تلك أمة أحمد.

قال: رب إني أجد في الألواح أمة هم المشفعون المشفوع لهم، فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد. قال قتادة: فذكر لنا أن موسى عليه السلام نبذ الألواح، وقال: اللهم اجعلني من أمة أحمد. البداية والنهاية لابن كثير (١/٣١٨/٣١٩).

أخر، كما ذكره بعد مراراً وكما ذكره هنا بعد هذا في هذا الفصل بقوله: فخرج إليهم ملك (متشين)^(١) فتلقاهم بجنوده ليقاتلهم في إذرعي، فقال الله لموسى لا تخشه، فإني مسلمه هو وشعبه في يدك وأرضه كلها، فافعل به كما فعلت بسيحون ملك الأموريين. وسنذكر بعده أيضاً بالق بن صفور، ملك مؤاب وجيوشه.

وسنذكر في الفصل التاسع أنهم قتلوا ملوك مدين، وهم خمسة وجيوشهم، وغنموا منهم من الغنم ستمائة وخمسة وسبعون ألفاً، ومن البقر اثنان وسبعون ألفاً ومن الحمير واحد وستون ألفاً، ومن النساء ما لم يمسه الرجال اثنان وثلاثين ألفاً، هذا مما لا يقبله العقول أصلاً أن الشام تكون فيه هذه الملوك وهذه الجيوش كلها.

السؤال على الفصل السابع عشر من السفر الرابع

من وجوه:

أحدها: أنه قال: فأتى الله بلعام^(٢) في الليل وقال له: إن كان هؤلاء القوم إنما

(١) كذا بالأصل وما وجدناه بالنسخة التي بين أيدينا (باشان).

(٢) زعم ابن إسحاق أن الذي فتح بيت المقدس هو موسى وإنما كان يوشع على مقدمته وذكره في مروره إليها قصة بلعام بن باعوراء الذي قال تعالى فيه: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (١٧٤) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٥) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿ [الأعراف: ١٧٥-١٧٧].

قال ابن عباس وغيره: يعلم الاسم الأعظم وأن قومه سألوه أن يدعو على موسى وقومه فامتنع عليهم ولما ألخوا عليه ركب حمارة له ثم سار نحو معسكر بني إسرائيل فلما أشرف عليهم ربضت به حمارته فضرها حتى قامت فسارت غير بعيد وربضت فضرها ضرباً أشد من الأول فقامت ثم ربضت فضرها فقالت له: يا بلعام أين تذهب أما ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم فلم ينزع عنها فضرها حتى سارت به حتى أشرف عليهم من رأس جبل حسيان، ونظر إلى معسكر موسى وبني إسرائيل فأخذ يدعو عليهم فجعل لسانه لا يطيعه إلا أن يدعو لموسى وقومه ويدعو على قوم نفسه فلاموه على ذلك فاعتذر إليهم بأنه لا يجري على لسانه إلا هذا، وانلدع لسانه حتى وقع على صدره، وقال لقومه: ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة، ولم يبق إلا المكر والحيلة، ثم أمر قومه أن يزينوا

جاءوا ليدعوك فانطلق معهم ولا تقل لهم إلا الذي أقوله لك.

فقام بلعام غدوة فركب أتاناه، وانطلق مع عظماء مؤاب.

فغضب الله عليه لما ذهب، فقام ملك الله على الطريق ليذيعه وهو على أتاناه ومعه غلامان له، فأبصرت الأتان ملك الله قائماً على الطريق مستلاً سيفه بيده (صلتاً)^(١) فعدلت الأتان عن الطريق، فدخلت في حدث، فضرب بلعام الأتان ليردها إلى الطريق.

فكيف يحسن أن يأذن الله لبلعام في الانطلاق معهم، ثم يغضب عليه لما ذهب. وكيف يحسن أن ترى الأتان ملك الله ولا يراه بلعام، مع علو مرتبته. وكيف يحسن أن يقال: إن ملك الله قام على الطريق مستلاً سيفه ليذيعه وهو مطيع لأمر الله تعالى، بدون هذا لو نهاه لما ذهب وبدون ما ذكره عقبيه هذا من تطويلات لا نرى أن نطيل بذكرها، والأسئلة عليها.

الثاني: أنه قال فكانت عدة بني إسرائيل ستمائة ألف وسبعمائة وثلاثين.

كيف يحسن ذلك وقد ذكر في تفصيلهم^(٢) ما يدل على أن عددهم خمسمائة

النساء ويعثوهن بالأمتعة يعين عليهم ويتعرضن لهم لعلمهم يقعون في الزنا فإنه متى زنى رجل منهم كفيتموهم ففعلوا وزينوا نساءهم ويعثوهن إلى المعسكر فمرت امرأة منهم اسمها كستي برجل من عظماء بني إسرائيل وهو زمري بن شلوم، يقال: إنه كان رأس سبط بني شعون بن يعقوب فدخل بها قبته فلما خلاها أرسل الله الطاعون على بني إسرائيل فجعل يحوس (يتخلل) فيهم فلما بلغ الخبر إلى فنخاص بن العازر بن هارون أخذ حربته، وكانت من حديد فدخل عليهما القبة فانتظمهما جميعاً فيها ثم خرج بهما على الناس والحربة في يده وقد اعتمد على خاصرته وأسندها إلى لحيته ورفعهما نحو السماء وجعل يقول: اللهم هكذا تفعل بمن يعصيك ورفع الطاعون فكان جملة من مات في تلك الساعة سبعين ألفاً والمقلل يقول عشرين ألفاً، وكان فنخاص بكر أبيه العازر بن هارون، فلهمذا يجعل بنو إسرائيل لولد فنخاص من الذبيحة اللبية والذراع واللحي، وهم البكر من كل أمواهم وأنفسهم. البداية والنهاية (١/٣٥١)، (٣٥٢).

(١) كذا بالأصل.

(٢) أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يكتب أسماء المقاتلة من بني إسرائيل ممن يحمل السلاح ويقاتل ممن بلغ عشرين سنة فصاعداً وأن يجعل على كل سبط نقيباً منهم. السبط الأول: سبط روبيل لأنه بكر يعقوب وكان عدة المقاتلة منهم ستة وأربعين ألفاً وخمسمائة ونقيبهم منهم وهو إلهود بن شديثورا.

ألف وواحد وسبعون ألفاً وسبعمائة وثلاثون.

وقبيلة شعون اثنان وعشرون ألفاً ومائتان وقييلة جاد أربعون ألفاً وخمسمائة،
 وقبيلة يهوذا ستة وأربعون ألفاً وخمسمائة، وقبيلة استاخر أربعة وستون ألفاً وثلاثمائة،
 وقبيلة زبولون ستون ألفاً وخمسمائة وقبيلة منسي بن يوسف اثنان وخمسون ألفاً
 وسبعمائة، وقبيلة افرايم بن يوسف اثنان وثلاثون ألفاً وخمسمائة، وقبيلة بنيامين خمسة
 وأربعون ألفاً وستمائة، وقبيلة شوخم أربعة وستون ألفاً وأربعمائة، وقبيلة أشير ثلاثة
 وخمسون ألفاً وأربعمائة، وقبيلة نفتالي خمسة وأربعون ألفاً وأربعمائة، واعلم أن على ما
 صرح به هنا هذا العدد عدد موسى وهارون في برية سيناء، قال: ولم يكن في هذا
 العدد واحد ممن عدده موسى وهارون في برية سيناء، بل بادوا أولئك جميعهم، لأنه قال
 هنا وهناك إني أقتلهم في القفار ولا أبقى منهم أحداً.

وبنو لاوي ثلاثة وعشرون ألفاً ذكراً من ابن شهر فما فوقه ولم يعدوا في بني

السيط الثاني: سبط شعون وكانوا تسعة وخمسين ألفاً وثلاثمائة، وتقييمهم سلوميئيل بن هو
 ريشداي.

السيط الثالث: سبط يهوذا وكانوا أربعة وسبعين ألفاً وستمائة وتقييمهم نحشون بن عميناداب.

السيط الرابع: سبط إيساخر وكانوا أربعة وخمسين ألفاً وأربعمائة، وتقييمهم نشائيل ابن صوغر.

السيط الخامس: سبط يوسف عليه السلام وكانوا أربعين ألفاً وخمسمائة وتقييمهم يوشع بن
 نون، السبط السادس: سبط ميشا وكانوا واحداً وثلاثين ألفاً ومائتين وتقييمهم جمليئيل بن
 فدهصور، السبط السابع: سبط بنيامين وكانوا خمسة وثلاثين ألفاً وأربعمائة وتقييمهم أبيدن بن
 جدعون، السبط الثامن: سبط جاد وكانوا خمسة وأربعين ألفاً وستمائة وخمسين رجلاً وتقييمهم
 إلياساف بن رعوثيل، السبط التاسع سبط أشيد وكانوا واحداً وأربعين ألفاً وخمسمائة وتقييمهم
 فجمعيئيل بن عكرن، السبط العاشر: سبط دان وكانوا اثنين وستين وسبعمائة وتقييمهم
 أخيعرز بن عمشاي، السبط الحادي عشر: سبط نفتالي وكانوا ثلاثة وخمسين ألفاً وأربعمائة ،
 وتقييمهم أخيرع بن عين.

السيط الثاني عشر: سبط زبولون وكانوا سبعة وخمسين ألفاً وأربعمائة وتقييمهم الباب بن حيلون.

هذا نص كتابهم الذي بأيديهم والله أعلم، وليس منهم بنو لاوي فأمر الله موسى أن لا يعدلوهم
 معهم لأنهم مولكون بحمل قبة الشهادة وضربها ونصبها وحملها إذا ارتحلوا وهم سبط موسى
 وهارون عليهما السلام وكانوا اثنين وعشرين ألفاً من ابن شهر فما فوق ذلك. البداية والنهاية
 (٣٥٠/١، ٣٥١).

إسرائيل كما صرح، به هنا^(١).

السؤال على الفصل الثامن عشر من السفر الرابع

أنه قال: فقال الله لموسى قد صدقت بنات صلفحد، هن ذكروا ميراث، فأقسم لهن ميراثاً مع الجماعة، وقل لبني إسرائيل أيما رجل مات وليس له ذكر فترثه ابنته، فإن لم يكن له ابنة فليرثه أخوه، وإن لم يكن له أخ فليرثه عمه، وإن لم يكن له عم فليرثه أدنى القبيلة إليه، ولتكن هذه سنة لبني إسرائيل كما أوصى الله لموسى.

فكيف يحسن ذلك مع لفظ قوله كما أوصى الله لموسى ينفي تقدم الوصية من الله لموسى ولم يوص سوى الآن. وأيضاً فإن ظاهر قوله أوصى الله لموسى لفظ غيبه يقتضي أن الله وموسى عن الحاكي والمحكى له.

السؤال على الفصل التاسع عشر من السفر الرابع

أنه قال: وقال الله لموسى ارق إلى هذا الجبل وهو جبل العبرانيين، فانظر إلى أرض كنعان التي وهبت لبني إسرائيل فابصرها ثم الحق شعبك^(٢) كما لحق هارون أخوك،

(١) لم يعد وكما ذكر قبل هذا لأنهم كانوا هم الموكلون بحمل قبة الشهادة وضربها ونصبها، قال ابن كثير عن بني لاوي في البداية والنهاية (٣٥١/١): هم في أنفسهم قبائل من كل قبيلة طائفة من قبة الزمان يحرسونها ويحفظونها ويقومون بمصالحهم ونصبها وحملها وهم كلهم حولها ينزلون ويرتحلون أمامهم ويمتتها وشالها ووراءها وجملة ما ذكر من المقاتلة غير بني لاوي خمسمائة ألف وواحد وسبعون ألفاً وستمائة وخمسون لكن قالوا فكان عدد بني إسرائيل ممن عمره عشرون سنة فما فوق ذلك ممن حمل السلاح ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسة وخمسين رجلاً سوى بني لاوي، وفي هذا نظر فإن جميع الجمل المتقدمة إن كانت كما وجدنا في كتابهم لا تطابق الجملة التي ذكروها والله أعلم، فكان بنو لاوي والموكلون يحفظ قبة الزمان يسيرون في وسط بني إسرائيل وهم القلب ورأس الميمنة بنو روبيل، ورأس الميسرة بنو ران وبنو نفتالي يكونون ساقه.

وقدر موسى عليه السلام بأمر الله تعالى له الكهانة في بني هارون كما كانت لأبيهم من قبلهم وهم تاداب وهو بكره وأبيهو والعازر ويثمر. البداية والنهاية (٣٥١/١).

(٢) روى البخاري في صحيحه (٣٤٠٧) كتاب أحاديث الأنبياء، ٣٣ باب وفاة موسى وذكره بعد، عن أبي هريرة قال: أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام، فلما جاءه صكه، فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال: ارجع إليه فقل له يضع يده على

من أجل أنكما مررتمَا كلمة فمي في قفارصين في خصام الجماعة ولم تقدسانني بالماء. ظاهر هذا الكلام أن الله تعالى عاقب موسى عليه السلام بأن أراه أرض كنعان التي وعدّها بني إسرائيل وأماتته، ولم يدخله إياها كما فعل بهارون من أجل أنهما مررا كلمة فم الله تعالى في خصام الجماعة وكيف يحسن أن يعاقب موسى بهذا السبب وليس لموسى فيه ذنب، فإن الجماعة هم الذين تأكدوا وخالفوا الله تعالى، وخالفوا موسى

متن ثور، فله بما غطت يده بكل شعرة سنة، قال: أي رب، ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن، قال: فسأل الله أن أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر قال أبو هريرة رضي الله عنه: فقال رسول الله ﷺ: «لو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر» ورواه مسلم [١٥٧ - (٢٣٧٢)] كتاب الفضائل، باب فضائل موسى عليه السلام. وقال النووي: أما سؤاله الإدناء من الأرض المقدسة فلشرفها وفضيلة من فيها من المدفونين من الأنبياء وغيره.

قال بعض العلماء: وإنما سأل الإدناء ولم يسأل نفس بيت المقدس لأنه خاف أن يكون قبره مشهوراً عندهم فيفتش به الناس، وفي هذا استحباب الدفن في المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والقرب من مدافن الصالحين والله أعلم.

قال المازري: وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث، وأنكروا تصوره، قالوا: كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت، قال: وأجاب العلماء عن هذا بأجوبة: أحدها: أنه لا يمتنع أن يكون موسى ﷺ قد أذن الله تعالى له في هذه اللطمة ويكون ذلك امتحاناً للملطوم والله سبحانه وتعالى يفعل في خلقه ما شاء ويمتحنهم بما أراد.

والثاني: أن هذا على المجاز، والمراد أن موسى ناظره وحاجه فغلبه بالحجة، ويقال: فقأ فلان عين فلان إذا غلبه بالحجة، ويقال: عورت الشيء إذا أدخلت فيه نقصاً قال: وفي هذا ضعف لقوله ﷺ: «فرد الله عينه» فإن قيل أراد رد حجته كان بعيداً.

والثالث: أن موسى ﷺ لم يعلم أنه ملك من عند الله وظن أنه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها فأدت المدافعة إلى فقء عينه لأنه قصدها بالفقء وتؤيده رواية صكه، وهذا جواب الإمام أبي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين واختاره المازري والقاضي عياض قالوا: في الحديث تصريح بأنه تعمد فقء عينه، فإن قيل: فقد اعترف موسى حين جاءه ثانياً بأنه ملك الموت، فالجواب أنه أتاه في المرة الثانية بعلامة علم بها أنه ملك الموت فاستسلم بخلاف المرة الأولى والله أعلم، قوله في الرواية الثانية: فالآن من قريب رب أمتني بالأرض المقدسة رمية بحجر هكذا هو في معظم النسخ أمتني بالميم والتاء والنون من الموت، وفي بعضها أدنني بالدال ونونين وكلاهما صحيح. (النووي في شرح مسلم (١٥/١٠٥، ١٠٦) طبعة دار الكتب العلمية).

وقاسى موسى منهم أمرّ المقاساة.

وأما أمر القرابين ففيه من التطويلات ما لا يرى أن نطيل الكتاب بالأسئلة عليه.

السؤال على الفصل العشرين

من السفر الرابع

أنه قال فاشتد غضب الله عليهم فحلف ألا يرى من كان ابن عشرين سنة فما فوق ذلك من الرجال الأرض التي حلف لإبراهيم وإسحاق ويعقوب من أجل أنه لم يتم مع أحد غير كالب بن موقينا ويوشع بن نون أنهما تبعا هوى الله.

فكيف يحسن أن يقال اسم الله تعالى حلف ألا يريهم الأرض التي حلف لأبائهم عليها أن يعطيهم إياها والله سبحانه وتعالى منزه عن الحلف فيما وعد به فكيف ما حلف عليه، فكيف حلفه على الحلف. وأيضاً فكيف يحسن أن يقال إنه سبحانه وتعالى يحلف على فعل، فإنه متمكن من أن يفعل ما يشاء من غير حلف لا يحتاج إلى أن يلزم نفسه بالحلف بفعل شيء، وأما ذكر منازلهم في سفرهم، فتطويل حال من الفائدة.

السؤال على الفصل الحادي والعشرين

من السفر الرابع

من وجهين:

أحدهما: أنه قال: ثم أوصى موسى بني إسرائيل وقال لهم: اقسموا هذه الأرض بالسهم من تسعة أسباط ونصف سبط كما أمر الله، وألا يراه على هذا من وجهين: أحدهما: أنه كيف يحسن أن يخبر الله تعالى موسى في التوراة التي أنزلها عليه بأن موسى وصى بني إسرائيل. هذا خبر لا فائدة فيه، كان موسى إن كان أوصى بني إسرائيل فهو عالم بأنه أوصاهم مع أنه لفظ غيبه موهم.

وثانيها: فكيف يحسن أن يقول لهم موسى اقسموا هذه الأرض بالسهم من تسعة أسباط ونصف وهم إلى الآن لم يدخلوها^(١) بدليل ما قبل هذا أو ما بعده أما قبله

(١) الذي عليه الجمهور أن هارون توفي بالتيه قبل موسى أخيه بنحو سنتين، وبعده موسى في التيه أيضاً كما قدمنا وأنه سأل ربه أن يقربه إلى بيت المقدس فأجيب إلى ذلك، فكان الذي خرج بهم من التيه وقصد بهم بيت المقدس هو يوشع بن نون عليه السلام.

فذكر أهل الكتاب وغيرهم من أهل التاريخ أنه قطع بني إسرائيل نهر الأردن وانتهى إلى أريحا وكانت من أحصن المدائن سوراً وأعلها قصوراً وأكثرها أهلاً فحاصرها ستة أشهر ثم أنهم

فقوله وكلم الله موسى وقال له: قل لبني إسرائيل بل إنكم ستدخلون إلى الأرض، أرض كنعان هذه الأرض التي تقسم لكم ميراثاً بلفظ ستدخلون، وهو مضارع مقترن بحرف التنفيس، وهو السين المختصة بحرف المستقبل.

وأما بعده فقوله: ثم كلم الله موسى، وقال له: قل لبني إسرائيل إذا عبرتم إلى الأرض أرض الكنعانيين فأعدوا لكم مدناً يفر إليهن من قتل نفساً خطأً بلفظ إذا، وهي طرف لما تستقبل من الزمان، وبدليل قوله في آخر الفصل الثاني والعشرين هذه الوصايا والسنن والقضايا التي أوصى الله على يدي موسى في عربات مؤاب على الأرض مقابل أريحا.

وثالثهما: أنه قال في آخر الفصل: ولا تنجسوا أرض مسكنكم فإني نازل فيها من أجل أي أنا الله، الحال بين بني إسرائيل، والله سبحانه وتعالى منزه عن نزوله في أرض من مسكنهم، وعن الحلول فيهم.

السؤال على الفصل الثاني والعشرين

من السفر الرابع

أنه قال: ثم قام رؤساء آباء من عشيرة بني جلعاد بن بني ماكير بن منسى من قبيلة منسى بن يوسف فقالوا لموسى واليعازر الحبر، وعظماء الجماعة ورؤساء آباء

أحاطوا بها يوماً وضربوا بالقرون يعني الأبواق وكبروا تكبيرة رجل واحد فتفسخ سورها وسقط وجبة واحدة فدخلوها وأخذوا ما وجدوا فيها من الغنائم وقتلوا اثني عشر ألفاً من الرجال والنساء وحاربوا ملوكاً كثيرة.

ويقال: إن يوشع ظهر على واحد وثلاثين ملكاً من ملوك الشام.

وذكروا أنه انتهى محاصرته لها إلى يوم جمعة بعد العصر، فلما غربت الشمس أو كادت تغرب ويدخل عليهم السبت الذي جعل عليهم وشرع لهم ذلك الزمان قال إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علي، فحبسها الله عليه حتى تمكنوا من فتح البلد وأمر القمر فوقف عند الطلوع، وهذا يقتضي أن هذه الليلة كانت الليلة الرابعة عشرة من الشهر الأول وهو قصة الشمس المذكورة في الحديث يقصد ما رواه الإمام أحمد في مسنده رقم (٨٣٢٢) عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ «إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس» وفيه دلالة على أن الذي فتح بيت المقدس هو يوشع بن نون عليه السلام لا موسى، وأن حبس الشمس كان في فتح بيت المقدس لا أريحا. البداية والنهاية لابن كثير (٣٥٣/١).

أسباط بني إسرائيل أن الله قد قال لربنا وأمره^(١) أن يعطي بنات صلفحاد ميراثاً من بني إسرائيل بقرعة بينهم.

فكيف يحسن أن يقال: إن الله قال لربنا، وأمره وليس لهم ربٌ غير الله، واليهود الذين أنزلت عليهم التوراة موافقون على التوحيد والنصارى وإن ثلثوا إلا أنهم لم يقولوا إن موسى إله ولا جرى هنا لعيسى ذكر حتى يحملوه عليه.

السؤال على السفر الخامس من التوراة

وهو سفر الاستثناء^(٢)

من وجوه:

أحدها: أنه قال بعد نصف ورقة، فكيف أطيع وحدي ثقلكم وقضاءكم، فاختاروا منكم رجالاً حكماء ذوي فطنة معلومين من أسباطكم أجعلهم رؤساء عليكم فأجبتهم وقتلتم في هذا قولاً حسناً تفعلونه فعمدت إلى رجال حكماء معلومين وجعلتهم رؤساء أسباطكم، رءوس ألوف، ورءوس مائتين، ورءوس خمسين، ورءوس عشرة كتاباً لأسباطكم.

ثم قلت لقضاتكم، وأوصيتم (...)^(٣) وأن يسمعوا من أخوتهم، ويقضوا بينهم بالحق، والرجل الواحد يمكنه أن ينتصب قاضياً لعشرة آلاف، وأما أنه ينصب بكل ألف قاضياً، ولكل مائة قاضياً، ولكل خمسين قاضياً، ولكل عشرة قاضياً لهذا مما لا تدعوا إليه الحاجة أصلاً.

وثانيها: أنه قال بعد ورقة ونصف منه: فإن الله ربكم يذهب قدامكم، وهو يقاتل عنكم، والله سبحانه وتعالى منزه عن الذهاب قدامهم، فإن الذهاب والظرفية من صفات الأجساد.

وثالثها: أنه قال عقيبه ولم تؤمنوا بالله ربكم الذي يسير أمامكم في الطريق، والله

(١) قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

(٢) كذا بالأصل وهو سفر التثنية وسي بذلك لأنه يكرر ويعيد التعاليم التي أوحاها الله إلى موسى عليه السلام، ومعظمه يدور حول الشؤون التشريعية والاقتصادية والسياسية الخاصة ببني إسرائيل.

(٣) كلمة غير واضحة بالأصل والكلام في النسخة التي بين أيدينا «وأمرت قضاتكم في ذلك الوقت قائلاً اسمعوا بين أخوتكم واقضوا بالحق بين الإنسان وأخيه ونزيله».

سبحانه منزّه عن ذلك أيضاً.

ورابعها: أنه قال عقبيه فسمع الله كلامكم، وغضب وحلف ألا يرى أحد من هؤلاء القوم من هذا الجليل الشرير الأرض الصالحة التي حلف لأبائهم أنني سأعطيهم إياها إلا أن يكون كالب بن يوقينا^(١)، فهو يراها وإياه أعطى الأرض التي شافها هو وبنيه من أجل أنه أتم على أمر الرب، وغضب علي أنا أيضاً من أجلكم وقال: إنك لن تدخل أنت أيضاً هنا ولكن يوشع بن نون الذي بين يديك وهو يدخل. والكلام على هذا من وجهين:

أما أولاً: فإنه سبحانه وتعالى غير محتاج إلى إلزام نفسه بالحلف بل يفعل ما يشاء لا يلجئ له إلى خلافه.

وأما ثانياً: فإنه كيف يحسن أن يحلف ألا يريهم الأرض التي حلف لأبائهم أنه سيعطيهم إياها.

وخامسها: أنه قال بعد ذلك بثلاث ورقات ذرني فأعبر الآن إلى هذه الأرض الصالحة وأنظر إليها التي في غير الأردن إلى هذا الجبل الصالح ولبنان، فغضب ربي علي ولم يسمع لي وقال لي حسبك لا تعد (أيضاً)^(٢) يقول مثل هذا القول قدامي. فكيف يحسن أن يقال أن موسى قال: ذرني فأعبر الآن إلى هذه الأرض

(١) قال تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْتَعَماً اللَّهُ عَلَيْمَاِ ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣]

قال ابن كثير في تفسيره: أي فلما نكل بنو إسرائيل عن طاعة الله ومتابعة رسول الله موسى ﷺ حرّضهم رجلان لله عليهما نعمة عظيمة وهما ممن يخافا أمر الله ويخشاه عقابه وقرأ بعضهم: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ أي ممن لهما مهابة وموضع من الناس، ويقال لهما يوشع بن نون والرب بن يوفنا، قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطية والسدي والربيع بن أنس وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله فقالوا: ﴿ ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ أي إن توكلتم على الله واتبعتم أمره ووافقتكم رسوله نصركم الله على أعدائكم وأيديكم وظفركم بهم ودخلتم البلد التي كتبها لكم فلم ينفع ذلك فيهم شيئاً ﴿ قَالُوا يَنْمُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢٤]. تفسير ابن كثير (٢/٣٩، ٤٠).

(٢) كذا بالأصل.

الصالحة، حتى غضب الله عليه، بهذا القول بعد أن تقدم في السؤال الرابع أنه سبحانه غضب عليه وقال: إنك لن تدخل أنت أيضاً هنالك^(١)، أما كان في خير الله أولاً أنه لا يدخلها كفاية أم لم يكن في غضب الله تعالى عليه، أولاً: زاجر له عن السؤال.

ثانياً: مع أن أقل درجات حال المؤمن الامتثال لأوامر الله تعالى ونواهيه، والوقوف عند زواجره، فكيف شأن العارف بالله تعالى، فكيف مقام النبوة.

وسادسها: أنه قال بعد ذلك بخمس ورقات، وكذلك يفعل الله ربك بالأمم الذين كنت تخشاهم، وسوف يرسل الله ربك (فيجلس)^(٢) فيهم البخل حتى يبيدهم. ثم من بقي منهم أو اختبأ فلا تجيبهم من أجل أن الله إلهك فيك الله الكبير المخشى، ويهلك الله ربك هذه الأمم من قدامك قليلاً قليلاً. لأنك لا تستطيع أن تبيدهم عاجلاً، والكلام على هذا من وجوه: أما أولاً: فإذا كان مهلك هذه الأمم قليلاً قليلاً هو الله (لا شيء غيره)^(٣). فكيف يحسن أن يقال ثم من تبقى منهم أو اختبأ فلا تجيبهم^(٤).

(١) كانت وفاة هارون عليه السلام ثم بعده بمدة ثلاث سنين وفاة موسى الكليم عليه السلام وأقام الله فيهم يوسع بن نون عليه السلام نبياً خليفة عن موسى بن عمران ومات أكثر بني إسرائيل هناك في تلك المدة، ويقال: إنه لم يبق منهم أحد سوى يوشع وكالب، ومن ههنا قال بعض المفسرين في قوله ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٢٦] هذا وقف تام، وقوله: ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ منصوب بقوله: ﴿يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ فلما انقضت المدة خرج بهم يوشع بن نون عليه السلام أو بمن بقي منهم وبسائر بني إسرائيل من الجيل الثاني فقصدهم بيت المقدس فحاصرها فكان فتحها يوم الجمعة بعد العصر، فلما تضيفت الشمس للغروب وخشي دخول السبت عليهم قال: إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علي، فحبسها الله تعالى حتى فتحها وأمر الله يوشع بن نون أن يأمر بني إسرائيل حين يدخلون بيت المقدس أن يدخلوا بابها سجداً وهم يقولون حطة أي حط عنا ذنوبنا فبدلوا ما أمروا به ودخلوا يزحفون على استاهم وهم يقولون حبة في شعرة. (تفسير ابن كثير (٤١/٢)).

(٢) كذا بالأصل.

(٣) كلمة غير واضحة بالأصل وكتبناها بما يوافق النص.

(٤) قال تعالى ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ لما دعا عليهم موسى عليه السلام حين نكلوا عن الجهاد حكم الله بتحريم دخولها عليهم قدر مدة أربعين سنة فوقعوا في التيه يسرون دائماً لا يهتدون للخروج منه وفيه كانت أمور عجيبة وخوارق كثيرة من تظليلهم بالغمم وإنزال المن والسلوى عليهم ومن إخراج الماء الجاري من صخرة صماء تحمل معهم على دابة، فإذا ضربها موسى بعصاه انفجرت من ذلك الحجر اثنا عشرة عينا تجري لكل

أما ثانياً: فكيف يحسن أن يقال: من أجل أن الله إهلك فيك، والله سبحانه منزّه عن الحلول في موسى واليهود المنزل عليهم هذا الكتاب موافقون على أن الله تعالى لا يحل في موسى، وكذلك النصارى وإن قالوا بالحلول في عيسى لكن لم يقولوا بالحلول في موسى على أن الحال في بدن عيسى عندهم إنما هو لاهوت الابن، أما لاهوت الأب الذي هو الله عندهم فلا.

وأما ثالثاً: فكيف يحسن أن يعلل إهلاك الله هذه الأمم قليلاً قليلاً، بأن موسى لا يستطيع أن يبيدهم عاجلاً فإن الله الذي أهلكهم قليلاً قليلاً يستطيع أن يبيدهم عاجلاً، أيضاً فلا يصح هذا التعليل.

أما لو كان مهلكهم قليلاً قليلاً هو موسى، صح أن يعلل ذلك بأنه لا يستطيع هو أن يهلكهم عاجلاً، فلماذا أبادهم قليلاً قليلاً، لكن لما كان مهلكهم هو الله سبحانه وتعالى^(١) امتنع هذا التعليل.

وسابعها: أنه قال بعد هذا بورقة: واعلم أن الله ربك هو يعبر قدامك هو نار كله فيبيدهم ويكسرهم من قدامك ويدمر عليهم ويهلكهم عاجلاً كما قال الله ربك. والكلام عليه من وجوه:

أما أولاً: فكيف يحسن أن يقال إن الله ربك هو يعبر قدامك، والله سبحانه وتعالى منزّه عن العبور إلى الأرض المذكورة وغيرها.
وأما ثانياً: فكيف يحسن أن يقال: إن الله سبحانه هو نار كله والله سبحانه وتعالى منزّه عن النارية.

وأما ثالثاً: فكيف يحسن أن يقال: ويهلكهم عاجلاً^(٢). وقد قال قبيل هذا في

شعب عين وغير ذلك من المعجزات التي أيد الله بها موسى عليه السلام. تفسير ابن كثير (٤١/٢).

(١) قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [هود: ١١٧].

أخبر الله تعالى أنه لم يهلك قرية إلا وهي ظالمة لنفسها ولم يأت قرية مصلحة بأسه وعذابه قط حتى يكونوا هم الظالمين كما قال تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ [هود:

١٠١] وقال: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ تفسير ابن كثير (٤٧٦/٢).

(٢) لم يخرج أحد من التيه ممن كان مع موسى سوى يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وهو زوج مريم أخت موسى وهارون وهما الرجلان المذكوران اللذان أشارا على ملا بني إسرائيل بالدخول عليهم وذكر وهب بن منبه أن موسى عليه السلام مرّ بملاً من الملائكة يحفرون قبراً

السؤال السادس: أنه مهلكهم قليلاً قليلاً، هذا تناقض بين الخبرين.
وأما رابعاً: فكيف يحسن أن يقال كما قال ربك، ولم يتقدم قوله سبحانه: إلا أنه يهلكهم قليلاً قليلاً عاجلاً، كما بيناه، فلم يصح التشبيه المستفاد من الكاف في قوله كما.
وثامنها: أنه قال بعد هذا بثلاث ورقات، فاحفظوا جميع الوصايا التي أوصيتكم اليوم لتدخلوا وترثوا في الأرض التي تعبرون إليها لترثوها، وتكثر أيامكم في الأرض التي حلف لأبائكم أنه يعطيهم إياها ولخولوفهم، وهي أرض تفيض لبناً وعسلاً.
ومن أجل أن الأرض التي يدخلونها ليرثوها ليست مثل أرض مصر التي خرجتم منها التي كنتم تزرعون زرعكم وتسقونه بأرجلكم مثل بستان السقي إن الأرض التي تعبرون إليها وترثوها هي أرض جبال وآكام وتنال مساقبها مما تاطر السماء، وهي الأرض التي لا يزال الله يتعاهدها دائماً فيها عين الله ربك من أول السنة إلى آخر السنة^(١).

والكلام على هذا من وجوه:

أما أولاً: فكيف يحسن أن يجعل جزاء امتثال أوامر الله سبحانه وحفظ وصاياه دخول أرض من أراضي الدنيا، ولا يذكر جزاء الآخرة ولا ثوابها ولا نعيمها الدائم الباقي.
وأما ثانياً: فإن أرض مصر ليس زرعها بأرجلهم مثل بستان السقي، بل زرعها

فلم ير أحسن منه ولا أنضر ولا أبهج، فقال يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر؟ فقالوا: لعبد من عباد الله كريم فإن كنت تحب أن تكون هذا العبد فادخل هذا القبر وتمدد فيه وتوجه إلى ربك وتنفس أسهل تنفس، ففعل ذلك فمات صلوات الله وسلامه عليه فصلت عليه الملائكة ودفنوه. البداية والنهاية (١/٣٤٨).

(١) في ترمذ بني إسرائيل على ما رزقهم الله من المن والسلوى قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦١﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ^{*} وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ وَبَاءُوا بِغَضَبِ رَبِّكَ^{*} ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ^{*} ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦٢﴾ [البقرة: ٦٠، ٦١].

بمد النيل على أراضيها مع أن النيل أيضاً من ماء المطر الواقع بأراضي الحبشة ونواحيها.

وأما ثالثاً: فما تعاهد الله لهذه الأرض^(١) دائماً زيادة على أرض مصر إن كان بالمطر فليس هو دائماً مع أن تسيير ماء النيل إلى أرض مصر دون باقي أراضي الله تعالى كلها أعجب من المطر، وإن كان بوجه آخر فما هو لتعلمه وتنظر فيه.

وأما رابعاً: فما المراد بكون عين الله تعالى فيها من أول السنة إلى آخرها، وما الذي يظهر بذلك من زيادة التأثير في هذه الأرض عن أرض مصر.

وتاسعها: أنه قال بعد هذا بورتين، ولكن اذبحوا كل شيء تشتهيه أنفسكم وكلوا لحماً كالبركة التي أعطاكم الله في قراكم كلها ما حرم منه وما حل، فكلوه مثل الطيبي والإبل، ولكن لا تأكلوا الدم^(٢) بل اهرقوه على الأرض مثل الماء، والكلام على هذا من وجهين:

أحدهما: كيف يحسن أن يقال: وكلوا لحماً كالبركة ما حرم منه وما حل فكلوه، مع أن الحرام لا يأمر الله بأكله ولا يأذن فيه ولو أمر بأكله أو أذن فيه لما كان حراماً، فكيف يمكن أن يكون حراماً وأموراً بأكله^(٣). هذا تناقض ظاهر.

وثانيهما: أنه كان ينبغي أن يقال ولكن لا تشربوا الدم فإن الدم الذي يهريق

(١) روى البخاري في صحيحه (٤٤٧٩) كتاب التفسير، باب: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ [البقرة: ٥٨] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا: حطة فدخلوا يزحفون على أستاهم فبدلوا وقالوا: حطة حبة في شعرة».

(٢) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٢، ١٧٣] في قوله: "والدم": يعني به الدم المسفوح كقوله: ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ قاله ابن عباس وسعيد بن جبير، وروى ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس أنه سئل عن الطحال فقال: كلوه فقالوا: إنه دم فقال: إنما حرم عليكم الدم المسفوح. تفسير ابن كثير (٧/٢).

(٣) روى ابن ماجه في سننه (٣٣٦٧) كتاب الأطعمة عن سلمان الفارسي قال: سئل رسول الله ﷺ عن السمن والجبن والفراء؟ قال: «الحلال ما أحل الله في كتابه، والحرام ما حرم الله في كتابه، وما سكت عنه فهو مما عفا عنه».

على الأرض مثل الماء المشروب لا مأكول، والسؤالان يردان على قوله عقيب هذا بأسطر ولكن كلوه كما يؤكل الطيبي والإبل^(١) ما حرم منه وما حل جميعاً فكلوه، ولكن احتفظوا أن لا تأكلوا الدم.

وعاشرها: أنه قال بعد هذا بورقتين، وما كان من الطير طاهراً فكلوا ولا تأكلوا مما خبث، ولكن أعطه سكان أرضك تأكله أو بعض الغرباء، لأن شعبك طاهر لله ربك، لا تطبخ الجدي بلبن أمه، والكلام على هذا من وجهين:

أما أولاً: أن ظاهر هذا الكلام أن هذا المأكول محرم على بني إسرائيل وحدهم حلال لغيرهم من السكان والغرباء، وأن هذين الطائفتين ليسوا مكلفين بشريعة موسى ولا بغيرها كأهل مصر، وأن الله أهملهم بغير تكليف وبغير شريعة مع مخالطتهم، مع أهل الشريعة. وكيف يحسن هذا في الحكمة الإلهية أن تبالغ في هداية بني إسرائيل إلى هذا الحد من المبالغة، ويهمل غيرهم إلى هذا الحد من الإهمال، ولا يقال إنهم كانوا مكلفين بشريعة غير موسى إذ لو كان كذلك لما تعرض لهم موسى ولما قاتلهم.

وأما ثانياً: فكيف يحسن أن يحرم الجدي بلبن أمه مع أنه يؤكل بلبن أمه ويؤكل لحمه مع لحمها، فأى فرق بين الأول وبين الأخيرين^(٢).

(١) قال تعالى: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَعْضِمْ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٦]، قال ابن كثير: قال ابن جرير يقول تعالى: وحرمنا على اليهود كل ذي ظفر وهو البهائم والطيور ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والنعام والأوز والبط، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ﴾ وهو البعير والنعام وكذا قال مجاهد والسدي في رواية، وقال سعيد بن جبيرة هو الذي ليس منفرج الأصابع، وفي رواية عنه كل مفترق الأصابع ومنه الديك، وقال قتادة في قوله: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ﴾ وكان يقال البعير والنعام وأشياء من الطير والحيتان، وفي رواية البعير والنعام وحرم عليهم من الطير البط وشبهه وكلب شيء ليس بمشقوق الأصابع.

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا ﴾ قال السدي يعني الثرب وشحم الكليتين وكانت اليهود تقول إنه حرمه إسرائيل فنحن نحرمه وقال قتادة: الثرب وكل شحم كان كذلك ليس في عظم. تفسير ابن كثير (١٨٩/٢).

(٢) في قوله تعالى: ﴿ أَوْ الْحَوَايَا ﴾ قال الإمام أبو جعفر بن جرير الحوايا جمع واحدها حواوية

وحادي عشرها: أنه قال بعد هذا بثلاث ورقات وإن أنت عجزت عن الفصل في القضاء فيما بين الدم والدم، والحكم والحكم، والجرح والجرح، وبين الخصومة والخصومة، والخصومة وحكم القضاء في مدتك، فانطلقوا إلى المكان اختار الله ربكم وتصير إلى الحبر أو اللاوي أو القاضي الذي يكون في تلك الأيام وسلوه، فهو يخبركم بقضاء ما سألوه عنه ثم اصنع ما أمرت به في ذلك المكان كما أمرك الله ثم احفظ واعمل كما تعلمونك من فم السنة التي يدل لك عليها ويقول لك القضاة بأفواههم، ولا تزيغن عن الكلام الذي يقولون لك يمينا وشمالاً، والكلام على هذا من وجوه:

أما أولاً: فإن ظاهر قوله: وإن عجزت، أنه خطاب من الله لموسى عليه السلام ومتى عجز موسى عن الفصل في القضاء وهو سيد زمانه وعالم وقته ونبي أمته، فأبيحبر، أو لاو أو قاض يمكن أن يكون أعلم منه حتى يسأله ليخبره به.

فإن قيل: لعل هذا خطاب للخصم الذي يطلب التقاضي عند قاض ينطقه.

قلت: يأباه قوله: وإن أنت عجزت عن الفصل في القضاء فإن الخصم نفسه لا يفصل في القضاء بل الحاكم على الخصمين هو الذي يفصل فيه.

وأما ثانياً: فإن موسى صاحب الشرع في وقته وعليه ينزل الوحي من الله تعالى، ويكلمه شفاهاً^(١)، فأبيح قاض على رتبة منه حتى يأتمر موسى بأمره، ويقال له واعمل

وحواية وهو ما تحوى من البطن، فاجتمع واستدار وهي بنات اللبن وهي المباعر وتسمى المراض وفيها الأمعاء قال ومعنى الكلام: ومن البقر والغنم حرمننا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورها وما حملت الحوايا.

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أو الحوايا وهي المبعر وقال مجاهد: الحوايا المبعر والمريض وكذا قال سعيد بن جبير والضحاك وقتادة وأبو مالك والسدي وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد: الحوايا المراض التي تكون فيها الأمعاء تكون وسطها وهي بنات اللبن وهي في كلام العرب تدعى المراض. تفسير ابن كثير (١٨٩/٢).

(١) قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وهذا تشریف لموسى عليه السلام بهذه الصفة ولهذا يقال له الكليم وقد قال الحافظ أبو بكر بن مردويه بسنده عن أبي بكر بن عياش جاء رجل إليه فقال: سمعت رجلاً يقرأ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ فقال أبو بكر: ما قرأ هذا إلا كافر.... الحديث.

ثم قال: وإنما اشتد غضب أبي بكر بن عياش رحمه الله على من قرأ كذلك. لأنه حرف لفظ القرآن ومعناه وكان هذا من المعتزلة الذين ينكرون أن يكون الله كلم موسى عليه السلام أو

كما يعلمونك.

وأما ثالثاً: فإن القضاء لا يكون بين دم ودم، ولا بين حكم وحكم، ولا بين جرح وجرح، ولا بين خصومة وخصومة بل القضاء يكون في دم وفي حكم وفي جرح وفي خصومة.

وثاني عشرها: أنه قال بعد هذا بورقة وأن الله ربك يقيم نبياً من وسطك من بني إخوتكم مثلك، فأسمعه أمته، كالذي سألت الله أنك في حوريب يوم الاجتماع، يوم قلت لا أعود أسمع صوت الله أبي ولا أرى هذه النار العظيمة فأموت. فقال لي الله: نعم ما قالوا، وسوف أقيم لهم نبياً من إخوتك مثلك، وأجعل كلمتي في فيه، فيقول لهم كل شيء أمره به.

والكلام به من ثلاثة أوجه:

أما أولاً: فإن هذا الكلام نص صريح في أن الله تعالى يقيم نبياً بعد موسى منهم فالنبي المذكور لا بد أن يظهر قطعاً، وإلا لزم كذب التوراة، وهم لا يقولون بجواز ذلك، ولا نجد قد ظهر بعد موسى إلا شخصان عيسى ومحمد عليهما السلام، فأحدهما هو النبي قطعاً، فإن كان هو عيسى ثبت أن عيسى نبي لا إله كما زعموا، وإن كان هو محمد ثبت صحة نبوة محمد ﷺ^(١)، وقد أخبر محمد عليه الصلاة والسلام بأن عيسى نبي لا إله، فثبت أن عيسى نبي لا إله فلزم من هذا أن عيسى نبي لا إله على كلا

يكلم أحداً من خلقه كما روينا عن بعض المعتزلة أنه قرأ على بعض المشايخ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ فقال له يا بن اللحناء كيف تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ يعني أن هذا لا يحتمل التحريف ولا التأويل. تفسير ابن كثير (١/٥٨٧، ٥٨٨).
(١) قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

هذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بالطريق أولى والأحرى لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي ولا يعكس وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم.

قال الإمام أحمد بسنده عن أبي كعب ؓ عن النبي ﷺ قال: «مثلي في النبيين كمثل رجل بنى داراً فأحسنها وأكملها وترك فيها موضع لبنة لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون لو تم موضع هذه اللبنة؟ فأنا في النبيين موضع اللبنة» تفسير ابن كثير (٣/٥٠٩).

التقديرين قطعاً، وهذا أمر لا مخلص لهم منه أصلاً، فأحد الأمرين لازم.
 أما بطلان هذا النص أو بطلان ألوهية عيسى ونبوته ولا يمكن أن يقال لعل
 المذكور شخص ثالث سيظهر لأن هذا باطل بالاتفاق منا ومن النصارى.
 أما عندنا فلا نبي بعد محمد، وأما عندهم فلا نبي بعد عيسى لا محمد ولا غيره،
 فانحصر النبي المذكور في عيسى ومحمد قطعاً.

وأما ثانياً: فإن قوله: وسوف أقيم لهم نبياً من إخوتك مثلك يقتضي أن يوجد
 فيهم مثل موسى، وسيأتي في آخر التوراة، وقد نقلته في السؤال الثالث والعشرين قوله:
 ولم تقم بعد ذلك في بني إسرائيل مثل موسى^(١)، فقد تناقض الخبران.

وأما ثالثاً: فكيف يحسن قوله: كالذي سألت الله ربك بكاف التشبيه، وأي بقية
 بين ما قبل الكاف وما بعدها، فإن الأول إخبار عن الله بإقامته نبياً من بني إسرائيل،
 والثاني: إخبار عن أنفسهم أنهم لا يسمعون صوت الله خوفاً من الموت.

وأما رابعاً: فإن هذا الكلام إن كان خطاباً من الله تعالى لموسى لم يصح لتغير
 الكلام، وهو قوله يوم قلت لا أعود أسمع صوت ربي ولا أرى هذه النار العظيمة
 فأموت، فإن هذا إنما قاله بنو إسرائيل، لأنه كذا تقدم في موضعه المشار إليه بقوله يوم
 الاجتماع ولأن موسى لا يخاف من سماع صوت الله تعالى الموت، وإن كان خطاباً
 من موسى لبني إسرائيل لم يصح أيضاً آخر الكلام المذكور وهو قوله: يوم قلت بلفظ
 الأفراد، لأن التاء للمخاطب المفرد، والتاء والميم للمخاطب المجموع، وبنو إسرائيل
 جماعة، وكذا الضمائر المجتمعة الأخر، وهي الضمير في سألت، والضمير في ربك،

(١) قال تعالى في بشارة عيسى عليه السلام لنبوة محمد ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي
 إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي
 اسْمُهُ أَحْمَدُ فَأَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

يعني التوراة قد بشرت بي وأنا مصداق ما أخبرت عنه وأنا مبشر بمن بعدي وهو الرسول النبي
 الأمي العربي المكي أحمد، فعيسى عليه السلام وهو خاتم أنبياء بني إسرائيل وقد أقام في ملا
 بني إسرائيل مبشراً بمحمد وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا رسالة بعده ولا نبوة وما
 أحسن ما أورد البخاري الذي قال فيه بسنده عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله ﷺ
 يقول: «إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر وأنا الحاشر الذي
 يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب» وقد رواه مسلم نحوه. تفسير ابن كثير (٤/٣٥٩).

والضمير في أعود، والضمير في أسع، والضمير في ربي، والضمير في أرى، والضمير في أموت، فإن الضمائر الثمانية كلها ضمائر مفرد لا جماعة.

وثالث عشرها: أنه قال بعد هذا بأربع ورقات: ولأنهم استأجروا بلعام بن باعوراء^(١) من فتور أرام النهرين ليلعن بني إسرائيل، والله إلهك لم يحب أن يسمع من بلعام وجعل الله إلهك لعن بلعام بركات، لأن الله إلهكم أحبكم.
والكلام على هذا من وجهين:

أما أولاً: فكيف يحسن أن يقال: والله إلهك لم يحب أن يسمع، مع أن بلعام كما تقدم في الفصل السابع عشر من السفر الرابع لم يسأل من الله تعالى في حق بني

(١) قال تعالى: ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَآذَنَّا فَتَمَنَّاهُ فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥].

قال عبد الرزاق بسنده عن ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَآذَنَّا فَتَمَنَّاهُ ﴾ قال هو رجل من بني إسرائيل يقال له بلعام بن باعوراء.

وقال مالك بن دينار كان من علماء بني إسرائيل وكان بحجاب الدعوة يقدمونه في الشدائد بعثه نبي الله موسى عليه السلام إلى ملك مدين يدعوهم إلى الله فأقطعهم وأعطاهم دينه وترك دين موسى عليه السلام وأما المشهور في سبب نزول هذه الآية الكريمة فإنما هو رجل من المتقدمين في زمن نبي إسرائيل كما قال ابن مسعود وغيره من السلف وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لما نزل موسى بهم يعني بالجبارين ومن معه أتاه يعني بلعام وقومه فقالوا: إن موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وإنه إن يظهر علينا يهلكنا فادع الله أن يرد عنا موسى ومن معه، قال: إني إن دعوت الله أن يرد موسى ومن معه ذهبت دنياي وآخرتي فلم يزالوا به حتى دعا عليهم فسلخه الله ما كان عليه فذلك قوله تعالى: ﴿ فَآذَنَّا فَتَمَنَّاهُ فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ ﴾ .

وقال السدي: لما انقضت الأربعون سنة التي قال الله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ بعث يوشع بن نون نبياً فدعا بني إسرائيل فأخبرهم أنه نبي وأن الله أمره أن يقاتل الجبارين فبايعوه وصدقوه وانطلق رجل من بني إسرائيل يقال له بلعام فكان عالماً يعلم الاسم الأعظم المكتوب فكفر لعنه الله، وأتى الجبارين وقال لهم لا تهربوا بني إسرائيل فإني إذا خرجتم تقتلونهم أذعوا عليهم دعوة فيهلكون وكان عندهم فيما شاء من الدنيا غير أنه كان لا يستطيع أن يأتي النساء لعظمن فكان ينكح أتاناً له وهو الذي قال الله تعالى: ﴿ فَآذَنَّا فَتَمَنَّاهُ ﴾ . تفسير ابن كثير (٢/٢٧٠، ٢٧١).

إسرائيل شيئاً لما طلب (بألف) ^(١) منه أن يلعنهم قال: إنما أقول ما يلقي الله تعالى على فمي، لا أزيد عليه، فلم يلق الله على فمه إلا أن يباركهم فلم يوجد منه سؤال لعنه حتى يقال لم يحب أن يسمع منه.

وأما ثانياً: فإن بلعام لم يلعن بني إسرائيل ولا تلفظ بلعنهم أصلاً حتى يقال، وجعل الله إلهك لعن وبلعام بركات، ولكنه قال فمالي ألعن من لم يلعنه الله. وكيف أبد ما لم يیده الرب.

ورابع عشرها: أنه قال بعد هذا بثلاث ورقات وإن أذنب رجلاً ذنباً فليقل ويصلب على خشبة ولا يبات جسده على الخشبة، لكن يدفن من يومه من أجل أنه من الله ملعون كل مرفوع على خشبة والكلام على هذا من وجوه:

أما أولاً: فإن هذا نصٌ يقتضي أن عيسى عليه السلام لم يصلب على خشبة، وإنما شبه لهم، وبيانه أنه لو صلب على خشبة لكان ملعوناً من الله تعالى، وليس بملعون من الله تعالى فلم يصلب على خشبة، أما المقدمة الأولى فبمقتضى هذا النص.

وأما الثانية: فبالإجماع منّا ومن النصارى وهذا أمرٌ لا يخلص لهم منه أصلاً ولا جواب عنه ألبتة. *

وأما ثانياً: فإنه ربما صلب إنسان على خشبة مظلوماً بغير سبب موجب لصلبه كما تعتقده النصارى في عيسى ^(٢)، ومثل هذا لا يمكن أصلاً أنه يقال أنه ملعون من الله

(١) كذا بالأصل.

(٢) قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْ مَّا هُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا آتِبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ ^(١٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ^(١٨) وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِدًا﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٩].

قال ابن كثير: أى رأوا شبهه فظنوه إياه، ولهذا قال: «وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن» يعني بذلك من ادعى أنه قتله من اليهود ومن سلمه إليهم من جهل النصارى كلهم في شك من ذلك وحيرة وضلال وسعر، ولهذا قال: «وما قتلوه يقيناً» أي وما قتلوه متيقنين أنه هو بل شاكين متوهمين «بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً» أي منيع الجناب لا يرام في جميع ما يقدره ويقضيه من الأمور التي يخلقها وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة والسلطان العظيم والأمر القديم.

وروى ابن حاتم بسنده عن ابن عباس قال: لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على

تعالى بل مقرب متاب عنه من الله تعالى بإجماع العقلاء، فكيف يقال أنه من الله ملعون كل مرفوع على خشبة.

وأما ثالثاً: فإن تعليل أن لا ييات جسده على الخشبة بأن كل مرفوع على الخشبة ملعون غير صحيح، فإنه قد رفع على الخشبة في الجملة وحطه عنها لا يدفع عنه اللعنة، أما لو قيل: لا ييات جسده على الخشبة من أجل أن كل مستدام على الخشبة ملعون يصح التعليل.

وخامس عاشرها: أنه قال بعد هذا بأسطر: وإذا خرجت للخلاء فليكن معك في يدك وتد من حديد تحفر به لتغطي عذرتك لأن الله ربك يسير في عسرك وسكيتته تحمل معكم أينما ذهبتم ليخلصكم وينصركم على جميع أعدائكم وتكون منازلكم طاهرة مقدسة لا يكن فيها دنس ولا شر، فيصرف الله وجهه عنكم، وإذا لقيتم عبداً فاراً من سيده فلا تجرسوا به، ولا تدلوا عليه، ولكن أجلسوه معكم حيث أحب من قراكم ولا تظلموه.

والكلام على هذا من وجوه:

أما أولاً: فإن الله تعالى منزّه عن أن يسير في العسكر.

وأما ثانياً: فإن اقتراح أن تحفر بوتد من حديد ليغطي عذرتة تضيق من غير فائدة، بل يحصل الستر والتغطية بأي وجه كان.

وأما ثالثاً: فإن تعليل الأمر بالتغطية بأن يكون منازلهم طاهرة مناسب، وأما تعليله بأنه يخلصهم وينصرهم على أعدائهم فلا وجه له.

أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلاً من الحواريين يعني فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال: إن منكم من يكفر بي انتي عشرة مرة بعد أن آمن بي قال: ثم قال أيكم يلقي عليه شبيهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي فقام شاب من أحدثهم سناً فقال له اجلس ثم أعاد عليهم فقام ذلك الشاب فقال اجلس ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال: أنا فقال: هو أنت ذلك فألقي عليه شبه عيسى ورفع عيسى من روزنة في البيت إلى السماء قال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه فقتلوه ثم صلبوه فكفر به بعضهم انتي عشرة مرة بعد أن آمن به وافترقوا ثلاث فرق فقالت فرقة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء وهؤلاء اليعقوبية وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه وهؤلاء النسطورية، وقالت فرقة كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه وهؤلاء المسلمين، فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوا فلم يزل الإسلام طامساً حتى بعث الله محمداً ﷺ. تفسير ابن كثير (١/٥٧٤، ٥٧٥).

وأما رابعاً: فإن قوله: ولا يكن فيها دنس لا يصح، فإنها فيها الدنس غطى أو لم يغط، وإنما كان صوابه أن يقال: ولا يظهر فيها دنس.

وأما خامساً: فكيف يحسن أن يقول عن العبد الفار من سيده فلا تجرسوا به، ولا تدلوا به، وهو نهي عن حفظ مال الغير، وحث على تضييعه.

وأيضاً فقد تقدم في القراءة السابعة عشر من السفر الأول قوله^(١): إذا وجدت ثور عدوك أو حماره ضالاً فرده عليه، فأين هذا من ذاك هنا حث على عدم حفظه له، وهناك يأمر بحفظه وردده عليه مع أنه عدو.

وسادس عشرها: أنه قال بعد هذا بأسطر: وأي رجل منكم نكح امرأة فلم يرزق منها حباً، أو وجد عليها غيرة فيخل سبيلها بمعروف وليكتب لها كتاب الطلاق، وليسلم إليها مهرها، فلتذهب حيث شاءت.

الكلام على هذا من وجهين:

أما أولاً: فإن تقسيم القضية إلى أنه لم يرزق منها حباً، وإلى أنه قد وجد عليها غيرة، تطويل لا حاجة إليه بل حاصله أن الرجل له أن يطلق امرأته متى أراد، وهذا كاف عن السببين أما عن الأول فلأنه إذا لم يرزق منها حباً لا يطلقها إلا أنه أراد

(١) روى مسلم في صحيحه [١/ (١٧٢٢)] كتاب اللقطة عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله عن اللقطة؟ فقال: أعرف عفاصها ووكاءها ثم عرفها سنة، فإن جاء صاحبها، وإلا فشأنك بها» قال: فضالة الغنم قال: لك أو لأخيك أو للذئب قال: فضالة الأبل؟ قال: «مالك ولها؟ معها سقاؤها وغداؤها ترد الماء وتأكل الشجر، حتى يلقاها ربه». وقال النووي: قال أصحابنا: إذا عرفها فجاء صاحبها في أثناء مدة التعريف أو بعد انقضائها، وقيل: إن يملكها الملتقط فأثبت أنه صاحبها أخذها بزيادتها المتصلة والمنفصلة، فالمتصلة كالسمن في الحيوان وتعليم صنعة ونحو ذلك والمنفصلة كالولد واللبن والصوف واكتساب العبد نحو ذلك، وأما إن جاء من يدعيها ولم يثبت ذلك فإن لم يصدقه الملتقط لم يجز له دفعها إليه وإن صدق جاز له الدفع إليه ولا يلزمه حتى يقيم البينة هذا كله إذا جاء قبل أن يملكها الملتقط فأما إذا عرفها سنة ولم يجد صاحبها فله أن يديم حفظها لصاحبها وله أن يملكها سواء كان غنياً أو فقيراً، فإن أراد تملكها فمتى يملكها فيه أو جه لأصحابنا: أصحابنا: لا يملكها حتى يتلفظ بالتملك بأن يقول تملكها أو اخترت تملكها والثاني: لا يملكها إلا بالتصرف فيها بالبيع ونحوه والثالث: يكفيه نية التملك ولا يحتاج إلى لفظ، والرابع: يملك بمجرد مضي السنة.

الطلاق لا لأنه لم يحبها فقط، فإنه قد لا يحبها ولكن لا يكرهها ولا يريد طلاقها. ومثل هذا لا يطلقها، وكاف عن السبب الثاني أيضاً لأنه إذا وجد عليها غيره لا يطلقها إلا أنه إذا أراد طلاقها لأنه لو وجد عليها غيره، وصبر عليها ورضي بها لم يطلقها أيضاً.

وأما ثانياً: فإن هذا نص صريح في شرعية الطلاق بأحد هذين السببين، مع أن النصارى لا يقولون به في السبب الأول، فقد خالفوا نص كتابهم^(١).

وسابع عشرها: أنه قال فيمن مات وترك زوجته بعد هذا بورقة ونصف، فإن كره إخوته وقالوا: لا ينكحها رجل منا ولا يكون فيها بسبيل فلتخلع المرأة خف الذي أبى ولتبصق في وجهه، وتقول هكذا يفعل بكل رجل لا يريد أن يقيم بيت أخيه. والكلام على هذا من وجوه:

أما أولاً: فإن إلزام الإنسان بأن يتزوج بزوجة أخيه وإلا عوقب عليه، مع أنها قد تكون عوراء، أو كتعاء، أو عرجاء أو قبيحة الصورة، لا وجه له أصل بضرورة العقل. وأما ثانياً: فإن تعيين هذه العقوبة الحسية مع إمكان أن يقال: إنه محرم يعاقبه الله تعالى عليه أو يمنعه بسببه من دخول أرض كتعان المذكورة الممتن بها عليهم، لا وجه له أصلاً أيضاً.

وأما ثالثاً: فإن المرأة تباشر بنفسها طلب الزواج ولا سيما على هذه الصفة، وهذه العقوبة في غاية ما يكون من قلة الحياء الذي لا وجه له أصلاً.

وأما رابعاً: فإن هذا نص صريح في إباحة أن يتزوج الإنسان زوجة أخيه، بل في إيجابه، مع أن النصارى لا يبيحونه، بل يحرمونه فقد خالفوا كتابهم^(٢).

(١) قال تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ ۖ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَنٍ ۗ وَلَا تَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَمَّا آتَيْنَاهُمْهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩] هذه الآية الكريمة رافعة لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام من أن الرجل كان أحق برجعة امرأته وإن طلقها مائة مرة ما دامت في العدة فلما كان هذا فيه ضرر على الزوجات قصرهم الله على ثلاث طلاقات وأباح الرجعة في المرة والثنتين وأباناها بالكلية في الثالثة. تفسير ابن كثير (٢٧١/١).

(٢) قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ ۗ

وثامن عشرها: أنه قال بعد هذا بثلاث ورقات لأسباط بني إسرائيل: وليحب هؤلاء البقر، ويقولوا لبني إسرائيل بصوت رفيع ملعون من يكون يضع الأوثان الملعونة المرجوسة عند الله الذي تعملها الأيدي واتخذوها آلهة من دون الله، وليقل بنو إسرائيل كلهم آمين، ملعون يكون من يسب أباه وأمه، وليقل بنو إسرائيل كلهم ملعون من يكون كذا إلى آخره، والكلام عليه من وجهين:

أما أولاً: فإن هذا تطويل من غير فائدة بل كان طريقه المفيدة المقصود قطعاً على أبلغ وجه من غير تطويل، أن يقول الله سبحانه ملعون من يكون كذا أما إنه يأمر من يدعو ويأمر من يؤمن على دعائه، ولا يعلم هل يترتب عليهما إجابة أم لا، فهذا تطويل من غير فائدة.

وأما ثانياً: فإن قوله في الأخير ملعون يكون من لا يستقيم ويتبع جميع وصايا الله التي أوصاكم الله بها وليقل بنو إسرائيل كلهم آمين، هو أمر لهم بأنهم يلعنوا أنفسهم، ويؤمنوا كلهم على لعنتها، فإنه لا يسلم أحد من هذه اللعنة لأنه لا يقدر أحد من البشر أن يستقيم ويتبع جميع وصايا الله تعالى بل لا بد له من تقصير بحسب حاله.

وتاسع عشرها: أنه قال بعد هذا بثلاث ورقات فيقولون في الليل متى نصبح،

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلِيلُ آبَائِكُمْ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٣﴾ * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ ﴿[النساء: ٢٣، ٢٤].

قال ابن كثير: ﴿ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ أي هذا التحريم كتاب كتبه الله عليكم يعني الأربع، فالزموا كتابه ولا تخرجوا عن حدوده، والزموا شرعه وما فرضه، وقال عبيده وعطاء والسدي في قوله تعالى: ﴿ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ يعني الأربع، وقال تعالى: ﴿ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ ﴾ أي ما عدا من ذكرت من المحارم هن لكم حلال قاله عطاء لما تقدم، وقال قتادة: ﴿ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ ﴾ يعني مما ملكت أيمانكم، وهذه الآية هي التي احتج بها من احتج على تحليل الجمع بين الأختين، وقول من قال: أحلتها آية، وحرمتها آية وقوله تعالى: ﴿ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ ﴾ أي تحصلوا بأموالكم من الزوجات إلى أربع أو السراي ما شئتم بالطريق الشرعي. تفسير ابن كثير (١/٤٧٤).

وفي النهار متى نمسي مما قد حل بكم من البلاء والرعب وتراه عيونكم، ويردكم الله إلى مصر بألوف كثيرة في الطريق التي قلت لكم لا تعودوا لتسلكونها فتباعون فيها من أعدائكم لتكونوا لهم عبيداً وإماءً ولا يشتريكم أحد^(١).

والكلام على هذا من وجهين:

أما أولاً: فكيف يحسن أن يقال فيردكم الله إلى مصر في الطريق التي قلت لكم لا تعودوا لتسلكونها مع أنه كلام متناقض في نفسه لأنه إذا أخبر بأنهم لا يسلكونها لم يردهم على مصر فيها، وإذا كان يردهم فيها فهم يسلكونها، فالجمع بين صدق الخبرين محال.

فإن قيل لعل مراده بقوله لا تعودوا لتسلكونها أنه أمر لا أنه خبر.

قلت: حينئذ لا يبقى فيه فائدة، لأنه إذا ردهم قهراً في طريق أمرهم بعد

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية (٣٠٢/١): لما خرجوا من مصر أخرجوا معهم تابوت يوسف عليه السلام وخرجوا على طريق بحر سوف وكانوا في النهار يسيرون والسحاب بين أيديهم يسير أمامهم فيه عامود نور، وبالليل أمامهم عامود نار فانتهى بهم الطريق إلى ساحل البحر فنزلوا هنالك وأدركهم فرعون وجنوده من المصريين، وهم هناك حلول على شاطئ اليم فقلق كثير من بني إسرائيل حتى قال قائلهم كان بقاؤنا بمصر أحب إلينا من الموت بهذه البرية، وقال موسى عليه السلام لمن هذه المقالة: لا تخشوا فإن فرعون وجنوده لا يرجعون إلى بلدهم بعد هذا، قالوا وأمر الله موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه، وأن يقسمه ليدخل بنو إسرائيل في البحر واليبس، وصار الماء زمن ههنا وههنا كالجبلين وصار وسطه ييساً لأن الله سلط عليه ريح الجنوب والسموم فجاز بنو إسرائيل البحر واتبعهم فرعون وجنوده، فلما توسطوه أمر الله موسى فضرب البحر بعصاه فرجع الماء كما كان عليهم. لكن عند أهل الكتاب أن هذا كان في الليل وأن البحر ارتطم عليهم عند الصبح وهذا من غلطهم وعدم فهمهم في تعريبهم والله أعلم وقال تعالى: ﴿ وَجَنُوزَنَا بِنْتِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَانِهِمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ [الأعراف: ١٣٨، ١٣٩].

قالوا: هذا الجهل والضلال، وقد عاينوا من آيات الله وقدرته، مادهم على صدق ما جاءهم به رسول ذي الجلال والإكرام، وذلك أنهم مروا على قوم يعبدون أصناماً قيل: كانت على صور البقر، فكأنهم سألوهم لم يعبدونها؟ فرعموا لهم أنها تنفعهم وتضرهم ويسترزقون بها عند الضرورات، فكان بعض الجهال منهم صدقوهم في ذلك فسألوا نبينهم الكليم العظيم أن يجعل لهم آلهة كما لأولئك آلهة فقال لهم مبيناً لهم إنهم لا يعقلون ولا يهتدون: ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

هم فيه ونبتل ما كانوا يعملون. تفسير ابن كثير (٣٠٣/١، ٣٠٤).

يسلكونها لم يلحقهم غضب.

أما ثانياً: فكيف يحسن أن يقال: فتباعون فيها من أعدائكم ثم يقال عقيبه: ولا يشتريكم أحد، مع أنه كلام متناقض في نفسه أيضاً، لأنه إذا أخبر أنهم يباعون من أعدائهم فالجمع بين صدق الخبرين محال فإن قلت لعل مراده بقوله: فتباعون فيها من أعدائكم، معرضون للبيع.

قلت: هذا خلاف حقيقة اللفظ أن البيع غير العرض للبيع، وأيضاً فإن ظاهر قوله: وتباعون فيها من أعدائكم أن المراد حقيقة البيع لأنه المفهوم من تعيين المشتري إذا العرض للبيع لا يستدعي معروضاً عليه معيناً بل الشخص يعرض ليشتري من كان، أما البيع فيستدعي مشترياً معيناً.

العشرون: أنه قال بعد هذا بأربع ورقات وأسخطوني بالغرباء (وأقافلوني)^(١) بأوثانهم، وذبحوا للشياطين الذين ليسوا بأهة، آلهة لم يعرفوها جدد هي والآن محدثة لم يحدثها آباؤهم، ونسيت الله الذي أشبعك، فرأى الرب ذلك وغضب على إثم بنيه وبناته، وقال: اصرف وجهي عنهم وانظر ما تكون آخرتهم من أجل أنه خلف مخالف وأولاد ليس فيهم أمانة والكلام على هذا من وجوه:

أما أولاً: فإن قوله: آلهة لم يعرفوها جدد، هي مشكل فإنه أثبت أنها آلهة، وليس كذلك بل صوابه أن يقول أشياء زعموا أنها آلهة وليست بأهة.

وأما ثانياً: فإن قوله: لم يعرفوها جدد، وهي لا تقدر فيها إذا كانت آلهة أنهم لا يعرفوها، فإن الله تعالى لم يكن معروفاً ثم عرف.

وأما ثالثاً: فإن قوله: والآن محدثة لم يحدثها آباؤهم يقتضي أنه إنما دعها بأنها محدثة لم يحدثها آباؤهم، وأنها لو كانت محدثة أحدثها آباؤهم لها بل كانت تستحق الألوهية وليس كذلك^(٢).

(١) كذا بالأصل.

(٢) اختلف أصحاب المسيح عليه السلام بعد رفعه إلى السماء فيه على أقوال كما قاله ابن عباس وغيره من أئمة السلف قال ابن عباس وغيره: قال قائلون منهم: كان فينا عبد الله ورسوله فرجع إلى السماء، وقال آخرون: هو الله، وقال آخرون هو ابن الله، فالأول ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مریم: ٣٧].

وقد اختلفوا في نقل الأناجيل على أربعة أقاويل ما بين زيادة ونقصان وتحريف وتبديل ثم بعد

وأما رابعاً: فإن قوله وغضب على إثم بنيه وبناته يقتضي تسمية بني إسرائيل بنيه وبناته، فلم يبق لعيسى مزية عليهم في تسميته في الإنجيل ابناً، فيبطل اعتقادهم أنه ابن الله بتفسيرهم لمشاركته لهم في هذه التسمية مع أنهم ليسوا أبناء ولا بنات الله بتفسيرهم بالإجماع، وحينئذ فيتعين أن يكون تسميته ابناً وتسميتهم أبناء وبنات إنما هو على جهة التكريم كقول العالم لتلميذه: يا بني، ولتلاميذه يا أولادي.

وأما خامساً: فإن قوله: وانظر ما تكون آخرتهم، يقتضي أنه تعالى لا يعلم الآن آخرتهم، وليس كذلك أنه عالم بما كان وما يكون، لا يخفى عنه شيء سبحانه وتعالى. الحادي والعشرون: أنه قال بعد هذا بورقة، وكلم الله موسى في هذا اليوم، وقال: ارق هذا الجبل جبل العبرانيين، جبل تابوا في أرض مؤاب تلقاء أريحا ثم انظر إلى أرض كنعان التي أعطى بني إسرائيل الله ميراثاً ثم مت في الجبل الذي تصعد إليه واجتمع إلى شعبك كما مات أخوك هارون في هور الطور، واجتمع إلى شعبه على أنكما خالفتما كل قولِي في بني إسرائيل الذين أسخطوني عند الخصام الذي في (ومم)^(١) قوية متين، وعلى (الكالم)^(٢) يطهراني في بني إسرائيل فإنك ستنظر إلى الأرض التي أورثها بني إسرائيل، وأما أنت فلا تدخلها، والكلام على هذا من وجوه. أما أولاً: فإن قوله: ثم مت في الجبل^(٣)، أمر بالموت وليس الموت من فعله حتى

المسيح بثلاثمائة سنة حدثت فيه الطامة العظمى والبلية الكبرى، اختلفت البتاركة الأربعة وجميع الأساقفة والقساوسة والشمامسة، والرهابين في المسيح على أقوال متعددة لا تنحصر ولا تنضب، واجتمعوا أو تحاكموا إلى الملك قسطنطين باني القسطنطينية وهم المجمع الأول فصار الملك إلى قول أكثر فرقة اتفقت على قول تلك المقالات فسموا: الملكية ودحض من عداهم وأبعدهم، وتفردت الفرقة التابعة لعبد الله بن أديوس الذي ثبت على أن عيسى عبد الله ورسوله فسكنوا البراري والبوادي وبنوا الصوامع والديارات والقلايات وقنعوا بالعيش الزهيد ولم يخالطوا أولئك الملك والنحل وبنات الملكية الكنائس الهائلة عمدوا إلى ما كان من بناء اليونان، فحولوا محاريبها إلى الشرق وقد كانت إلى الشمال إلى الجدي. البداية والنهاية (٤٨٠/١).

(١) كذا بالأصل.

(٢) كذا بالأصل.

(٣) في ذكر وفاته أخرج البخاري في صحيحه (٣٤٠٧) عن أبي هريرة قال: أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه فرجع إلى ربه عز وجل فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد

يؤمر به، وإنما هو من فعل الله تعالى أو من يجعله إليه ليفعله بموسى وبغيره فلا يصح أنه يأمر موسى به، ولا يمكن أن يقال إن هذا أمر تكوين لا أمر تكليف، لأنه لو كان أمر تكوين لوقع المأمور به ولم يتأخر عن الأمر أصلاً.

وصوابه أن يقال: إنك ستموت إذا رقيت الجبل بلفظ الخبر دون الأمر.

وأما ثانياً: فإن قوله على أنكما خالفتما كل قولي مشكل فإنه من المعلوم قطعاً أن موسى وهارون ما يخالفا الله تعالى في كل قوله.

وأيضاً فإذا كان موسى وهارون قد خالفا الله تعالى في كل قوله، فمن يوافقه غيرهما في كل قوله أو في بعضه.

وأما ثالثاً: فإن بني إسرائيل أكثر مخالفة من موسى وهارون بلا شك، وهم

الموت، قال: ارجع إليه فقل له: يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة، قال: أي رب: ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن، قال: فسأل الله عز وجل أن يدينه من الأرض المقدسة رمية بحجر قال أبو هريرة: فقال رسول الله ﷺ: «فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر».

وأخرجه مسلم في صحيحه [١٥٧-٢٣٧٢] في الفضائل، باب فضائل موسى عليه السلام، قال النووي في قوله ﷺ: «صكه ففقاً عينه» قال المازري: وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث وأنكروا تصوره قالوا: كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت قال: وأجاب العلماء على هذا بأجوبة: أحدها أنه لا يمتنع أن يكون موسى ﷺ قد أذن الله تعالى له في هذه اللطمة ويكون ذلك امتحاناً للملطوم والله سبحانه وتعالى يفعل في خلقه ما شاء ويمتحنهم بما أراد.

والثاني: أن هذا على الحجاز، والمراد أن موسى ناظره وحاجه فغلبه بالحجة ويقال: فقاً عين فلان إذا غلبه بالحجة، ويقال: عورت الشيء إذا أدخلت فيه نقصاً، قال: وفي هذا ضعف لقوله ﷺ «فرد الله عينه» فإن قيل أراد رد حجته كان بعيداً، والثالث: أن موسى ﷺ لم يعلم أنه ملك من عند الله وظن أنه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها فأدت المدافعة إلى فقء عينه لا أنه قصدها بالفقء وتؤيده رواية صكه، وهذا جواب الإمام أبي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين، واختاره المازري والقاضي عياض. قالوا: وليس في الحديث تصريح بأنه تعمد فقء عينه، فإن قيل: فقد اعترف موسى حيث جاءه ثانياً بأنه ملك الموت، فالجواب أنه أتاه في المرة الثانية بعلامة علم بها أنه ملك الموت فاستسلم بخلاف المرة الأولى والله أعلم، قوله في الرواية الثانية فالآن من قريب رب أمتي بالأرض المقدسة رمية بحجر هكذا هو في معظم النسخ أمتي بالميم والتاء والنون وفي بعضها أدني بالدال ونونين وكلاهما صحيح. النووي في شرح (١٥/١٠٥، ١٠٦) طبعة دار الكتب العلمية.

أصحاب المخالقات والخطايا وقد أدخلهم الله الأرض، ولم يمتهم قبل إدخالهم إليها فكيف يحسن أن يمنع موسى وهارون من دخولها ويموتا قبل دخولها مع قلة مخالفتها.

الثاني والعشرون: أنه قال عقيب هذا جاء الله من طور سيناء، ويشرق لنا من ساعير، واستعلن من جبل فاران ومعه ربوة من أطهار الملائكة عن يمينه، فوهب لهم واجبهم ورحم شعبيهم، وباركهم وبارك على إظهاره، وهم يدركون في آثار رجلك ويقبلون من كلمتك، أسلم لنا موسى مثله، وأعطاهم ميراثاً لجماعة يعقوب، ويكون رئيساً في الخبيث إذا اجتمع رؤساء الشعوب جميعاً لقبائل إسرائيل والكلام على هذا من وجوه:

أما أولاً: فإن قوله جاء الله من طور سيناء يقتضي التجسيد، لأن المجيء من المكان إنما يصح من الأجساد، والله سبحانه منزّه عن التجسيد باتفاق من اليهود والنصارى أيضاً فإنهم إنما جسّدوا الابن.

وأما ثانياً: فإن قوله: ويشرق لنا من ساعير، مشكل لأن المخبر بهذا هو الله تعالى، والله تعالى لا يخبر عن نفسه بقوله ويشرق لنا.

وأما ثالثاً: فقوله: وهم يدركون في آثار رجلك ويقبلون من كلمتك، وقوله: أسلم لنا موسى مثله وقوله: ويكون رئيساً في الخبيث كله، مشكل.

لأن ظاهره أنه جميعه إخبار عن موسى^(١)، ولا يمكن القول به، وأما بعد هذا من

(١) روى البخاري في صحيحه (٣٤٠٨) كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعد، عن أبي هريرة قال: استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم: والذي اصطفتي محمداً على العالمين في قسم يقسم به، فقال اليهودي: والذي اصطفتي موسى على العالمين، فرفع المسلم عند ذلك يده فلطم اليهودي، فذهب اليهودي إلى النبي ﷺ فأخبره الذي كان من أمره وأمر المسلم، فقال: «لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله». وأخرجه: مسلم في صحيحه [١٦٠ - (٢٣٧٣)] كتاب الفضائل، ٤٢ - باب من فضائل موسى ﷺ.

وقال النووي: قال القاضي: يحتمل أن هذه الصعقة صعقة فزع بعد البعث حين تنشق السموات والأرض فتتظلم حينئذ الآيات ويؤيده قوله ﷺ: «فأفاق» لأنه إنما يقال أفاق من الغشي، وأما الموت فيقال بعث منه وصعقة الطور لم تكن موتاً، وأما قوله ﷺ: «فلا أدري أفاق قبلي» فيحتمل أنه ﷺ قاله قبل أن يعلم أنه أول من تنشق عنه الأرض إن كان هذا اللفظ على ظاهره وأن نبينا ﷺ أول شخص وتنشق عنه الأرض على الإطلاق، قال: ويجوز أن يكون معناه أنه من الزمرة الذين هم أول من تنشق عنهم الأرض فيكون موسى من تلك

مخاطبات الله لأسباط بني إسرائيل وما فيها من الرموز، فلا نرى أن نطيل الكتاب بالكلام عليها، لأن ظاهرها غير مراده، وباطنها لا نعلمه نحن ولا أهل هذا الكتاب.

الثالث والعشرون: أنه قال عقيب هذه المخاطبات في آخر هذا السفر الخامس: فمات ثم موسى عبد الله في أرض مؤاب بكلمة الله الله، فقبره في وادي في أرض مؤاب مقابل فاغور ولم يعلم أحد من الناس إلى اليوم مكان قبره وكان موسى عليه السلام ابن عشرين ومائة سنة إذ مات، ولم يثقل عيناه، ولم ينقبض وجهه وخداه. فبكى بنو إسرائيل على موسى في غزات مؤاب ثلاثين يوماً، فكمملت أيامه، وامتلى يوشع بن نون^(١) من الروح ونور الحكمة من أجل أن موسى حمل يده عليه، فأطاعه بنو إسرائيل، فأعلموا كالذي أوصى الله موسى ولم يقم بعد ذلك في بني إسرائيل مثل موسى الذي كلمة الله وجهاً لوجه، وأرسله بالآيات العجيبات التي أرسله الله بهن، وأن يعلم بأرض مصر بفرعون وأهله وأرضه كلها، واليد أخرجه، والرؤيا العجيبة التي صنع الله (...)^(٢)، بني إسرائيل. هذا آخر التوراة^(٣).

الزمرة، وهي والله أعلم زمرة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم هذا آخر كلام القاضي. النووي في شرح مسلم (١٠٧/١٥) طبعة دار الكتب العلمية.

(١) يوشع بن نون بن أفرائيم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام. وأهل الكتاب يقولون: يوشع ابن عم هود، وقد ذكره الله تعالى في القرآن غير مصرح باسمه في قصة الخضر كما تقدم في قوله: «وإذ قال موسى لفتاه» «فلما جاوزا قال لفتاه». وهو متفق على نبوته عند أهل الكتاب، فإن طائفة منهم وهم السامرة لا يقرون نبوة أحد بعد موسى إلا يوشع بن نون بما وراءه وهو الحق مصداقاً لما معهم من ربهم فعليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة. ابن كثير البداية والنهاية (٣٤٩/١).

(٢) بياض بالأصل.

(٣) اعترف القرآن الكريم بالتوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام ومدحها في آيات كثيرة من ذلك قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿١﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٢﴾ وقد أخبرنا القرآن بأن اليهود قد امتدت أيديهم الأثيمة إلى التوراة فحرفوها وبدلوها وأخفوا منها ما لا يتفق مع أهوائهم وشهواتهم، قال تعالى في سورة البقرة: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ خَنَافُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ

والكلام على هذا من وجوه:

أما أولاً: فإن قوله: فمات ثم موسى عبد الله في أرض مؤاب مشكل.

لأن التوراة إنما نزلت على موسى، وموسى أبلغها إيانا، فبعد أن مات موسى، من أبلغنا هذا الكلام عن الله تعالى إن موسى مات.

وأما ثانياً: فإن قوله: ولم يعلم أحد من الناس إلى اليوم أين مكان قبره، مشكل أيضاً جداً. لأن الخبر، إن أخبر الله به في حياة موسى، لم يصح، لأنه لم يمت، لكن موسى مات ولا له قبر وإن أخبر به بعد وفاته موسى لم يصح، لأنه ليس له موصل إلينا سوى موسى. فلو كان بعد وفاته لما وصل إلينا.

وأيضاً فقوله إلى اليوم يقتضي أن المدة طويلة من حين موته إلى حين الإخبار، وهذا مما يقوى به الإشكال^(١).

بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿البقرة: ٧٥-٧٩﴾.

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا﴾ [المائدة: ١٣].

(١) قال في كتاب بنو إسرائيل في القرآن والسنة (ص ٧٤) في بيان التناقض والافتراء والانحراف عن الحق في التوراة التي بين أيديهم وهل هي التي أنزلها الله تعالى فقال: التوراة الموجودة حالياً ليس لها سند متصل إلى موسى عليه السلام بل هي على النقيض من ذلك إذ يوجد فيها ما يدل دلالة قاطعة على أنها كتبت بعده بزمن طويل فمثلاً جاء في سفر التثنية بخصوص وفاة موسى عليه السلام نص يقول: «فمات موسى عبد الرب في أرض مؤاب ولا يعرف شخص قبره حتى يومنا هذا».

فهذا النص بعيد كل البعد عن أن يكون كتبه موسى عليه السلام وجاء فيه أيضاً «ولم يقم بعد نبي في بني إسرائيل مثل موسى» ومن الواضح أن مثل هذا الكلام مكتوب بعد وفاة موسى عليه السلام، وقد أقام الشيخ الهندي رحمه الله أدلة متعددة على انقطاع سند التوراة فقال: أنه لا سند لكونه هذه التوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام من تصنيفاته ويدل عليه أمور منها: أن تواتر هذه التوراة منقطع قبل زمان يوشيا بن آمون [هو أحد ملوك اليهود حكمهم من سنة (٦٤٠): سنة (٦٠٩) ق.م أي بعد موسى بستة قرون تقريباً]، والنسخة التي وجدت بعد

وأما ثالثاً: لأن قوله: فأطاعه بنو إسرائيل وعملوا كالذي أوصى الله موسى، فهذا خبر عنهم بأنهم أطاعوا وعملوا كما أوصى الله موسى، وهذا مدح تام في حقهم منه سبحانه وتعالى.

وقد تقدم فيما سبق مراراً متعددة إخبار الله تعالى عنهم بالذم، ولا سيما ما ذكره مرتباً، وقد نقلته في السؤال العشرين، وهو قوله: وقال: واصرف وجهي عنهم وانظر ما تكون آخرتهم من أجل أنه خلف مخالف، وأولاد ليس فيهم أمانة. فقد تناقض الإخباران.

وأما رابعاً: فإن قوله: ولم يقيم بعد ذلك في إسرائيل مثل موسى، مشكل كما تقدم من جهة أن بعد ذلك من أوصل إلينا هذا الخبر عن الله تعالى.

وأيضاً فهذا يلزم منه أن موسى أفضل من عيسى عليهما السلام، وإذا كان أفضل منه بطل ما ذكره النصارى في عيسى أنه إله أو ابن الإله. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. قال المصنف رحمه الله تعالى: نجز ما يسره الله تعالى على خاطري من الأسئلة على التوراة في العشر الأواخر من شهر ربيع الأول سنة أربع وثمانين وستمائة بالكرك المحروس.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله وعلى سائر النبيين وآل كل أجمعين نفعنا الله بالعلم وجعله شاهداً لنا لا علينا بمنه وكرمه، والحمد لله رب العالمين. (وكان الفراغ منه في تاسع من جمادى الأول سنة تسع وسبعين وثمانمائة)^(١).

ثاني عشرة سنة من جلوسه على سرير السلطنة لا اعتماد عليها يقيناً، ومع كونها غير معتمدة ضاعت هذه النسخة أيضاً غالباً قبل حادثة بختنصر، وفي حادثته انعدمت التوراة وسائر كتب العهد القديم عن صفحة العالم رأساً، ولما كتب غرراً هذه الكتب على زعمهم ضاعت نسخها وأكثر نقولها في حادثة أنتيوكس (هذا الذي حكم سوريا من سنة (١٧٤) إلى سنة (١٦٤) ق.م، وقد أذل خلال حكمه اليهود إذلالاً شديداً).

(١) هذا خاص بالنسخ من النسخة الأصلية.

فهرس المحتويات

٩٨.....	السؤال على القراءة الثانية والثلاثين	٣.....	مقدمة
١٠٠.....	السؤال على القراءة الثالثة والثلاثين	٨.....	ترجمة المصنف
١٠١.....	السؤال على القراءة الرابعة والثلاثين	٩.....	وصف المخطوط
١٠١.....	السؤال على القراءة الخامسة والثلاثين	٩.....	خطة العمل بالكتاب
١٠٣.....	السؤال على القراءة السادسة والثلاثين	١٠.....	صورة من المخطوط
١٠٤.....	السؤال على القراءة السابعة والثلاثين		السؤال على القراءة الأولى من السفر الأول من التوراة
١٠٤.....	السؤال على القراءة الثامنة والثلاثين	١٤.....	السؤال على القراءة الثانية من السفر الأول من وجوه سبعة
١٠٥.....	السؤال على القراءة التاسعة والثلاثين	١٨.....	السؤال على القراءة الثالثة
١٠٦.....	السؤال على القراءة الأربعين	٢٠.....	السؤال على القراءة الرابعة
١٠٧.....	السؤال على القراءة الحادية والأربعين	٢٢.....	السؤال على القراءة الخامسة من السفر الأول
١٠٧.....	السؤال على القراءة الثانية والأربعين	٢٨.....	السؤال على القراءة السادسة
١٠٨.....	السؤال على القراءة الثالثة والأربعين	٣٨.....	السؤال على القراءة الثامنة
١٠٨.....	السؤال على القراءة الرابعة والأربعين	٤٠.....	السؤال على القراءة التاسعة
١١٠.....	السؤال على القراءة الخامسة والأربعين	٤٢.....	السؤال على القراءة العاشرة
١١٢.....	السؤال على القراءة السادسة والأربعين	٤٥.....	السؤال على القراءة الحادية عشر
١١٢.....	السؤال على القراءة السابعة والأربعين	٤٨.....	السؤال على القراءة الثانية عشر
١١٣.....	السؤال على القراءة الثامنة والأربعين	٥٤.....	السؤال على القراءة الثالثة عشر
١١٣.....	السؤال على القراءة التاسعة والأربعين	٥٧.....	السؤال على القراءة الرابعة عشر
١١٥.....	السؤال على القراءة الخمسين	٦٠.....	السؤال على القراءة الخامسة عشر
١١٦.....	السؤال على القراءة الحادية والخمسين	٦١.....	السؤال على القراءة السادسة عشر
١١٧.....	السؤال على القراءة الثانية والخمسين	٦٤.....	السؤال على القراءة السابعة عشر
١١٨.....	السؤال على القراءة الثالثة والخمسين	٦٨.....	السؤال على القراءة الثامنة عشر
١١٨.....	السؤال على القراءة الرابعة والخمسين	٧٢.....	السؤال على القراءة التاسعة عشر
١١٩.....	السؤال على القراءة السابعة والخمسين	٧٥.....	السؤال على القراءة الحادية والعشرين
	السؤال على السفر الثاني من التوراة وهو سفر الخروج في القراءة الأولى	٨٠.....	السؤال على القراءة الثانية والعشرين
١٢٠.....	السؤال على القراءة الثانية	٨٣.....	السؤال على القراءة الثالثة والعشرين
١٢٠.....	السؤال على القراءة الثالثة	٨٦.....	السؤال على القراءة الرابعة والعشرين
١٢١.....	السؤال على القراءة الرابعة	٨٧.....	السؤال على القراءة الخامسة والعشرين
١٢٢.....	السؤال على القراءة الخامسة	٨٨.....	السؤال على القراءة السادسة والعشرين
١٢٤.....	السؤال على القراءة السادسة	٩٠.....	السؤال على القراءة السابعة والعشرين
١٢٥.....	السؤال على القراءة السابعة	٩٢.....	السؤال على القراءة الثامنة والعشرين
١٢٦.....	السؤال على القراءة الثامنة	٩٦.....	السؤال على القراءة التاسعة والعشرين
١٢٦.....	السؤال على القراءة التاسعة	٩٦.....	السؤال على القراءة الثلاثين
١٢٧.....	السؤال على القراءة العاشرة	٩٧.....	السؤال على القراءة الحادية والثلاثين
١٢٨.....	السؤال على القراءة الحادية عشر		

- السؤال على الفصل الخامس من السفر الرابع
من التوراة..... ١٥٨
- السؤال على الفصل السادس من السفر الرابع
من التوراة..... ١٥٩
- السؤال على الفصل الثامن من السفر الرابع من
التوراة ١٦٠
- السؤال على الفصل التاسع من السفر الرابع
من التوراة..... ١٦٢
- السؤال على الفصل العاشر من السفر الرابع.. ١٦٣
- السؤال على الفصل الحادي عشر من السفر
الرابع ١٦٣
- السؤال على الفصل الثالث عشر مع السفر
الرابع ١٦٥
- السؤال على الفصل الرابع عشر من السفر
الرابع ١٦٦
- السؤال على الفصل الخامس عشر من السفر
الرابع ١٦٦
- السؤال على الفصل السادس عشر من السفر
الرابع ١٦٧
- السؤال على الفصل السابع عشر من السفر
الرابع ١٦٨
- السؤال على الفصل الثامن عشر من السفر
الرابع ١٧١
- السؤال على الفصل التاسع عشر من السفر
الرابع ١٧١
- السؤال على الفصل العشرين من السفر الرابع ١٧٣
- السؤال على الفصل الحادي والعشرين من
السفر الرابع..... ١٧٣
- السؤال على الفصل الثاني والعشرين من السفر
الرابع ١٧٤
- السؤال على السفر الخامس من التوراة وهو
سفر الاستثناء..... ١٧٥
- فهرس المحتويات ١٩٩
- السؤال على القراءة الثانية عشر..... ١٢٩
- السؤال على القراءة الثالثة عشر..... ١٣١
- السؤال على القراءة الرابعة عشر..... ١٣٣
- السؤال على القراءة الخامسة عشر..... ١٣٤
- السؤال على القراءة السادسة عشر..... ١٣٦
- السؤال على القراءة السابعة عشر..... ١٣٨
- السؤال على القراءة الثامنة عشر..... ١٣٩
- السؤال على القراءة التاسعة عشر..... ١٤٢
- السؤال على القراءة العشرين..... ١٤٢
- السؤال على القراءة الأولى من السفر الثالث
وهو سفر اللاويين..... ١٤٢
- السؤال على القراءة الثانية..... ١٤٣
- السؤال على القراءة الثالثة..... ١٤٣
- السؤال على القراءة الخامسة..... ١٤٥
- السؤال على القراءة السادسة من السفر الثالث..... ١٤٦
- السؤال على القراءة السابعة من السفر الثالث..... ١٤٦
- السؤال على القراءة الثامنة من السفر الثالث..... ١٤٨
- السؤال على القراءة التاسعة من السفر الثالث..... ١٤٨
- السؤال على القراءة العاشرة من السفر الثالث..... ١٤٩
- السؤال على القراءة الحادية عشر من السفر
الثالث..... ١٥١
- السؤال على القراءة الثانية عشر من السفر
الثالث..... ١٥١
- السؤال على القراءة الثالثة عشر من السفر
الثالث..... ١٥١
- السؤال على الفصل الأول من السفر الرابع من
التوراة..... ١٥٤
- السؤال على الفصل الثاني من السفر الرابع من
التوراة..... ١٥٥
- السؤال على الإصحاح الثالث من السفر الرابع
من التوراة..... ١٥٦
- السؤال على الفصل الرابع من السفر الرابع من
التوراة..... ١٥٨